

دراسات في الإعلام

سهام نصار

اليهود المصريون صحفهم ومجلاتهم (١٨٧٧-١٩٥٠)

تقديم: د. خليل صابات

العربي للنشر والتوزيع

اليهود المصريون بين المصرية والصهيونية

سهام نصار

مقدمــة

● بقلم الدكتور خليل صابات
استاذ الصحافة المتفرغ
بكلية الإعلام — جامعة القاهرة

ان كتابة التاريخ مهمة صعبة للغاية لانها تقتضي من المؤرخ أن يبحث ويدقق والا يحكم على الاشخاص والاحداث الا بعد روية وطول اناة . وقــد حالف الانسة سهام نصار التوفيق في هذا البحث الذي تقدمه للقارىء العربي عن « صحافة اليهود العربية في مصر » ، ذلك لانه يقوم أساسا على هـــذه الصحافة نفسها . فقد قرأت الباحثة كل ما تيسر لها قراءته منها ، وبدون أن تقيد نفسها بأحكام سابقة صدرت على عجل او بتوجيهات تعددت مصادرهـــا واتجاهاتها .

وبهذه الروح أيضا قرأت الباحثة المراجع التي تناولت حياة هذه الطائفة في مصر وأوجه نشاطها ، وقامت بتمحيصها ومقارنتها بعضها ببعض فرفضت المبتسر من الاراء واقبلت على ما يقبله العقل والضمير العلمي منها ، منحية جانبا العاطفة او المصلحة الشخصية سبب كل بلاء . لذا جاءت نتائج هذه الدراسة مصيبة وجاء حكمها على الاحداث حكما موضوعيا .

ويعتبر هذا الكتاب اضافة مهمة الى تاريخ الصحافة في مصر وتاريخ مصر السياسي والاجتماعي . فقد صور مواقف الطائفة اليهودية على اختلاف اتجاهاتها تصويرا صادقا . كما لفت النظر الى عدم ((**ادراك**)) الحكومات المصرية المتعاقبة خطورة ما كان ينشر في الصحف اليهودية ، وخاصة تلك التي كرست صفحاتها للدعاية للفكر الصهيوني نهارا جهارا ، وحثت يهود مصر على الهجرة الى فلسطين ارض الميعاد . فاذا ما حلت النكبة كان السيف قد سبق العزل ! واذا كانت هذه الحكومات لم تلتفت الى هذا الخطر المعشش في جنباتنا او لم تشأ ان تلتفت اليه وتتوقاه فان بعض صحف مصر الوطنية نبهت اليه مرات ومرات . ولكن صيحاتها ذهبت في ذلك الوقت ادراج الريح . .

كما استطاعت صاحبة هذا البحث القيم أن تكشف النقاب عن تفاصيل كثيرة واحداث مهمة كانت طي هذه الصحف المودعة — ولا اقول المحفوظة — في دار الوثائق القومية بالقاهرة ، لان الحفظ يعني الصيانة من التلف ، وصحفنا مع الاسف ، لم تكفل لها هذه الصيانة ، كما لم يهيء للباحثين الراغبين من الاطلاع عليها المكان المريح الذي يسهل عليهم مهمتهم الشاقة . الا ان هذه المعوقات وغيرها لم تثبط همة الباحثة ، بل شدت من عزيمتها ، فكانت الثمرة هذا الكتاب الذي يؤرخ لصحافة كاد التاريخ ان يهملها .

مقدمة

□

اذا القينا نظرة على التاريخ نستجد أن مصر فتحت ابوابها دائما امـــام اللاجئين والمضطهدين من جميع البلدان ، فأكرمت وفادتهم ووجدوا فيها امنا وسلاما .

ولقد وجد اليهود في مصر خلال عصور التاريخ المختلفة ملجأ وملاذا في أوقات الازمات التي مروا بها ، والاضطهادات التي تعرضوا لها . ففي عام ١٦٥٠ ق. م. هاجر يعقوب وأولاده الى مصر بسبب القحط الشديد الـــذي اصاب أرض فلسطين حيث مكثوا بها ٣٥٠ سنة .

وعلى الرغم من خروج موسى بالاسرائيليين عام ١٣٠٠ ق.م. الا ان علاقتهم بمصر لم تنقطع ، فبعد قيام دولتهم في فلسطين عادت العلاقات بيـــن اليهود والمصريين ، وقد ثبت تاريخيا وجود طائفة يهودية في مصر في القـــرن السادس قبل الميلاد

وفي الوقت الذي لاقى فيه اليهود كثيرا من الاضطهادات سواء في أوروبا الشرقية أو أوروبا الغربية نجد أنهم عاشوا في مصر عصرا ذهبيا ، وقد شجع ذلك على قدوم الكثيرين منهم اليها حيث قاموا بدعم أوضاعهم الدينية والاجتماعية والثقافية ، ومارسوا انشطتهم الاقتصادية في جو من الحرية بفضل المعونة والرعاية التي كانوا يلقونها من السلطات الحاكمة .

ولم تكن مصر هي البلد العربي الوحيد الذي فعل ذلك ، وانما كانت البلاد العربية الاخرى دائما موئلا لليهود من ضحايا الاضطهاد ، ويذكر الدكتور فؤاد حسنين ان التاريخ اليهودي خير شاهد على ذلك ، اذ يعترف بأن العرب احسنوا معاملة اليهود عندما كانوا يهربون من وجه الطغاة من حكامهم في فلسطين ، أو فزعا من اضطهاد الرومان واليونانيين ، فقد نزل اولئك اليهود الجزيرة العربية فوجدوا أهلا وسهلا ، وحينما جاء الاسلام احسن معاملتهم مما دفع المؤرخ اليهودي الشهير جريتز الى الأشادة بعدالة العرب وانسانيتهم في كتابه « التاريخ اليهودي » . (١)

ولكن امام هذا الكرم وحسن الضيافة التي لاقاها اليهود بين العرب ، ماذا كان موقفهم من الصهيونية عندما نشطت الى اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ؟

من العجيب حقا ان نجد ان معظم اليهود الذين وجدوا في مصر كل رعاية قد أيدوا الصهيونية ، وقاموا بدعمها بشتى الوسائل ، وهؤلاء كان يحركهم عاملان : العامل الاول وهو عامل ديني يتمثل في الرغبة في تحقيق نبوءة الرب في العودة الى ارض الميعاد ، والعامل الثاني هو ايجاد ملجأ لليهود المضطهدين في المانيا وغيرها من الدول الاوروبية ، وقد ذهب هؤلاء الى حد انشاء الجمعيات الصهيونية التي كانت تتولى جمع التبرعات ، واعداد الشبان اليهود تمهيدا لتهجيرهم الى فلسطين ، واصدار الصحف الصهيونية بلغات متعددة — بما فيها اللغة العربية — لحشد يهود مصر وراء الهدف الصهيوني الاسمى الذي يتمثل في اقامة دولة عبرية على ارض فلسطين .

ولكن من المنصف ان نذكر انه كان يوجد في مقابل هؤلاء الصهيونيين فئة من اليهود المصريين الذين عارضوا هذا الاتجاه ، وظلوا على وفائهم للبلد الذي ولدوا على ارضه ، ونعموا بخيره ، ولكن جهودهم لم تكن من الفعالية ومن القوة بحيث يمكنها احباط هذا النشاط الذي كانت تدعمه الصهيونية العالمية .

---

(١) ترجمه د. فؤاد حسنين علي : شمس الله تشرق على الغرب ص ١٧ .

لقد استرعى انتباهنا انه على الرغم من اهتمام العرب خلال الحقبة الماضية بالدراسات التي تتعلق باسرائيل واليهودية والصهيونية العالمية ، الا انهم لم يوجهوا اهتمامهم نحو دراسة الطوائف اليهودية التي كانت تعيش بين ظهرانيهم لمعرفة السبل التي سلكتها الصهيونية التسلل بين صفوفهم وتجنيدهم لخدمتها ، بل ان المثير للدهشة ان معظم المثقفين المصريين الذين عاصروا اليهود اثناء وجودهم في مصر قبل حرب ١٩٤٨ لا يعلمون شيئا عن طبيعة النشاط الصهيوني الذي مارسه الصهيونيون في البلاد ، بل ان بعضهم ابدى دهشته عندما علموا انه كانت تصدر بمصر صحفا لليهود كان بعضها يدعو للصهيونية ، وازاء ذلك عقدت العزم على دراسة الطائفة اليهودية المصرية للمساهمة في كشف الغموض الذي يكتنف تاريخها خصوصا خلال تلك الفترة الحساسة التي تبدأ منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين املا في ان اسهم بنصيبب في خدمة بلادي ، وفي اثراء المكتبة العربية بكتاب هي في اشد الحاجة اليه ، ليلقي مزيدا من الضوء على بعض الجوانب المجهولة من تاريخنا مما قد يكون مفيدا لنا في مسيرتنا القادمة .

وقد واجهتنا اثناء اعداد هذا البحث صعوبات كثيرة منها عدم توفر الدراسات التي تتعلق بالاقليات الطائفية داخل مجتمعنا — وخاصة اليهود — ولذلك فقد اعتمدنا بدرجة كبيرة على المتاح من الصحف التي اصدرها اليهود في مصر باعتبارها النافذة الوحيدة التي تكشف من خبايا الحقبة الماضية ، ونأمل في ان تفتح هذه الدراسة الرائدة الباب امام دراسات مماثلة في البلدان العربية الشقيقة ، اذ لم تكن مصر هي البلد الوحيد في العالم العربي الذي مارس فيه اليهود نشاطا يخدم الصهيونية :

— ففي **الجزائر** بدأ اهتمام الطائفة اليهودية هناك بالصهيونية منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي عام ١٨٩٧ حيث اشترك يهود الجزائر بوفد يمثلهم ، وكان من اهم الصحف الصهيونية التي اصدروها مجلة رسمية شهرية تدعى Information Juive وصحيفة L'Echo Juif

— وفي **المغرب** اسس اليهود اول جمعية صهيونية عام ١٩٠١ ، وشاركوا في المؤتمر الصهيوني العالمي الخامس بوفد يمثلهم .

ومن بين الصحف الصهيونية الهامة التي كانت تصدر في المغرب صحيفة « الحرية » La Liberté وكانت تصدر في مدينة طنجة باللغة الفرنسية ، وصحيفة « الصدى الاسرائيلي El-Eco Israélite وصحيفة « المستقبل المشرق » L'Avenir Illustré التي كانت تصدر في الدار البيضاء في الفترة من ١٩٢٦ — ١٩٤٠ واهتمت بايجاد رابطة بين الصهيونيين والعناصر الموالية للصهيونية في المغرب .

— وفي تونس كانت لليهود صحفهم الخاصة مثل صحيفة «لو بتي ماتان » Le Petit Matin وصحيفة « اليقظة اليهودية » Le Reveil Juif التي كانت توزع في المغرب والجزائر وفرنسا .

— اما في ليبيا فعلى الرغم من اننا لم نعثر خلال بحثنا على معلومات مفصلة عن نشاط الصهيونيين هناك ، الا انه من المعروف انه كانت هناك طائفة يهودية ، وقد انشأت هذه الطائفة مدرسة عبرية عسكرية خلال الحرب العالمية الثانية لتجنيد بعض شبابها حتى ينضموا الى اللواء اليهودي الذي تشكل خلال هذه الحرب .

— وفي العراق حيث كانت توجد جالية يهودية كبيرة نجد أن بوادر النشاط الصهيوني بدأت هناك عام ١٩١٩ حينما اسس اهارون ساسون معلم فرعا للمنظمة الصهيونية ، وفي عام ١٩٢٣ اشترك يهود العراق في المؤتمر الصهيوني العالمي الثالث عشر بوفد يمثلهم .

اما في ميدان الصحافة فنجد ان الصحافة اليهودية ظهرت في العراق في مرحلة مبكرة عنها في مصر ، فقد أصدر اليهود في عام ١٨٦٣ صحيفة يهودية باللغة العبرية تدعي « هادوفر » ، وفي مطلع القرن العشرين اصدروا صحيفة اخرى عبرية هي « هامجيد » ثم صحيفة أخرى في عام ١٩٠٠ تدعى Jeshurum وكانت تصدر باللغتين العبرية والعربية وتعنى بشؤون الطائفة المحلية .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى صدر في العراق عدد من الصحف اليهودية باللغة العربية منها : المصباح والحاصد والبرهان والبريد اليومي والدليل والنشرة الاقتصادية ودليل العائلة .

— وفي لبنان أصدر سليم المن مجلة يهودية باللغة العربية تدعى «العالم الاسرائيلي » وذلك عام ١٩٢١ تغير اسمها عام ١٩٤٦ الى السلام ، وكان توفيق مزراحي يصدر صحيفة باللغة الفرنسية هي « تجارة الشرق » La Commerce d'Orient وبرزت في ميدان الصحافة اللبنانية صحفية يهودية تدعى استرازهاري مويال أصدرت بالاشتراك مع زوجها عدداً من الصحف .

تلك هي أهم المعلومات التي صادفتنا عن نشاط اليهود في ميدان الصحافة في البلدان العربية ، ونعتقد انه لو قام بعض الباحثين العرب بدراسات عن الطوائف اليهودية كل في بلده لكشفوا لنا عن جوانب خطيرة من النشاط الصهيوني في العالم العربي ما زالت خافية علينا حتى الان ، ولامكننا ان نتبين كيف استفادت الحركة الصهيونية من ظروف مجتمعاتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية لخدمة اهدافها .

ونود أن نشير هنا الى ان مادة هذا الكتاب هي اصل البحث الذي تقدمت به الي كلية الاعلام جامعة القاهرة عام ١٩٧٤ باسم « صحافة اليهود العربية

في مصر » لادراج اسمي في سجلات القيد لدرجة الماجستير ، وقد انتهيت منه في عام ١٩٧٨ حيث نوقش واجيز في يناير عام ١٩٧٩ ، الا انني اجريت عليه بعض التعديلات الطفيفة حيث قمنا بتحويل التمهيد فيه الى فصلين كاملين هما الفصل الاول والثاني لحاجتنا الى القاء مزيد من الضوء على أوضاع اليهود السياسية والاقتصادية والاجتماعية في مصر وهو ما لم تكن تسمح به دراسة في المجال الاعلامي ، كما اضفنا معلومات جديدة حصلنا عليها مؤخرا من الصحف اليهودية التي عثرنا عليها بعد الانتهاء من البحث ومن الوثائق البريطانية التي زودتنا بها الباحثة الالمانية جودرن كرامر .

واذا كانت هذه الدراسة تعتمد أساسا على الصحف التي اصدرها اليهود في مصر باللغة العربية فقط فاننا نأمل في استكمالها بدراسة اخرى من واقع الصحف التي اصدرها اليهود بلغات أخرى وهو ما نقوم به حاليا للحصول على درجة الدكتوراه ونعد القارىء بأن ننشرها باذن الله عند الانتهاء منها والله ولي التوفيق .

سهام نصار

● أوضـــاع اليهـــود في المجتمع المصري

شهدت الطائفة اليهودية في مصر خلال القرن التاسع عشر ومنذ تولي محمد علي حكم البلاد (١٨٠٥—١٩٤٨) تطورا وازدهارا : فقد تمتعت برعاية الحكومة ، كما شجع التسامح الديني الذي اشتهر به محمد علي واهتمامه ببناء مصر الحديثة على قدوم الاجانب الى البلاد بأعداد كبيرة ، فقد حـــاول محمد علي تطبيق سياسة الاكتفاء الذاتي في هذا الوقت على أساس تصنيع البلاد مما دفعه الى الاستعانة بالاجانب لتسويق منتجاته في اوروبا ، وكان كثير من هؤلاء اليهود ، مما ادى الى اتساع حجم الطائفة وزيادة عددها .

وقد سار خلفاء محمد علي على السياسة نفسها ، ففتحوا أبواب مصر على مصاريعها امام الاجانب للمساهمة في تحقيق التقدم في البلاد والسير بها في طريق الحضارة ، ففي عام ١٨٥٨ سمح للاجانب بامتلاك الارض وباستثمار راس المال في مصر ، وفي عهد الخديو اسماعيل كان معظم المستثمرين من اليهود

الاجانب ، وبعد الاحتلال البريطاني فتحت البلاد باطراد امام الاجانب ، فكان من نتيجة ذلك ان كثر وفود اليهود على مصر حتى بلغ عددهم طبقا لاحصاء عام ١٩٤٧ نحو ٦٣٩ر٦٥ نسمة (١) ، كان حوالي ثلاثين الفا منهم يحملون جوازات سفر اجنبية (ايطالية او فرنسية او يونانية او فارسية او بريطانية)، ونحو خمسة الاف حاصلين على الجنسية المصرية ، اما الباقي فلا جنسية لهـم .

وكان السبب في حصول الكثيرين منهم على جنسيه اجنبية هو فوائد نظام الامتيازات الذي لم يكن يكفل لهم فقط حماية القناصل الاجانـب ، بل كان يعفيهم ايضا من الخضوع للمحاكم المصرية ، ويمنحهم الحق في عرض قضاياهم على المحاكم المختلفة ، هذا بالاضافة الى حقوق استثنائية أخرى .

١ — اوضاع اليهود الاجتماعية :

كفل النظام الملي الذي انشيء في العهد العثماني المحافظة بعض الشيء على حياتهم ومركزهم الاجتماعي : فقد جعل هذا النظام لكل طائفة مجلسهـا الملي المكلف بمعالجة الامور ذات الصفة الشخصية كالزواج والطلاق والارث وفقا للتقاليد الدينية لكل طائفة .

وفي مصر كان اليهود ينقسمون الى طائفتين : طائفة اليهـود القرائين ★ وكان عددهم محدودا جدا ، وطائفة اليهود الحاخاميين او الربانيين ★ — كما كان يطلق عليها — وكانت تضم اغلبية اليهود في مصر وتمتعت باعتراف السلطات الرسمية بها كطائفة .

وكان الربانيون ينقسمون بدورهم الى طائفتين : طائفة في مدينة القاهرة وطائفة في مدينة الاسكندرية ، وكان لكل واحدة منها حاخامها ومجلسها الملي المنتخب .

اما طائفة القاهرة الربانية فكانت تنقسم الى طائفتين : طائفة اليهود السفارديم (اي اليهود الشرقيين الذين ينتمون في اصلهم الى حوض البحر

---

1 — Ministry of Finance and Economy, Statistical Census Department: Population Census of Egypt 1947 — Government Press — Cairo 1954.

★ اليهود القراءون هم الذين يؤمنون بالتوراة ويتبعون تعليماتها فقط ، ويرفضون التفسير الذي يوضعه الربانيون للكتاب المقدس فيما يسمى بالتلمود ، وقد ظهر المذهب القرائي في بغداد في القرن الثامن للميلاد ثم انتشر بعد ذلك بين اليهود في سوريا ومصر وباقي دول العالم .

★ اليهود الربانيون تقوم معتقداتهم الدينية على التعاليم القديمة كما تم تفسيرها في التلمود، وهم يشكلون غالبية اليهود ، ويختلفون والقراءون في نقاط متعددة من السلوك .

المتوسط واسبانيا) واليهود الاشكنازيم (وهم اليهود الغربيون الذين وفدوا على مصر من اوروبا) وكان لكل طائفة مجلسها الطائفي وحاخامها الخاص ، واما طائفة الإسكندرية فكان لها مجلس عام للطائفة .

وبالاضافة الى هؤلاء كانت هناك عائلات يهودية في بعض المدن المصرية الكبرى مثل بورسعيد والاسماعيلية والسويس وطنطا والمنصورة والمحلة الكبرى وبني سويف والاقصر وكوم امبو ... وغيرها .

وقد تركز اليهود بصفة رئيسيه في مدينتي القاهرة والاسكندريه فيما يسمى بحارة اليهود ، وكان هذا الحي يشكل قطاعا من الاحياء الفقيرة ، ويضم مئات المنازل والمحال التجارية والمصانع التي كانت كلها ملكا لهم ، وبالرغم من ذلك بدا اغنياء اليهود يهجرون هذا الجيتو ليعيشوا في الاحياء الراقية غير اليهودية .

ويمكننا ان نقسم اليهود من الناحية الاجتماعية الى ثلاث طبقات . الطبقة الاولى وتضم عددا من الاسر الغنية المعروفة بتراثها ومركزها في المجتمع، وعلاقاتها الشخصية باهل البلاد من اقطاعيين وذوي نفوذ وسياسيين ، ومن هؤلاء اسر قطاوي وموصيري ورولو وسوارس وهراري ووهبه ومنشه وشيكوريل .. وغيرها .

وتحت هذه الدائرة المترفعة تأتي الطبقة الثانية حيث نجد عددا لا بأس به من رجال الاعمال الاغنياء في تجارة القطن والصيرفة والبورصة والصحافة وتجارة التصدير والاستيراد واصحاب المحال التجارية المتخصصة ، وكانت لهاتين الطبقتين حياتهما الاجتماعية والثقافية المنفصلة عن اهل البلاد الاصليين، وكان معظمهم يستخدم الفرنسية لانها كانت لغة الصالونات في ذلك الوقت .

ولان الاتجاه العام كان نحو الثقافة الغربية وخاصة الفرنسية فقد اثر هذا الاتجاه على منهج حياتهم اليومية حيث طرا تغيير كبير في عاداتهم وملابسهم واذواقهم .

وفي الطرف الاسفل من البناء الاجتماعي كان اليهود الفقراء باعة جائلين او حرفيين صغارا ، وكانوا يعيشون في حالة جهل ، واكثرهم يعود اصله الى اليهود الذين قدموا مصر من فلسطين قبل الميلاد بألف وستمائة عام ، وكانت اغلبيتهم تسكن حارة اليهود ، ويتحدثون بالعربية ، وادى اختلاطهم مع جيرانهم الى ان اقتبسوا عاداتهم ، واعطوا ابناءهم اسماء عربية .

بيد اننا لو قارنا مستوى الطائفة اليهودية بالمعدل العام لمستوى الحياة في مصر لوجدنا انها كانت تتمتع بمستوى جيد عدا اربعة آلاف شخص كانت تساعدهم مؤسسات الطائفة ، ومع ذلك لم يعرف اليهود الفقر المدقع .

تمتع اليهود في ظل دستور ١٩٢٣ ★ بحقوق المواطنين في انشاء مؤسساتهم الخاصة سواء لتادية شعائرهم الدينية او دعم وضعهم الاقتصادي

والاجتماعي والثقافي فكانت لهم مستشفياتهم ومستوصفاتهم الصحية وأنديتهم الرياضية .

ومن الناحية الدينية وجد اليهود كل مساعدة لبناء معابدهم واقامة محافلهم فمنذ بداية القرن العشرين انتشرت المعابد والمحافل اليهودية في القاهرة والاسكندرية وباقي المدن المصرية وساعد على اقامتها الاراضي التي كانت تمنحها لهم الحكومة المصرية مجانا في اغلب الاحيان : ففي النصف الاول من القرن العشرين بلغ عدد المعابد التي اقيمت في القاهرة ٢٩ معبدا كان اهمها معبد الاسماعيلية الكبير بشارع عدلي ، وفي الاسكندرية بلغ العدد عشرين معبدا على حين انتشرت معابدهم في مختلف المدن التي كان يقطنها ابناء الطائفة (١) .

والى جانب ذلك اقام اليهود عددا من المحافل من اسمها محافل بني بريت بالقاهرة ومحفل الياهو ضابي بالاسكندرية .

وفي مجال التعليم كانت الطائفة اليهودية اول من تنبه في مصر الى مقتضيات العصر : فما ان رأت لواء العلم منشورا في البلاد الا هبت للانضواء تحته ، وقام البررة من ابنائها ينشئون الكتاتيب والمدارس للاولاد والبنات يعلمونهم فيها الايطالية والعبرية والفرنسية والحساب والجغرافيا والتاريخ ، ويعلمون المتقدمين منهم التلمود مرة في الاسبوع ، على ان تلك المدارس فيما عدا مدرسة حارة اليهود بالقاهرة المؤسسة عام ١٨٦٠ كانت مشهورة بالقذارة اكثر منها بحسن التعليم فقامت الطائفة برمتها وتضافرت وأسست مدرستين حرتين لاولادها وبناتها : احداهما وهي اكبرهما بالقاهرة وكان يؤمها ١٧٥ طالبا ، والثانية بالاسكندرية وأمها ١٤٥ طالبا : سبعون من الذكور وسبعون من الاناث والباقون من جنسيات مختلفة .

غير ان معظم اولاد اليهود وبناتهم كانوا يذهبون الى المدارس التي ينشئها الغربيون اكثر من ذهابهم الى مدارس الطائفة ، وكانوا يعتبرون التعليم محض سلاح يضربون به في معترك الحياة ولذلك صرفوا جل عنايتهم للحساب والحساب التجاري ثم كانوا يندفعون بعد ذلك في ميادين العمل والكسب .

ويذكر حاييم كوهين في كتابه The Jews of the Middle East أن الطائفة اليهودية بمصر والطائفة اليهودية بتركيا كانتا من أوائل الطوائف اليهودية في الشرق الاوسط التي تلقت تعليما حديثا ، حيث طرأ تغيير جوهري على مدارس اليهود في الستينات من القرن التاسع عشر ، اذ ادخل بها عدد

★ اعطى دستور ١٩٢٣ الطوائف والاقليات ضمانات جديدة باقرار مبدأ المساواة في الحقوق المدنية والسياسية دون تمييز بسبب الاصل أو اللغة أو الدين ، وبنصه على حرية الاعتقاد والرأي والصحافة والتعليم كما كفل لهم تسوية احوالهم الشخصية على حسب تقاليدهم وعلى يد سلطاتهم الدينية .

من اللغات الحية ، وبالاضافة الى الظروف السياسية والاقتصادية المواتيه ، ادى تركز اليهود في اكبر مدينتين في مصر الى تقدمهم العلمي والثقافي لقربهم من المعاهد التعليمية اليهودية والاجنبية والحكومية العالية التي استقبلتهم دون قيـــود .

وفي سنة ١٨٧٢ كان لليهود اربع مدارس اولية بالقاهرة تضم ١٥٥ تلميذا وفي سنة ١٨٧٥ كانت لجنة من بعض رجال الدين واعيان الطائفة تقوم بادارة المدارس الاسرائيلية بالطائفة ، وفي الاسكندرية كانت هناك اربعة مدارس اولية ثم انشأت الطائفة مدرستين مجانيتين يقرب نظامهما من نظام المدارس الأوروبية .

وتوالى بعد ذلك انشاء المدارس الخاصة وغيرها ، فلقد دخل الاليانس الاسرائيلي الدولي ★ مسرح التعليم في مصر عام ١٨٩٦ حينما اسس مدرسة للبنين والبنات في مدينة الاسكندرية ، ورغم ان الصحف اليهودية تذكر ان اول مدرسة يهودية تأسست في مصر كانت عام ١٩٤٤ يذكر حاييم كـــوهين أن الطائفة اليهودية انشأت مدرسة ثانوية عام ١٩٢٥ بالقاهرة ثم أسســـت مدرسة أخرى بالاسكندرية .

ومن الجدير بالملاحظة ان الطائفة اليهودية كانت ترمي الى إن يكون تعليم ابنائها تحت اشرافها حتى توجههم الوجهة التي تريدها ، وحتى يشبوا وولاءهم الاول لدينهم وطائفتهم وفي هذا المجال عنيت بالتعليم الديني وببث المفاهيم الدينية فيهم ، كما اهتمت بالتعليم المهنـــي فانشـــأت المدارس الصناعيـــة الاول لدينهم وطائفتهم ، كما اهتمت بالتعليم المهني فانشأت المدارس الصناعية

وفي مجال الخدمات الاجتماعية انتشرت الجمعيات التي هيمن عليها كبار الراسماليين اليهود التي كانت تقدم المعونة والرعاية للفقراء من ابناء الطائفة مثل جمعية بخور حوليم والمستشفى الاسرائيلي اللذا نتأسسا لتقديم الرعاية الطبية للمرضى اليهود وخاصة المحتاجين منهم ، وجمعية ماتان باستير التي تأسست عام ١٩٣٣ من أجل تقديم التسهيلات المادية والمعنوية للفتيـــات الفقيرات اللائي تقف الدوطة ★ حائلا دون زواجهم ، وملجا ابن ميمون للعجزة الذي تأسس عام ١٩٣٤ وغيرها من الجمعيات والاندية التي تولت مسئولية رعاية شباب الطائفة مثل اندية المكابي الرياضية ـــ التي لم تكن صهيونيـــة

★ الاليانس كلمة فرنسية تعني التحالف ، والاليانس الاسرائيلي الدولي تنظيم يهودي تأسس في باريس عام ١٨٦٠ بهدف الدفاع عن الحريات المدنية والدينية لليهود ، وتنمية المجتمعات اليهودية المختلفة من طريق التعليم والتدريب المهني واغاثة اليهود في الازمات ، وقد اسس التحالف شبكة تعليمية واسعة في البلقان واسيا وشمالي افريقيا وفلسطين .

★ الدوطة كلمة ايطالية تعني المهر الذي تحضنه العروس للعريس .

رسميا ، ولكنها مالت نحو القومية اليهودية مثلما يذكر رافاييل باتـاي — وجمعيات الشبان وجماعات الكشافة واتحاد الشبيبة اليهودية .. الخ .

٢ — مركز اليهود الاقتصادي :

ساعدت طبيعة المجتمع المصري في القرن التاسع عشر والنصف الاول من القرن العشرين كمجتمع برجوازي ناشىء على اتاحة المجال امام اليهـود ليمارسوا نشاطهم الاقتصادي في حرية واسعة ، حتى لقد استطاع بعضهم ان يسيطر على جوانب هامة من الاقتصاد المصري .

فمع حاجة البلاد الى التطور كانت لليهود مع سائر الاوروبيين الـذين تدفقوا على البلاد في النصف الاخير من القرن التاسع عشر مكانة اكبر فـي اقتصاديات مصر ، وكان ارتفاع مستوى التعليم بينهم وتشجيع السلطات لهم واختلاطهم بالاجانب قد فتح امامهم فرصا واسعة للعمل ، فشمل نشاطهم مجالات العمل الاقتصادي كافة في التجارة والصناعة والزراعة والمصـارف وغيرها ، حتى لقد استطاعت عدة اسر يهودية رأسمالية ان تتحكم فترة طويلة في الاقتصاد المصري و تمويله وتطويره .

ففي عام ١٨٨٠ كان اليهود على صلة وثيقة بالدوائر الحاكمة في مصر، فقدموا لها الدعم المالي وقاموا بدعم المشروعات الصناعية التي انشئت في ذلك الوقت نظرا لان غالبيتهم كان من اصحاب البنوك . ومن ناحية اخرى قام المستثمرون اليهود بشراء مساحات واسعة من الاراضي بمقتضى القانـون الصادر عام ١٨٥٨ الذي سمح للاجانب بامتلاك الارض ،وكونوا شركـات كبيرة لاستغلال هذه الاراضي مثل شركة كوم امبو التي اشتغلت بزراعـة قطاعات كبيرة من الاراضي ، كما قامت هذه الشركات بالمضاربة في هـذه الاراضي او بتقسيمها وبيعها لاغراض البناء ، هذا في حين شمل نشـاط بعض اثرياء اليهود مجال زراعة القصب وصناعة السكر .

وكانت اعمال الصيرفة والربا من اهم مجالات العمل التي اشتغل بهـا اليهود : ففي عهد الخديو اسماعيل ازداد عدد المرابين في مصر بصورة كبيرة وكان معظمهم من اليهود الذين انتشروا في البلاد من اقصاها الى اقصاها حيث اداروا بنوك الرهون وبنوك التسليف واسهموا ايضا في انشاء البنـوك والشركات الائتمانية التي تتولى عمليات الخصم والعمولة وتقديم القـروض مقابل التأمينات وبيع وشراء الاوراق المالية والسندات وتمويل المشروعات الصناعية والتجارية وانشاء شركات التأمين التجارية لدرجة انه في عام ١٩٤٢ كان الرأسماليون اليهود يساهمون في ادارة ١٠٣ شركات من مجموع ٣٠٨ ، ويسيطرون على جانب ضخم من رؤوس اموالها ، كما كان العاملين فيهـا يهودا .

ويتضح لنا مدى تغلغل اليهود داخل الهيئات والمؤسسـات المالية اذا

علمنا ان سوق الاوراق المالية (البورصة) ومصلحة الجمارك ومعظم البنوك كانت تغلق ابوابها في ايام الاعياد والمناسبات الدينية اليهودية .

ومن ناحية أخرى يلقي البعض مسئولية ما ترتب على القروض الاجنبية من احداث سياسية ادت الى الاحتلال البريطاني لمصر سنة ١٨٨٢ على اليهود فهم يرون ان البلاد لم تكن في حاجة الى الاستدانة ، ويقول جابرييل شارم احد الكتاب الفرنسيين الذين عاصروا عهد اسماعيل ودرس حالة مصر في عهده : « أن السماسرة — ومنهم اليهود — كانوا يدفعون الخديو اسماعيل الى عقد القروض المتتالية من بيوت المال اليهودية الاوروبية » . (١)

والى جانب اشتغال اليهود بالشئون المالية كان لهم نشاطا كبيرا في ميدان التجارة : فمن الواضح أن تجارة الذهب والقطن والمنسوجات وهي اهم الادوات في الاقتصاد المصري . كانت تقريبا في قبضة اليهود ، اذ يشير التقرير السنوي للمندوب السامي البريطاني في مصر عام ١٩٠٥ الى أن نسبة كبيرة من تجارة الاقمشة كانت في ايدي اليهود ، كما كان سماسرة القطن في البورصة من اليهود يبلغون اكثر من ٩٠٪ من مجموع سماسرة القطن في مصر .

وتذكر مجلة « الشبان القرائين » اليهودية أن « اليهود توارثوا حرفة الصياغة ، وأنه جاء وقت كانت تدر فيه هذه الحرفة على اربابها الارباح الموفورة ، لذا اقبل اليهود على صناعة وتجارة الذهب حتى انه كان من النادر ان ترى يهوديا قرائيا قد احترف غير هذه الحرفة ، وان حي الصاغة كان يغص بمحلات الجواهرجية المتجاورة والاغلبية كان من اليهود القرائين ، هذا بالاضافة الى انهم انتشروا في الاحياء المختلفة ايضا مدفوعين بعاملين : الاول وفرة الربح ، والثاني توارث الحرفة » .

وفي سوق التجارة الداخلية كان اليهود تجارا للجملة في حي الحمزاوي ، كما كان بينهم تجارا للتجزئة امتلكوا المحال الكبرى في الاحياء التجارية بالمدن المصرية الكبرى ، وانحصرت تجارتهم بصفة رئيسية في الاقمشة والبقالة والدخان والسكر واللحوم الخاصة بطائفتهم ، كما وجد منهم بعض المشتغلين بالحياكة ولف السجائر .

ويذكر الدكتور عبد العظيم رمضان في كتابه صراع الطبقات أن اليهود استطاعوا بمهارتهم وخبرتهم في مجال التجارة ان يحلوا محل البيوت المصرية التجارية الكبرى التي كانت تعمل على أوسع نطاق قبل مطلع هذا القرن امثال بيوت الماوردي والجمال (عبد القادر باشا) وعبد الخالق مدكور ، فعن طريق اتفاق السماسرة اليهود مع المصانع الاوروبية واخذ الوساطة بين المورد الاجنبي والمستورد المصري اخذت البيوت المصرية تتراجع ليحل محلها

---

(١) عبد المنصف محمود : اليهود والجريمة — المجلس الاعلى للشئون الاسلامية ١٩٦٧ ص ١٥٨

شيكو ريل وبنزايون وعدس واوروزدي بك (عمر افندي) ، ثم اخذوا يسيطرون على تجارة الصادر والوارد عن طريق القومسيونجية من اليهود .

واسهم اليهود ايضا في الصناعات الزراعية كعمليات حلج القطن وكبسه، واستخراج الزيوت وصناعة السكر ، كما اسهموا في انشاء كثير من الشركات مثل شركة المطاحن وشركة الملح والصودا ، وشركة توليد الكهرباء والثلج ، وشركة صناعة الخردوات والنحاس وصباغة الحرير وغزله بالاسكندرية .. الـخ .

وفي ميدان السياحة اسهم اليهود في انشاء الفنادق وادارتها ، كما دخل كثيرون منهم مجالات تصدير العاديات والتحف والهدايا واستيرادها ، كما انشأوا الكازينوهات ودور السينما والملاهي وادراوها .

ومع تطور البلاد وسيرها نحو الاستقلال بعد معاهدة ١٩٣٦ ، اضطرت الحكومة الى اصدار عدة تشريعات غايتها زيادة اشرافها على الشركات والمشروعات الاجنبية وزيادة عدد المصريين العاملين فيها ، فقد نص قانون الشركات الذي صدر في ٤ نوفمبر ١٩٤٧ على ان يكون معظم مديري الشركات من المصريين والا يقل عدد العمال المصريين في اي شركة عن ٧٥٪ وأن يحصلوا على ٦٥٪ من الرواتب الاجمالية وأن تكون نسبة المصريين في مجلس الادارة في كل شركة ٤٠ ٪ . (١)

وعلى الرغم من أن القانون كان موجها في الاساس ضد الاجانب ، الا ان معظم ضحاياه كانوا من اليهود ممن كانوا حاصلين على جنسيات اجنبية او ممن لا جنسية لهم ، وكان من نتيجة تنظيمات الادارة المصرية هذه التي وضعت للحد من نفوذ الاجانب ان نزعزعت مكانة اليهود الاقتصادية .

ومع قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ ازداد الوضع سوءا بالنسبة لليهود بسبب اجراءات التمصير ثم التاميم التي اتخذها نظام الحكم الجديد ، فاضطر كثيرون منهم الى تصفية املاكهم والهجرة الى خارج البلاد .

٣ ــ وضع اليهود السياسي :

بالرغم من أن اليهود قاموا بدور بارز في الحياة الاقتصادية في مصر فانهم لم يتدخلوا في الشئون السياسية كطائفة ، وذلك لان قسما كبيرا منهم كان يحمل جنسيات اجنبية ، ولكنهم كأفراد ادوا دورا في الحياة السياسية في مصر كنواب في البرلمان وكمسئولين في القصر ، وقد ساعد على ذلك أن وضع اليهود كان وضعا ممتازا داخل المجتمع المصري ، أذ كانوا يعيشون منذ عهد

---

1 — Cohen, J. Hayyim: The Jews of the Middle East. P. 49, 88.

محمد علي في ظل نظام تحرري وفي امن مطلق ، وكان هذا الحاكم المصـــري يقرب اليهم بتقليدهم مهام عليا لخدمة الدولة تتطلب الثقة .

وقد عاش اليهود في كنف ورعاية الحكام الذين تقلبوا على حكم مصر منذ عهد محمد علي حتى قيام ثورة يوليو عام ١٩٥٢ بدرجة تجعلنا نعتبر هـــذه الفترة بحق العصر الذهبي لليهود في هذه البلاد ، وقد استطاعوا ان يصلوا الى هذه المنزلة من خلال العلاقات والصلات الطيبة التي اقاموها مع كل حاكم جديد ارتقى عرش البلاد .

واذا كانت علاقة اليهود بحكام مصر كطائفة في مجملها طيبة ، فاننا نجد انهم كافراد استطاعوا أن يقيموا علاقات طيبة ايضا مع الحركة الوطنية فـــي مصر ، ومن ثم اكتسبوا ثقة الوطنيين المصريين .

ففي ميدان الحركة الوطنية اسهم بعض الافراد اليهود في النشاط الوطني المعادي للحكام ولسلطات الاحتلال ، وفي ايقاظ الوعي القومي لدى غالبية المصريين ، اذ يرى احمد شفيق باشا ان تكوين الراي العام في مصر يرجـــع الى عاملين : الاول جمال الدين الافغاني ، والاخر جريدة « ابو نضارة » لصاحبها يعقوب بن صنوع الاسرائيلي بما كانت تحويه من محاورات عامة في انتقاد الاحوال العامة والتنديد بالحكومة والاحتلال البريطاني ، مما دفع الناس الى قراءة هذه الصحيفة واقتنائها بكل الوسائل . (١)

ومع نهاية الحرب العالمية الاولى وظهور الحركة الوطنية المصرية كقوة يحسب حسابها في السعي من اجل انهاء الاحتلال البريطاني ، ظهرت بعض الشخصيات اليهودية التي انضمت الى الوطنيين المصريين في نضالهم من اجل الاستقلال امثال ليون كاسترو الذي انضم الى صفوف الوفد ، وكان صديقا شخصيا لسعد زغلول ، ورافقه في مفاوضاته في لندن ، وقام بمهمة المتحدث الرسمي لحزب الوفد في اوروبا ، ثم عاد الى مصر ليبدأ عن طريق صحيفته اليومية الوفدية الناطقة بالفرنسية « الحرية » La Liberté حملة ضد بريطانيا من اجل الاستقلال ، ولكنه عاد في نفس الوقت واحدا من اقطاب الصهيونية في مصر ، فقد اسس اول فرع للمنظمة الصهيونية في مصر عام ١٩١٧ ، وأصدر له صحيفة ناطقة بالفرنسية تدعى « المجلة الصهيونية » La Revue Sioniste عام ١٩١٨ ، ولكنه ظهر فيما بعد ككادر يساري يؤدي دورا هاما في اتحاد انصار السلام عام ١٩٣٧ .

وبلغ اسهام اليهود في الحياة السياسية المصرية القمة بتعيين اول وزير يهودي في تاريخ مصر الحديث الا وهو يوسف قطاوي باشا الذي شغل منصب وزير المالية في حكومة سعد زغلول سنة ١٩٢٤ ، ثم اختير وزيرا للمواصلات

---

(١) احمد شفيق باشا : مذكراتي في نصف قرن — الجزء الاول — مطبعة مصر ١٩١٤ ص ١٠٧ و ١١٠

في حكومة احمد زيور باشا عام ١٩٢٥ ، وكان تعيينه في منصب وزير تقديرا ادبيا وتكريما للطائفة اليهودية ودليلا على التسامح والمساواة اللذين تمتعت بهما الطائفة .

وبالاضافة الى ذلك اسهم اليهود في المفاوضات التي دارت بين مصر وبريطانيا بشأن تحقيق الجلاء ، فقد كان يوسف قطاوي ضمن الوفد الرسمي الذي سافر الى لندن لمفاوضة اللورد كرزون عام ١٩٢٢ .

وشارك اليهود في وضع القوانين التي تنظم سير الامور في البلاد فقد عين يوسف قطاوي عضوا في لجنة الثلاثين التي الفتها وزارة عبد الخالق ثروت سنة ١٩٢٢ لوضع الدستور وقانون الانتخاب ، كما عين زكي عريبي المحامي اليهودي ضمن اللجنة التي شكلتها ثورة يوليو ١٩٥٢ لوضع الدستور المؤقت للبلاد .

ومن ناحية اخرى اسهم اليهود في الحياة البرلمانية المصرية وشهد البرلمان المصري نوابا واعضاء امثال يوسف القطاوي باشا وابنه رينيه قطاوي بك ، الحاخام حايم ناحوم افندي ، ويوسف بتشوتو بك ، ويوسف دوبيكيوتو .

٤ ـ النشاط الصهيوني في مصر :

أولت الصهيونية العالمية اهتماما كبيرا نحو مصر لعدة اعتبارات اهمها ان مصر تقع على ابواب فلسطين وبها طائفة يهودية كبيرة يمكن ان تلعب دورا كبيرا في خدمة الاهداف الصهيونية ، ولذلك نجد ان بداية النشاط الصهيوني في مصر واكبت بداية ظهور الصهيونية الحديثة .

ففي عام ١٨٩٦ ـ العام الذي صدر فيه كتاب هرتزل « الدولة اليهودية » ـ وفد على البلاد جوزيف ماركو باروخ Joseph Marco Barukh الذي شرع فور وصوله الى مصر في السعي من اجل تأسيس هيئة صهيونية ، وبالفعل أثمرت جهوده في فبراير ١٨٩٧ حينما نجح في تأسيس اول جمعية صهيونية بمدينة القاهرة تدعى « جمعية بركوخبا ★ الصهيونية » ، أسندت رئاستها الى جاك هارملين وعين جوزيف ليبرفتش سكرتيرا لها ، وقد كتب الاثنان الى تيودور هرتزل في ٨ أبريل من نفس العام يبلغانه نبأ تأسيس هذه الجمعية ، ويطلبان منه ان يبعث اليهما بنسخة فرنسية من كتابه الدولة اليهودية .

★ بركوخبا : يهودي آدعى انه المسيح المنتظر ، وقاد الثورة اليهودية في فلسطين ضد الرومان سنة ١٣٢ م ، وقد سميت هذه الجمعية باسمه نظرا لانه كان يجسد كثيرا من المثل العليا الصهيونية ، فهو يهودي يرفض الاندماج ، ويدعي التميز ، كما ان ايمانه باليهودية ينصب على الجانب القومي بالدرجة الاولى .

نشطت جمعية بركوخبا الى الدعوة للمبادىء والاهداف الصهيونية وسعت الى جعل مصر مركزا لتوزيع مواد الدعاية الصهيونية على يهود الشرق من الجزائر حتى الشرق الاقصى ، وكانت معظم اعمال الرعاية هذه تتم في الاجتماعات التي كانت تعقدها الجمعية ، والتي كان يدعى اليها الزائرون من مؤيدي الصهيونية — ممن كانوا يمرون على البلاد — لالقاء المحاضرات ، حيث كان يتم توزيع المعلومات وجمع الاموال .

كان معظم قادة « جمعية بركوخبا الصهيونية » واعضائها في السنوات الاولى من اليهود الاشكنازيم ، ولذلك سعى زعماء الصهيونية في مصر الى جذب اليهود السفاراديم الى الحركة ولكن محاولاتهم باءت بالفشل ، اذ ان اليهود السفاراديم الذين ارتبطوا بمصر منذ فترات طويلة لم يتعرضوا خلالها للاضطهاد لم يقتنعوا بالحل الصهيوني للمشكلة اليهودية ، بل ان عائلات يهودية مثل عائلة قطاوي سخرت من الصهيونية .

وقد نجحت الجمعية في بعض القضايا ولكنها صادفت عقبات كثيرة عرقلت جهودها منها . فتور الحماس بين اليهود المصريين ازاء الصهيونية ، والتنوع الغريب الذي ساد الطائفة اليهودية ، فقد كان اليهود في مصر من جنسيات مختلفة ، ويتحدثون بلغات متباينة ، في حين ان المطبوعات المتاحة كانت باللغة الالمانية ، ولهذا كان يتعين ترجمتها الى اللغات العربية والفرنسية والعبرية واليديشية ، ولم تكن تلك بالمهمة السهلة .

تمكنت جمعية بركوخبا من ان تؤسس لها فروعا في المدن المصرية الكبرى مثل الاسكندرية وبورسعيد وطنطا والمنصورة ، كما اقامت مدرسة صهيونية في القاهرة عام ١٩٠٠ ، كانت تقبل الاطفال بالمجان وكانوا يتعلمون فيها اللغة العبرية وفقا للبرنامج الصهيوني .

وخلال الفترة التي سبقت نشوب الحرب العالمية الاولى تأسس عدد كبير من الجمعيات الصهيونية ، ففي القاهرة تأسست جمعية ابناء صهيون Beny Zion عام ١٩٠٠ وكانت تضم الاطفال تحت ١٥ سنة ، وجمعية الادب العبري عام ١٩٠٥ وجمعية احياء صهيون ١٩٠٦ ، ولجنة التنسيق الصهيونية ١٩٠٩ ، وجمعية ابناء صهيون للامام ١٩١٠ ، واتحاد اطفال صهيون ١٩١١ ، والدائرة القومية اليهودية ، ودائرة هرتزل ١٩١٢ .

وفي الاسكندرية اسس شارل بغدادلي اول جمعية صهيونية عام ١٨٩٨ حاول ان يجمع فيها صفوة الاشكنازيم والسفاراديم ، ولكن هذه الجمعية تحولت الى فرع لجمعية بركوخبا عام ١٩٠١ كما تأسس الى جانبها جمعيات اخرى مثل جمعية امل صهيون ١٩٠٤ ، وجمعية عمال صهيون وجمعية ابناء صهيون عام ١٩٠٦ ، وجمعية شبان صهيون ١٩٠٧ ، ثم اندمجت جمعية ابناء صهيون مع جمعية زئير زيون عام ١٩٠٩ .

كانت هذه الجمعيات الصهيونية تعمل منفصلة فيما عدا جمعية بركوخبا

وفروعها ، ولذلك فان القيادة الصهيونية في النمسا ثم في المانيا لم ترغب في التعامل مع جمعيات صهيونية صغيرة ومتعددة ، لذلك قام الصهيونيون داخل هذه الجمعيات بتوحيد صفوفهم فأسسوا عام ١٩١٢ « الاتحاد الصهيوني » ليضم هذه الجمعيات في حظيرة واحدة .

وحينما نشبت الحرب العالمية الاولى تدفقت على البلاد اعداد كبيره من اللاجئين اليهود قدم معظمهم من فلسطين بسبب الاجراءات الصارمة التي اتخذها الاتراك ضدهم هناك ، وقد اعطى وجود هؤلاء دفعة للعمل الصهيوني في مصر .

نزل هؤلاء المهاجرين في ميناء الاسكندرية حيث اقاموا معسكرات اطلق عليها اسم معسكرات التحرير ، وقامت السلطات المصرية والبريطانية بالسهر على راحتهم ، فقد أمر السلطان حسين كامل بأن تصرف لهم اعانة يومية قدرها ثمانون جنيها زيدت الى مائة ، كما هبت الطائفة اليهودية في مدينتي القاهرة والاسكندرية لمساعدتهم ومساعدة الذين ظلوا في فلسطين .

ففي الاسكندرية دعا ادجار سوارس رئيس الطائفة اليهودية الى اجتماع حضره مجلس الطائفة بكامل هيئته وجمهور كبير بلغ نحو ٤٠٠٠ شخص لتقرير الوسائل التي تمكنهم من مساعدة اخوانهم اليهود بطريقة اكثر فعالية ، وقرر المجتمعون ارسال برقية الى روتشيلد رئيس الطائفة اليهودية في لندن يطلبون اليه التدخل لدى القوى الحليفة لانهاء محنة سكان فلسطين ويبلغونه بأنه تم البدء في اكتتاب لانشاء صندوق محلي يكون مستعدا للقيام بأعمال الاغاثة في فلسطين بمجرد سنوح الفرصة .

وقد رد روتشيلد على سوارس ببرقية ابلغه فيها انه اتخذ بالفعل الاجراءات الممكنة في انجلترا ، وطلب اليه تسجيل اسمه في الاكتتاب للصندوق بمبلغ الف جنيه .

وقد اصبح صندوق اغاثة اليهود في فلسطين الذي انشىء بالاسكندريه المستودع الذي تصب فيه أموال التبرعات التي يتم جمعها من الدول الاخرى ليتم ارسالها الى فلسطين بعد ان تعذر ارسالها بالطرق العادية بسبب الحرب .

المنظمة اليهودية بمصر :

في عام ١٩١٧ استطاع ليون كاسترو ان يؤسس اول فرع للمنظمة الصهيونية العالمية في مصر تحت اسم « منظمة الصهيونيين بمصر » تولى رئاستها جاك موصيري بينما شغل ليون كاسترو منصب سكرتير اللجنه المركزية ، وفي عام ١٩١٨ صدرت « المجلة الصهيونية » لتكون ناطقا بلسانها .

كانت اولى الخطوات التي قام بها كاسترو هي ضم الجمعيات الصهيونيه الى حظيرة فرع المنظمة وانشاء فروع تنبثق عن هذه المنظمة الام في المدن

المصرية الكبرى بهدف نشر المبادىء الصهيونية بين الجماهير اليهودية في مصر والمساعدة في اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين .

الفيلق اليهودي :

على الرغم من أن الصهيونية العالمية اتخذت في بداية الحرب العالمية الاولى موقف الترقب والأنتظار حتى تتضح الامور ، الا أن زعماء الحركة الصهيونية سعوا في تلك الاثناء الى تكوين كيان يهودي مسلح بحجة مساعدة القوات البريطانية في تخليص فلسطين من ايدي الترك .

وفي الحقيقة كان هذا التحرك يهدف في الاساس الى استخدام هذه القوة اليهودية في المساومة السياسية مع بريطانيا من أجل انشاء الوطن القومي من ناحية ، والى تجميع الشبان اليهود في منظمة تكون بمثابة التشكيل العسكري الذي يتولى حماية الكيان الصهيوني في فلسطين بعد عودتهم اليها مصتولين بخبرة هذه الحرب من الناحية الاخرى .

وقد تزعم هذا المسعى صحفي يهودي من أصل روسي يدعى فلاديمير جابوتنسكي جاء الى مصر اثناء الحرب حيث الف لجنة لتقوم باقناع الجنرال ماكسويل قائد القوات البريطانية في مصر بفتح باب التطوع امام اليهود الذين لجأوا اليها من فلسطين ، وقد اسفر هذا المسعى عن تكوين فرقة يهودية في منطقة برج العرب غرب الاسكندرية عام ١٩١٥ اطلق عليها البعض اسم « كتائب أبناء صهيون » . وسماها البعض الاخر « فرقة النقل البغالي الصهيونية » ، وتراوح عددها بين ٥٠٠ و ٩٠٠٠ رجل ، انضم اليها مائة وخمسون من يهود مدينة الاسكندرية ، وقد خدمت هذه الفرقة في صفوف الانجليز اثناء حملة غاليبولي في الدردنيل ، ولكن تم تسريح ما تبقى منها على قيد الحياة عام ١٩١٦ بعد أن باءت هذه الحملة بالفشل .

لم تتوقف جهود جابوتنسكي عند هذا الحد وانما أنتهز فرصة ميل ميزان الحرب لغير صالح الحلفاء وواصل جهوده من جديد لدى دوائر وزارة الحربية البريطانية لتكوين فيلق يهودي اقترح ارساله الى مصر بدعوى انه اذا امتدت الاعمال الحربية يوما من مصر الى فلسطين فان الجنود اليهود سيقدمون ارواحهم فداء لارض الميعاد .

وقد اثمرت جهود جابوتنسكي ففي عام ١٩١٧ ، حيث صدرت الاوامر بتكوين فيلق يهودي ، واعلن رسميا في لندن تكوين الكتيبة (٣٨) التي اسندت رئاستها الى الكولونيل جون هنري باترسون وهو ضابط يهودي يعطف على الصهيونية ويؤيدها ، ثم تقرر ارسال هذه الكتيبة الى مصر لاستكمال تدريباتها استعدادا للزج بها الى ميدان القتال فوصلت الى الاسكندرية في فبراير عام ١٩١٨ حيث اقامت لها الطائفة اليهودية هناك استقبالا حافلا باسم

الحاخام الاكبر لطائفة يهود مصر ، وحينما وصلت هذه الكتيبة الى القاهرة اقيم لها حفل استقبال اخر في المعبد اليهودي الرئيسي في المدينة ، وقد رافق الكتيبة عدد من يهود مصر واقيم لرجالها معسكر بالحلمية لتستكمل فيـــه تدريباتها الى حين صدور الاوامر بتحركها الى فلسطين .

وفي نهاية ابريل عام ١٩١٨ وصلت الكتيبة (٣٩) من الفيلق اليهودي الى مصر وامضت فترة التدريب ثم رحلت الى فلسطين في الخامس من يونيو من نفس العام .

ونظرا لان عمليات تجنيد اليهود في الفيلق اليهودي امتدت لتشمل اليهـود في معظم دول العالم ، اقترح الكولونيل باترسون انشاء مكاتب خاصة بتجنيد اليهود في مصر وفلسطين بغية تكوين كتيبة يهودية منهما ، وزغم أن الجنرال اللنبي رفض الفكرة الا انه تراجع عن موقفه بعد اتصال باترسون بالمسئولين البريطانيين في لندن .

وبالفعل تم افتتاح مكاتب خاصة بتجنيد اليهود في كل من القاهـــرة والاسكندرية وقامت حملة دعائية كبيرة لحث يهود مصر على التطوع ، وكان من نتيجة ذلك أن تكونت الكتيبة (٤٠) من يهود مصر وفلسطين .

وقد انتقل هذا التكوين العسكري اليهودي الى فلسطين حيث انضم الى الجيش البريطاني تحت اسم « فرقة المشاة الملكية » .

موقف يهود مصر من تصريح بلفور :

عندما صدر تصريح بلفور عام ١٩١٧ أحدث موجة من الفرح الغامر بين أبناء الطائفة اليهودية في مصر ، ففي اعقاب صدور التصريح اقامت المنظمة الصهيونية حفلا بمدينة الاسكندرية حضره احمد زيور باشا محافظ الاسكندرية في ذلك الوقت وكبار رجال الطائفة حيث عرضت مسرحية تعيد الى الاذهان صورا للمتاعب التي واجهها اليهود في روسيا ، واختتم الحفل بخطاب القاه جاك موصيري رئيس المنظمة الصهيونية بمصر اعلن فيه أن «الصهيونية تلك الفكرة الخيالية قد اصبحت حقيقة واقعة » ، وناشد يهود مصر ان يستيقظوا من خمولهم ويعطوا المسائل اليهودية اهتمامهم واقامت جمعية زئير زيون حفلا اخر تحت رعاية اللجنة المركزية لمنظمة الصهيونيين بمصر يوم ١١ نوفمبر حضره جمهور غفير تراوح عدده بين ٧٠٠٠ و ٨٠٠٠ شخص ، وحضره هذه المـرة ايضا زيور باشا ، ووفود تمثل ٢٠ منظمة مختلفة في مصر وفلسطين ، والحاخام ديللا بيرجولا حاخام الاسكندرية .

وقد رسم المتحدثون في هذا الاجتماع صورة طيبة للحياة التي تنتظـر اليهود في فلسطين ، وفي الختام انشد الحاضرون النشيد الوطني اليهـودي (هاتكفا) وقرروا ارسال برقيتين الى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيـــا

وحاييم وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية .

وقد جاء بالبرقية المرسلة الى لويد جورج ما يلي :

« ابدى اجتماع حاشد ضم ٨٠٠٠ يهودي عقد بمدينة الاسكندرية حماسا منقطع النظير اثناء تلاوة تصريح بلفور ، واعرب عن امتنانه العظيم لحكومة صاحب الجلالة » .

جاك موصيري

رئيس المنظمة الصهيونية بمصر

أما البرقية الثانية المرسلة من جاك موصيري الى حاييم وايزمان فقد جاء بها :

« ان هذا الاجتماع الحاشد ليهود الاسكندرية وافق بالاجماع اعادة بناء فلسطين كوطن قومي لليهود ..

« انه — اي جاك موصيري — يتوقع أن تصبح فلسطين دولة يهودية تماما تكون العبرية لغتها الرسمية .. وان أمل الصهيونيين الا يتزايد عدد السكان العرب في فلسطين ..

« انه يستطيع ان يحكم بعد هذه الاجتماعات ان الصهيونية غرست جذورها في تربة مناسبة ، وفي امة من اقرب جيران صهيون (يقصد مصر) ..

« ان المنظمة الصهيونية في مصر مشغولة بالاستعداد لدفع الامدادات الى فلسطين بمجرد الحصول على تصريح من السلطات البريطانية ...

والى جانب ذلك اقيمت احتفالات اخرى بهذه المناسبة في المدن المصرية الكبرى الاخرى ، وظل اليهود في مصر يحتفلون بذكرى صدور التصريح كل عام ، ففي ٤ نوفمبر ١٩١٨ بعثت اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية بمصر رسالة الى السير ريجنالد وينجت المندوب السامي البريطاني تعرب فيها باسم يهود القاهرة والاسكندرية وطنطا وبورسعيد والمنصورة عن أعمق مشاعر الامتنان والاخلاص الشديد .

وجاء بالرسالة ايضا انه « أقيمت في جميع المعابد بمصر صلوات شكر احتفالا بذكرى اليوم الخالد ، كما امضى تلاميذ المدارس ذلك اليوم في تفهم وادراك جلال هذا العمل العظيم واهميته الذي يعد واحد من الاعمال العادلة التي تقوم بها الحكومة البريطانية العظيمة » .

وفي اثناء تلك الفترة اسست المنظمة الصهيونية لجنة لغوث اليهود في فلسطين كانت تحظى باعتراف السلطات ، وكانت تعمل بالاتفاق مع اللجنة المركزية لغوث اليهود البولنديين والفلسطينيين في لندن ، والمكتب الصهيوني في كوبنهاجن ، وقد انتقلت هذه اللجنة الى فلسطين لتنظيم اعمال الاغاثة لليهود هناك .

وعلى الرغم من هذا التجاوب الذي ابداه بعض اليهود المقيمين بمصر ازاء الحركة الصهيونية الا أن الصهيونية العالمية استمرت في تركيز اهتمامها

بمصر . ففي ابريل عام ١٩١٨ قامت اللجنة الصهيونية برئاسة حاييم وايزمان بزيارة مصر ، وقد اجتمع وايزمان باليهود المصريين حيث عرض عليهم الافكار التي يمكن ان تدعم اللجنة ، والبرنامج الذي يقترح تنفيذه عندما تصل الى فلسطين ، الا انه تجنب الخوض في المسائل الجدلية ، واعرب عن رغبة المنظمة في جعل الصهيونية واليهودية وحدة واحدة ، وحشد كل القوى اليهودية من اجل العمل العظيم الذي تقوم به ، ثم ناشد اليهود المصريين الا يعارضوا الصهيونية التي يؤيدها غير اليهود كالانجليز والفرنسيين .

واشاد وايزمان بما قدمته الطائفة اليهودية المصرية للاجئين اليهود ثم ناشدهم بأن تقوم بعمل ما هو اكثر وان تبذل مجهودات اكبر قائلا :

« بالنسبة لكم يا من على ابواب فلسطين ، فاننا نتطلع الى معونة مادية ومعنوية منكم . . اننا نمد أيدينا لكم وننشد تعاونكم » .

وفي عام ١٩٢٠ اعطت التطورات التي نجمت عن مؤتمر سان ريمو — باسناد الانتداب على فلسطين الى بريطانيا — دفعة قوية للنشاط الصهيوني في مصر ، ففي عام ١٩٢١ كان في القاهرة وحدها خمس جمعيات صهيونية وبلغ العدد الاجمالي لدافعي الشيكل Shekel أي رسوم العضوية في المنظمة الصهيونية — في مصر الفان .

وفي عام ١٩٢١ اعيد تشكيل المنظمة الصهيونية بمصر حيث تولى رئاستها جوزيف شيكو ريل بينما شغل ليون كاسترو منصب النائب الاول للرئيس .

وحينما اسس فلاديمير جابوتنسكي حزب التصحيحيين في باريس عام ١٩٢٥ انضم اليه البير ستراسلسكي من مصر حيث اصبح واحدا من اعضائه البارزين وقد قام ستراسلسكي بعد عودته الى مصر عام ١٩٢٩ بتأسيس فرع للحزب ليحمل لواء المعارضة داخل صفوف المنظمة الصهيونية في القاهرة ، ثم اصدر صحيفة الصوت اليهودي La Voix Juive عام ١٩٣١ لتكون ناطقا بلسانه .

وعندما انفصل جابوتنسكي عن المنظمة الصهيونية العالمية عام ١٩٣٥ واسس المنظمة الصهيونية الجديدة ، قام ستراسلسكي بتحويل حزب التصحيحيين في مصر الى فرع تابع للمنظمة الصهيونية الجديدة ، ثم اسس فرعا اخر في الإسكندرية عام ١٩٣٦ .

وشهدت الثلاثينات من هذا القرن نشاطا صهيونيا مكثفا في مصر ، فقد قامت فروع القاهرة للاتحاد الدولي للشبيبة اليهودية والنادي اليهودي Mo'adon Ivri بالعمل في اوساط الشباب ، كما قام عدد من الزعماء الصهيونيين العالميين امثال ناحوم سوكولوف وحاييم وايزمان والبروفسور سليج وبرودتسكي وفيرا كاتزمان وايزمان بزيارة القاهرة .

وكان مركز النشاط الصهيوني في تلك الفترة يتركز في مدينة الاسكندريه فقد عقدت اجتماعات كبيرة تحدث فيها سوكولوف ومسز اريبل بنزايون وماير

ديزنجوف وجروسمان ومستر ومسز أسرائيل موسى سيف وغيرهم ومن ناحية اخرى اسست مسز بنزايون جمعية لجمع التبرعات للكيرن هايسود كما تم افتتاح مكتبة صهيونية بالاسكندرية عام ١٩٣٢ .

وحينما نشر تقرير لجنة بيل الملكية للتحقيق في احداث فلسطين والذي دعت فيه الى التقسيم عام ١٩٣٧ . مر جابوتنسكي على الاسكندرية حيث اجتمع باعضاء المنظمة الصهيونية الجديدة . وعقد مؤتمرا صحفيا استنكر فيه بشدة فكرة التقسيم ، واعلن اصرار منظمته على اقامة دولة يهودية في الحدود التاريخية لارض اسرائيل ، وضرورة تنظيم الهجرة على نطاق واسع .

ومع حلول الاربعينات أشتدت حدة النشاط الصهيوني العلني والسري في مصر ، ففي أثناء الحرب العالمية الثانية كانت البلاد تعج بجنود الحلفاء الذين كان من بينهم جنود يهود سيطرت الافكار الصهيونية على عقولهم ، فاندفعوا بحماس يدعون لتاسيس الوطن القومي في فلسطين ، ويسرت لهم المنظمة الصهيونية في مصر سبل الالتقاء بشباب الطائفة .

وكان يعقوب وايزمان رئيس المنظمة الصهيونية في ذلك الوقت جذوة من النشاط والحماس ، فكان يستقبل كبار الصهيونيين ويتناول معهم الراي ، ويجمع الاموال من ابناء الطائفة لصالح الوكالة اليهودية في فلسطين .

وفي عام ١٩٤٣ قرر ليون كاسترو اعادة تشكيل فروع المنظمة الصهيونية من جديد تحت اسم « الاتحاد الصهيوني » .

وفي ذلك الوقت كانت لجهاز مخابرات « الهاجاناه » المعروف باسم «علياه بيت » — والذي كان مختصا بتهريب المهاجرين اليهود الى فلسطين كانت له شبكة في مصر ، وفي عام ١٩٤٤ قرر رؤساء مخابرات الهاجاناه توسيع هذه الشبكة ، فمع قرب انتهاء الحرب العالمية الثانية وتطلع اليهود الى استئناف نشاطهم من اجل انشاء دولة مستقلة كان على شبكة « علياه بيت » أن تضع ايديها على شيء من احتياطي الاسلحة الكبير الذي كان يكدسه الحلفاء في مصر ، وان تحصل على المعلومات من ناحية اخرى ، فقد كانت القاهرة في ذلك الوقت مركزا للنشاط البريطاني في الشرق الأوسط ، هذا بالاضافة الى انه كان من الضروري بالنسبة للصهاينة معرفة ما سيكون عليه رد فعل القادة العرب اذا ما اعلن قيام دولة يهودية في فلسطين .

ومن هذا المنطلق قام عملاء علياه بيت بتأجير فيلا خارج الاسكندرية كمنتجع صحي لجنود الحلفاء ، ولكنها كانت في الحقيقة قاعدة لعمليات التهريب وتسهيل هجرة اليهود الى فلسطين ، كما تأسست وكالة للسفريات سميت Grunberg Travel Agency وشبكة للتهريب اسمها Operation Goshen .

وفي مواجهة هذا النشاط الصهيوني المحموم كان لا بد من ظهور تيار معارض بين المصريين من مسلمين ومسيحيين ويهود ، وقد تمثل ذلك في المظاهرات التي قام بها الازهر سنة ١٩٤٥ في ذكرى تصريح بلفور ، والتنظيمات

التي شكلها بعض اليهود بهدف مقاومة النشاط الصهيوني في مصر مثل « رابطة مكافحة الصهيونية » التي تأسست في مايو عام ١٩٤٧ واصدرت بيانا بعنوان « ضد الصهيونية ، في صالح اليهود ، في صالح مصر . حددت فيه اهدافها على النحو التالي :

١ ــ الكفاح ضد الدعاية الصهيونية التي تتعارض مع مصالح كل اليهود والعرب .

٢ ــ الربط الوثيق بين يهود مصر والشعب المصري في الكفاح من اجل الاستقلال والديمقراطية .

٣ ــ العمل على التقريب بين اليهود والعرب في فلسطين .

٤ ــ العمل على حل مشكلة اليهود المشردين .

وقامت الرابطة بعد ذلك بتوزيع منشور بعنوان « نداء الى يهود مصر » حذرت فيه من اكاذيب الدعاية الصهيونية التي ترمي الى تهجير ابناء اليهود الى فلسطين ليعيشوا وسط عداء اغلبية السكان وفي نظام كله استبداد واضطهاد .

وازاء ذلك حدثت اشتباكات بين هذه الرابطة والعناصر الصهيونية مما حدا بوزارة الشئون الاجتماعية الى أن ترفض التصريح للرابطة باشهار نفسها خوفا من حدوث المصادمات ، فكان ان انحلت الرابطة في حين استمرت التنظيمات الصهيونية تمارس نشاطها .

ومن ناحية اخرى بدأ رينيه قطاوي رئيس الطائفة اليهودية في مصر في ذلك الوقت بذل مساعيه لوقف النشاط الصهيوني في البلاد حرصا على مكانة اليهود وعلاقتهم الطيبة بالمصريين ، ولذلك بعث برسالة تحذيرية الى ليون كاسترو رئيس اللجنة المركزية للاتحاد الصهيوني بمصر يسترعي نظره الى أن الاجتماعات التي يعقدها سواء في الاسكندرية او في القاهرة ذات طابع سياسي وتنتمي الى الحركة الصهيونية ، وانها خلقت شعورا بالعداء تجاه الاسرائيليين بمصر ، وشككت في ولائهم ، وطلب منه باسم مجلس الطائفة تجنب تكرار مثل هذه المظاهرات في المستقبل والا فان المجلس سيضطر الى طلب تدخل السلطات المصرية في اطار المصلحة المشتركة .

وفي الوقت نفسه بعث رينيه قطاوي ايضا برسالة اخرى الى ممثل الوكالة اليهودية بالقاهرة يبلغه بأنه وصلت الى الحاخام الاكبر والسلطات المصرية وبعض السلطات الاجنبية شكاوى من اليهود المصريين ، يشكون فيها من ان منظمة عيفري هاتسعير ★ Hatsair تقوم باغراء

★ تأسست منظمة هاعيفري هاتسعير ومعناها العبراني الصغير في فلسطين عام ١٩١٤ ، وبعد ان حلتها السلطات التركية اعيد تكوينها في الاسكندرية عام ١٩١٨ بنفس الاسم ، وكان هدفها هو نشر اللغة العبرية ، واقامة مستعمرة في فلسطين .

الشبان الذين هم عماد الاسر اليهودية في مصر بالهجرة الى فلسطين بعد تدريبهم في مزرعة بالقرب من القاهرة ، وحذر قطاوي من ان هذه السياسة من شأنها ان تقوض السلطة الاسرية ، وتعرض العلاقات بين الطائفة والسلطات المصرية للخطر — تلك العلاقات التي كانت ممتازة دائما .

وطالب قطاوي في رسالته لممثل الوكالة اليهودية ان يطلع وكالته على هذه الحقائق ، ويرجوها تجنب الطوائف اليهودية بمصر ، واحترام القانون ، والا فان مجلس الطائفة يوافق بالأجماع على اتخاذ الاجراءات التي يراها مناسبة من جانبه في حالة اذا لم تنفذ الوكالة اليهودية هذه القرارات في أقرب وقت ممكن .

وعندما وصلت لجنة التحقيق الانجلو أمريكية في احداث فلسطين عام ١٩٤٧ الى مصر ، اتفق قطاوي مع الصهيونيين على عدم الظهور امامها ، ولكن قطاوي من جانبه انتهز فرصة دعوته الى حفل الكوكتيل الذي اقامته المفوضية الامريكية لاعضاء اللجنة وشن هجوما عنيفا على الصهيونيين في مصر ، ويذكر Partly Crum احد اعضاء اللجنة انه علم ان قطاوي كان يمثل مجموعة صغيرة معادية للصهيونية في مصر .

وبالرغم من هذا النشاط المعادي للصهيونية سواء من جانب اليهود او المسلمين استمر اليهود الموالين للصهيونية في ممارسة نشاطهم الذي لم يتوقف الا عند اعلان دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ .

الفصل الثاني

رأينا في الفصل السابق كيف تمتع اليهود المصريين بجميع حقوق المواطنة التي كفلها الدستور المصري ؛ وكيف استفاد اليهود الاجانب من نظام الامتيازات ، كما رأينا كيف كان وضع الطائفة اليهودية في مجمله وضعاً ممتازاً، ومع ذلك فقد انخرط بعضهم في صفوف الصهيونية ، وظلو يروجون لها ويتفانون في العمل من اجل تحقيق اهدافها قرابة نصف قرن من الزمان في جو من الحرية والامن ، فقد كان المجتمع المصري حافلا بمجموعة من المتغيرات التي أتاحت لهم فرصة ممارسة نشاطهم الصهيوني دون أن تعترض طريقهم العقبات . ولعل من الضروري أن نستعرض في هذا الفصل العوامل التي هيأت للصهيونيين فرص النجاح على التربة المصرية خلال الحقبة الماضية .

١ ــ الاحتلال البريطاني :

كان لوقوع مصر تحت سيطرة الاحتلال الاجنبي اثر كبير في خلق الظروف المواتية امام الحركة الصهيونية في البلاد ، فقبل مولد الحركة الصهيونية الحديثة في مؤتمر بال عام ١٨٩٧ ، كانت مصر قد سقطت فريسة للاستعمار

البريطاني منذ عام ١٨٨٢ ، وكان وجود قوات الاحتلال منذ ذلك التاريخ قد اوجد في مصر مناخا ملائما لممارسة مثل هذا النشاط ، فمن ناحية انشغل المصريون اثناء نضالهم ضد الاستعمار البريطاني من اجل الاستقلال عما كان يدور حولهم ، ومن الناحية الاخرى كان وجود بريطانيا الحليف الاساسي للصهيونية العالمية في مصر قد منح الصهيونيين تسهيلات كبيرة في هذا البلد ، فاذا كانت بريطانيا هي الدولة التي منحت اليهود تصريح بلفور الذي ينص على انشاء وطن قومي لهم في فلسطين وحملت على عاتقها مسئولية تنفيذ هذا الوعد اثناء فترة انتدابها على فلسطين ، اذن فلقد كان من الطبيعي ان تتيح لليهود جميع السبل التي يمكن ان تؤدي الى تنفيذ الوعد الذي قطعته على نفسها سواء كان ذلك في فلسطين ، او هنا في مصر ، او في اي مكان اخر من المستعمرات التي تخضع لسيطرتها .

من هنا ظلت ابواب مصر مفتوحة امام الصهيونيين في ظل الاحتلال البريطاني فمارسوا نشاطهم دون ان يتعرضوا لاي مقاومة او مطاردة من سلطات الامن المصرية التي كانت خاضعة في معظمها لاشراف قوات الاحتلال، بل لقد راينا كيف استخدمت السلطات البريطانية الاراضي المصرية في تدريب الجنود اليهود الذين تالف منهم الفيلق اليهودي خلال الحرب العالمية الاولى ، وفي ظل الحماية البريطانية جعلت من مصر قاعدة يحتشدون فيها قبل الانطلاق نحو فلسطين .

٢ ــ السلطة الحاكمة :

اذا حاولنا التعرف على السلطة التي كان بيدها مقاليد الحكم في البلاد خلال فترة البحث سنجد انها كانت تتمثل في المندوب السامي البريطاني والملك ثم الاحزاب .

وفيما يتعلق بالمندوب السامي البريطاني فقد لمسنا في النقطة السابقة طبيعة العلاقة التي كانت قائمة بين انجلترا واليهود ، اما فيما يتعلق بالملك قمة السلطة في النظام الحاكم في مصر سنجد انه كان ينتمي الى الاسرة المالكة التي كانت غريبة عن البلاد وتربعت على عرش مصر منذ عهد محمد علي ، وكان الملوك من هذه الاسرة يهتمون بحياتهم الخاصة ، ويهتمون باحاطة انفسهم بمظاهر الترف والبذخ فجلبوا النكبات على البلاد ، ثم غرقوا فيها حتى قمة رأسهم .

ومن الملاحظ انه في الوقت الذي انغمس فيه حكام مصر في مواجهة المشكلات التي جروها على انفسهم وعلى البلاد وفي مقاومة المد الوطني الذي بدأ يتصاعد ضدهم بين جماهير الشعب المصري ، احتفظوا بعلاقات طيبة مع ابناء الطائفة اليهودية مما اكسبها احترام الجميع .

ويذكر لنا توفيق ابو هيف في كتابه Les Relations entre Egyptiens et Juifs ان الملك فؤاد الاول كان يحيط نفسه بحاشية كان معظم افرادها من اليهود الذين تمتعوا بثقته وتقديره ، وان العاهل المصري لم يتوقف ابدا عن ابداء عطفه نحو ابناء الطائفة اليهودية ، فقد عين الحاخام حايم ناحوم افندي عضوا بمجمع اللغة العربية ، كما عهد اليه بتجميع القوانين الصادرة من الباب العالي التي كانت تتعلق بالمسائل المصرية ، وكلفه بمهام كانت تتطلب الثقة الملكية هذا بالاضافة الى ان عائلات قطاوي ورولو وسوارس كانت تتمتع بصداقة الحاكم المصري .

وحينما خلف الملك فاروق والده على عرش مصر سار على الدرب نفسه ، فقد كان من بين اعضاء حاشيته عدد كبير من اليهود الاجانب ، كما ان علاقته باليهود كانت في مجملها طيبة ، وفي مقابل هذا العطف الملكي بذل زعماء الطائفة اليهودية كل جهد ممكن لارضاء ملوك مصر والتعبير عن ولائهم وحبهم .

ويذكر الاستاذ مصطفى امين ان الملك فؤاد هو الذي امر بتعيين يوسف قطاوي باشا وزيرا للمالية في وزارة سعد زغلول ، ثم حينما انشا الملك حزب الاتحاد ليحارب به زعامة سعد زغلول انضم اليه قطاوي باشا رغم علاقات الصداقة التي كانت تربطه بزعيم الامة ، وما كان ذلك الا ارضاء للجالس على عرش مصر .

وعندما ارتقى الملك فاروق العرش احتفلت الطائفة اليهودية بهذه المناسبة وشارك الحاخام الاكبر وكبار الشخصيات اليهودية في الاحتفالات التي اقيمت بمناسبة تولي الملك السلطة الدستورية .

وحينما تزوج الملك فاروق سنة ١٩٣٧ لم يدع ابناء الطائفة هذه المناسبة تمر دون أن يتقدموا بهدية ثمينة للاعراب عن ابتهاجهم بهذه المناسبة وتعلقهم بعرش مليكهم المفدى بل ان الصحف اليهودية خصصت بعض اعدادها للاحتفال بهذا الحدث السعيد .

اذن فلقد كان من الطبيعي والعلاقة على هذا النحو بين اليهود وقمة السلطة في مصر ان يجد ابناء الطائفة كل رعاية من جانب الملك وباقي الهيئات الحاكمة وأن يصبح بمقدور الصهيونيين ان يستغلوا هذا الوضع بما يخدم اهدافهم سواء بطريق مباشر او غير مباشر .

ويشير ابا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلي في مذكراته الى ان حاييم وايزمان اعتاد ان يوقع في سجل الزيارات بالقصر الملكي ، واجراء محادثات مع رجال الدولة المصريين كلما جاء الى القاهرة .

وتذكر صحيفة« اسرائيل »في عددها الصادر بتاريخ ١٠ـ٢ـ١٩٣٣ أن ناحوم سوكولوف ــ الذي تولى رئاسة المنظمة الصهيونية العالمية في سبتمبر من نفس العام ــ كان في زيارة للقاهرة في ذلك الوقت ، وانه حظي بمقابلة جلالة الملك في قصر عابدين ، وانه كان اثناء وجوده بالاسكندرية منذ شهرين قد

قيد اسمه في سجل التهاني بقصر المنتزه .

ولم يكن حكام مصر فقط هم وحدهم الذين كانت لهم علاقات طيبة باليهود ، فالتاريخ يحدثنا مثلا عن اللقاءات التي تمت بين الملك فيصل وحاييم وايزمان وعن الاتفاق العربي الصهيوني الذي توصلا اليه .

وقد عبرت صحيفة « اسرائيل » في ٢٩-٩-١٩٣٣ عن مدى حزن يهود العراق لوفاة الملك فيصل عام ١٩٣٣ وعن مدى الخسارة التي لحقت باليهود لفقده لان الرجل كما تقول الصحيفة كان « يعطف على القضية اليهودية .. وكان صديقا للدكتور وايزمان الزعيم الصهيوني ، لانه كان يرى في الصهيونية عاملا من عوامل نهوض بلاد العرب بالاشتراك مع اليهود » .

وقد نشرت الصحيفة نص برقيات التعزية التي ارسلتها اللجنة الصهيونية بمصر الى الامير عبد الله في عمان، والامير غازي ولي العهد في العراق ، في وفاة الملك فيصل ، وبرقيات الشكر التي تلقتها منهما .

اما فيما يتعلق بالاحزاب المصرية فاننا اذا القينا نظرة على المسرح السياسي في مصر خلال النصف الاول من القرن العشرين سنجد ان ابرز الاحزاب السياسية التي كانت موجودة خلال تلك الفترة هي حزب الوفد وحزب الاحرار الدستوريين وحزب الاتحاد وحزب الشعب وحزب مصر الفتاة وحركة الاخوان المسلمين .

كان حزب الوفد أهم هذه الاحزاب جميعا ، فقد برز كقوة سياسية مؤثرة تقود النضال الوطني ضد الاحتلال وضد القصر ، ذلك النضال الذي بلغ ذروته في ثورة ١٩١٩ حينما بدا واضحا مدى تغلغل نفوذه في اوساط الشعب المصري لدرجة انه ظل حتى قيام ثورة ١٩٥٢ حزب الاغلبية بلا منازع .

واذا ما حاولنا التعرف على المفاهيم التي كانت تحكم تفكير قادة هذا الحزب سنجد ان سعد زغلول زعيمه نشأ في احضان حزب الامة الذي رفع لواء القومية المصرية ، ولذلك نجد ان حزب الوفد ايضا رفع لواء هذه الفكرة، كما جاء برنامجه السياسي معبرا عن انتمائه القومي المصري .

وفي الوقت نفسه نجد ان سعد زغلول رفع شعار الوحدة الوطنية والتسامح الديني ، ورفض اية محاولة للتفريق بين جماهير الشعب على اساس الدين ، وقد استفاد اليهود من هذه الظروف ، فقد بادر بعضهم بالانضمام الى حزب الوفد باعتباره حزب الاغلبية ، بل ان بعض الصهيونيين استطاعوا أن يتغلغلوا بين صفوفه لدرجة أن ليون كاسترو مؤسس المنظمة الصهيونية في مصر اصبح السكرتير الخاص لسعد زغلول وصحبه في مفاوضاته الى اوروبا كما ذكرنا ، وقد سمح هذا الوضع بلا شك لكاسترو أن يفيد الحركة الصهيونية، فهو كيهودي استطاع ان يكسب ثقة وصداقة زعيم الامة مما يعطي انطباعا بعدم تعارض النشاط الصهيوني مع النضال الوطني المصري لان كليهما موجه ضد بريطانيا وبالتالي يكفل للصهيونيين حرية الحركة ، كما كان من شأنه ان

يضفي على اليهود مظهرا وطنيا وان يضعف اتهامات خصومهم لهم بعدم الولاء او الانتماء للوطن الذي يعيشون فيه .

اما بالنسبة لبقية الاحزاب فسنجد أن مواقف قادة حزب الاحرار الدستوريين من قضية فلسطين كانت متفاوتة ؛ فقد كان هذا الحزب يضم خليطا من الاقطاعيين والمثقفين الليبراليين ، فعلى حين نجد محمد محمود يبدي تعاطفا قويا نحو اليهود ويعتبرهم عناصر فعالة يمكن أن تفيد البلاد ، نجد ان محمد علوبة باشا يبدي اهتماما شديدا بقضية فلسطين ويدلي بشهادته أمام لجنة التحقيق البريطانية في حوادث البراق عام ١٩٢٩ ، ويشترك في مؤتمر بلودان عام ١٩٣٦ لبحث المشكلة الفلسطينية .

اما المثقفين الليبراليين داخل الحزب امثال الدكتور محمد حسين هيكل فكانت تشغلهم قضايا مصر الوطنية في المقام الاول .

وفيما يتعلق بحزبي الاتحاد والشعب فلم يكن من المأمول ان يهتما بقضية فلسطين لانهما الحزبين اللذين انشأتهما السراي لضرب زعامة الوفد وتنفيذ مخططاتها ، وقد راينا من قبل ما كانت عليه علاقة السراي باليهود ، ولهذا فلم يكن متوقعا أن يشذ هذان الحزبان عن موقف السلطة التي انشأتهما ، أضف الى ذلك ان اسماعيل صدقي مؤسس الحزب الاخير كانت تربطه باليهود علاقات صداقة ، وعلاقات عمل فقد كان دانيال المبيم كوارنيل من اصدق اصدقائه ، لذا وجدناه يتخذ مواقف معادية للفلسطينيين الذين كانوا يقيمون بمصر ، ويتبنى موقفا لا يتسم بأدنى قدر من التعاطف معهم ، فقد اعتقل عام ١٩٢٥ — وهو وزير للداخلية — الوطنيين الفلسطينيين الذين هتفوا ضد بلفور أثناء مروره على مصر لحضور الاحتفال بافتتاح الجامعة العبرية ، وعندما تولى رئاسة الوزارة عام ١٩٣٠ أغلق جريدة « الشورى » الفلسطينية لصاحبها محمد علي الطاهر الذي كان من مؤيدي حزب الوفد في حين أبقى على جريدة « اسرائيل » الصهيونية .

أما بالنسبة لحزب مصر الفتاة وحركة الاخوان المسلمين فقد وقفا موقفا مؤيدا لعرب فلسطين ومعاديا لليهود على طول الخط ، ومع ذلك فلم يكن باستطاعتهما أن يقودا النضال ضد الصهيونية : اولا لانهما كانا متطرفين في حملتهما على اليهود ، فقد كان حزب مصر الفتاة لا يفرق بين اليهودية والصهيونية ، وكان موقفه من اليهود ينم عن كراهيته لهم اما حركة الأخوان المسلمين فكانت تعتبر الصراع بين العرب واليهود صراعا بين اليهودية والاسلام ، وكان هذا يتعارض مع شعارات الوحدة الوطنية التي ارتفعت في ذلك الوقت ، وثانيا لان القضية المصرية كانت هي الشغل الشاغل للجماهير والاحزاب المصرية على السواء .

ونود أن نشير هنا بعد هذا العرض الى أن موقف الاحزاب والحكومات المصرية المتراخي من الحركة الصهيونية انما ينم عن عدم وعي وعدم ادراك لخطورة أهداف تلك الحركة ، وربما ينم ايضا عن نجاح الصهيونية في اقناعهم

بان هدفها هو مجرد ايجاد ملجأ لليهود المضطهدين في أوروبا ، اضف الى ذلك انهم كانوا يعتبرون اليهود جزءا من الشعب المصري في انتمائهم وولائهم ولذلك ابدوا تعاطفهم ازاء اليهود المضطهدين من الناحية الانسانية ، ولكنهم وقفوا في نفس الوقت ضد اغتصاب حقوق عرب فلسطين . فقد بدا المسئولـــون المصريون يهتمون بقضية فلسطين في اعقاب ثورة البراق عام ١٩٢٩ ، ولكن قضاياهم الوطنية والصراع الدائم والمستمر الذي خاضته القوى الوطنية ضد القصر والاحتلال استحوذ على كل اهتماماتهم وشغلهم عن التفكير فيما كان يحدث من حولهم اذ كانت قضايا الجلاء والدستور ووحدة وادي النيل ذات الاولوية المطلقة بالنسبة لهم .

٣ ـ الحرص على الوحدة الوطنية :

قدمت ثورة ١٩١٩ اروع مثال على الوحدة الوطنية التي كانت تجمـــع طوائف الشعب المصري بدرجة فشلت معها كل محاولات الاستعمار لاحداث فتنة طائفية يمكن عن طريقها ضرب الحركة الوطنية دون عناء ، ولذلك ابدى سعد زغلول حرصه الشديد للحفاظ على هذه الوحدة فعين في حكومته وزراء من المسلمين والمسيحيين واليهود ، وتصدى بحسم لكل المحاولات الرامية الى اثارة النعرة الطائفية .

وفي هذا الجو من التسامح تمكن اليهود من ممارسة كافة انواع النشاط ، كما استغلوا اهتمام المسئولين بالوحدة الوطنية وشهروا سيف التعصب في وجه كل من سولت له نفسه مهاجمة اليهود او التنبيه الى خطورة النشـــاط الصهيوني سواء هنا في مصر او في فلسطين ، وكان هذا السلاح كافيا لاسكات الاصوات التي كانت ترتفع ضدهم او لصرف الناس عن الاستماع اليها ، ومما يساعدهم على ذلك العطف الذي ابدته دول العالم نحوهم بسبب الاضطهاد الذي كانوا يتعرضون له في المانيا واوروبا الشرقية ولذا كانت مصر حريصة على القضاء على كل ما من شأنه اثارة التعصب ضد اليهود حرصا على صورتها امام العالم .

ومن منطلق هذا الحرص هددت صحيفة « السياسة » بطرد الفلسطينيين المقيمين في مصر ممن حاولوا توضيح حقيقة الموقف في فلسطين اثناء احداث المبكى عام ١٩٢٩ خوفا من اثارة الفتنة الطائفية .

وبالاضافة الى الظروف السابقة يمكننا ان نضيف عاملين اخرين اسهما في افساح المجال امام النشاط الصهيوني في مصر اولهما سيطرة اليهود علـــى جوانب هامة من الاقتصاد المصري ، وقد كان هذا من شأنه ان يحول دون اتخاذ اي اجراءات ضد الصهيونيين الذين كانوا يتمتعون بدعـــم وتأييد معظـــم الراسماليين اليهود ، وثانيهما اسهام بعض الصحف المصرية في عرض وجهة النظر الصهيونية عملا بحرية النشر مما كان له اثر كبير في تضليل الرأي العام

لفترة طويلة ، فقد افسحت صحيفة « الاهرام » صدرها للصهيونية للرد على وجهات النظر المخالفة لهم ، وعرض أفكارهم البراقة الخادعة ، كما ان صحيفة « المقطم » بـ سفها الصحيفة المؤيدة للاحتلال البريطاني ساهمت في خطـة التوضيح الـ ـبيونية هذه لدرجة ان الكتاب اليهود وضعوا ثقتهم فيها ، وقد عبر احدهم وهو روفائيل ليناود عن ذلك بقوله « نرى في المقطم الحر مجـالا لاقلامنا وبث افكارنا ، فعلينا أن نثق بها كما نثق بالصحف الخاصة بنا » .

واشار حاييم وايزمان في مذكراته الى شيء من هذا القبيل اذ يقول انه عندما زار مصر عام ۱۹۱۸ لم يلمس أي روح عدائية في الدوائر التي كان يسيطر عليها الدكتور فارس نمر وامثاله اصحاب « المقطم » العظيم .

كذلك كانت مجلة « المقتطف » من بين تلك الصحف المصرية التي كانت تنشر اخبار الصهيونية ونشاطها ولكن من وجهة نظر الصهيونيين ، ويكفي أن شاهين مكاريوس احد اصحابها اصدر كتابا عام ١٩٠٤ باسم « تاريـخ الاسرائيليين » نشرته مطبعة المقتطف ، تناول فيه بالتمجيد اعمال اليهـود وتاريخهم في مصر ، بل انه تحدث عن الجمعية الصهيونية ووصفها بأنهـا « عظيمة ، وتهدف الى شراء قرية المطلة في قضاء مرج عيون بولاية بيـروت واستيطان اليهود لها ، وشراء اراض في جهات الحولة وطبريا ويافا وحيفا » .

في ظل هذه المتغيرات كان الطريق معبدا امام الصهيونيين لممارسـة نشاطهم في البلاد . ولكن ليس معنى هذا ان المصريين ظلوا في غفلة طـوال الوقت ، اذ سرعان ما أنتبهوا لحقيقة ما يجري في فلسطين ، وهبت بعـض الاحزاب والهيئات تمد يد العون لاخوان العروبة ، وعبر الراي العام المصري عن اهتمامه بالقضية الفلسطينية بالمظاهرات التي كان ينظمها في ذكرى تصريح بلفور تأييداً لعرب فلسطين ، وفرق المتطوعين التي رحلت الى هناك لخوض المعركة ضد الصهيونية ، كما بدات صحيفة « الاهرام » في متابعة احـداث فلسطين من منطلق قومي عربي ، بينما عينت صحيفة « المقطم » مندوبا خاصا لها في فلسطين ليوافيها بحقيقة الموقف هناك ، ولكن هذا التحول لم يكن كافيا اذ لم يخرج عن مجرد ابداء العطف ولم يتخذ شكل العمل الفعال الا في عام ١٩٤٨ حينما خرج الجيش المصري ليخوض معركـة العروبـة على أرض فلسطين .

★★★

وفي الوقت الذي بدأ فيه المصريون يتنبهون للخطر بدات الصحافـة اليهودية سعيها ايضا لابعاد مصر عن الصراع العربي الصهيوني في فلسطين للاعتبارات التالية :

أولا : أن مصر بامكاناتها المادية والبشرية بمقدورها تحويل الصـراع

العربي الصهيوني الى غير مصلحة اليهود لو انها القت بثقلها في كفة عرب فلسطين .

ثانيا : وزن مصر وتأثيرها داخل العالم العربي وما يمكن ان يؤديه ابتعادها عن الصراع من تشجيع للبلدان العربية الاخرى على ان تحذو حذوها .

ثالثا : ان بمصر طائفة يهودية كبيرة كان تأييد مصر للفلسطينيين سينعكس اثاره عليها ، وكان سيحول دون الحصول على عون اليهود المصريين لحركة الاستعمار اليهودي في فلسطين .

لكل هذه الاسباب وغيرها سعت الصحافة اليهودية الى عزل مصر عن قضية فلسطين ، ولذلك نجد صحيفة « الشمس » اليهودية تسدي نصحها الى المصريين بدعوى الحرص على مصالح البلاد الوطنية فتقول انه « ليس من مصلحة المصريين ان تكون المسألة الفلسطينية موضع مناقشات حزبية حيث ان لدى مصر كثيرا من المسائل التي تتطلب بذل الجهود لتجعل من استقلالها المسطور في معاهدة ١٩٣٦ حقيقة ملموسة .. وانه بمقدور مصر ان تعطف على فلسطين بالطرق السياسية اما أن تغدو مسألة فلسطين سببا من اسباب النضال الحزبي فليس في ذلك مصلحة مصر ، لان مصلحة البلاد تقتضي ابعاد المسائل الخارجية عن الشهوات الحزبية ، حتى لا تظهر مصر امام الدول متفرقة الكلمة ، لا تعرف الاتحاد على مسألة بعيدة عنها » .

وبالاضافة الى ما سبق سعت الصحف اليهودية في مصر الى تشجيع التقارب بين مصر وفلسطين في المجالات الاقتصادية والثقافية ولذلك عندما قررت الحكومتان المصرية والفلسطينية تاليف لجنة مشتركة مهمتها توثيق العلاقات التجارية بين البلدين باركت الصحف اليهودية هذه الخطوة وتابعت انباء هذا التحرك ، وفي عام ١٩٣٥ حينما قام أعضاء اللجنة من الجانب الفلسطيني بزيارة لمصر كتبت « الشمس » تبين الفوائد التي يمكن ان تعود على التجارة المصرية على اساس ان فلسطين تعتبر سوقا هامة لمصر ، فهي تأتي في المرتبة التاسعة بين الاقطار المستوردة من مصر في حين ان فلسطين تأتي في المرتبة السادسة والعشرين فيما تصدره اليها .

وفي ميدان تشجيع العلاقات الثقافية قام لوسيان شوتو نائب رئيس الجمعية الصهيونية بالقاهرة ومارك اوبنهايم مدير بنك الكيرن كايمت بتوجيه دعوة الى احمد زيور باشا نيابة عن اللجنة الصهيونية التنفيذية بلندرة لحضور حفل افتتاح الجامعة العبرية ، وقد لبت الحكومة المصرية الدعوة واوفدت احمد لطفي السيد مدير الجامعة المصرية ممثلا عنها ، وقد اشادت مجلة « الاتحاد الاسرائيلي » بهذه الخطوة واعتبرتها افضل وسيلة لتعزيز التعاون الثقافي بين البلدين .

وفي اطار التعاون والتبادل الثقافي والرياضي بين مصر وفلسطين قدمت فرقة رياضية فلسطينية الى مصر عام ١٩٣٠ لاجراء مباراة مع منتخب مصر ويومها كتب أحد الفلسطينيين في احدى الصحف المصرية يقول : ان المنتخب

ليس فلسطينيا لان غالبية اعضائه من اليهود ، ولكن صحيفة « اسرائيل » تصدت له واتهمته بانه يريد اقحام السياسة في الشئون الرياضية ، وتساءلت قائلة « اليس من حق اليهود ان يدعوا العروبة والعربية لا زالت تعتز بتراث شعرائهم العرب الى هذا اليوم . »

ويبدو ان المصريين كانوا ينخدعون بهذه الاقوال رغم ان ما كانت تمارسه الصهيونية في فلسطين لم يكن ينتمي الى العروبة في شيء ، ففي عام ١٩٢٦ قامت جمعية المعلمين اليهود في القدس بزيارة لمصر ، وقد رحبت الحكومة المصرية بهذه الزيارة وقدم لهم القنصل المصري في فلسطين كافة التسهيلات . كما استقبلتهم الحكومة هنا استقبالا حافلا ، واعدت لهم برنامجا ممتازا . ثم قام المعلمون اليهود المصريون برد الزيارة بعد ذلك ، وفي الحقيقة فان هذه التحركات كانت تتم في اطار تعزيز العلاقات بين يهود مصر ويهود فلسطين تحت ستار التعاون الثقافي بين الجارتين الشقيقتين مصر وفلسطين .

ومن الواضح ان تشجيع الصحافة اليهودية للعلاقات الثنائية بين مصر وفلسطين كان نابعا من خوفها من تعريض الصناعة التي اقامها اليهود في فلسطين لخطر المقاطعة الذي كان سيحرمها من احتياجاتها من المواد الخام ومن ايجاد اسواق لمنتجاتها حتى ولو لدى الطائفة اليهودية الموجودة في مصر الامر الذي كان سيخلق عقبات امام الكيان الناشىء في فلسطين اذ تؤكد لنا الاعلانات التي كانت تنشرها الصحف اليهودية في مصر عن منتجات المصانع اليهودية في فلسطين اعتمادهم على السوق العربي وعلى الطوائف اليهودية في البلدان العربية كمستهلك لتلك المنتجات .

وفي الحقيقة فان اهتمام الحركة الصهيونية بمصر كان يرجع الى تقديرهم لدورها داخل المنطقة العربية ووزنها على الساحة الدولية وقد عبرت صحيفة « الشمس » عن ذلك بقولها انه « اذا تسنى لليهود كسب عطف المصريين عليهم مهد ذلك لطمأنينة اليهود الشرقيين باعتبار ان مصر هي قلب الشرق الخافق » .

ومن ناحية اخرى كانت المنظمة الصهيونية في مصر تعلق اهتماما كبيرا على امكانيات الطائفة اليهودية الموجودة في البلاد في ذلك الوقت فقد رات انه يمكن لهذه الطائفة ان تقدم عونا قيما للحركة الصهيونية خلال المرحلة الاولى من الدولة على اعتبار ان يهود مصر لعبوا دورا بارزا في النشاط الاقتصادي في مصر وتعاونهم مع الحركة كان سيسمح لها بتجنب خطوات خاطئة كثيرة على طريق التنمية الاقتصادية في فلسطين ، هذا الى جانب انها وجدت ان مصر تعتبر حقلا للدراسات ومركزا لاستطلاع الراي العام في الشرق الاوسط وحكانا لاعداد الرجال المحنكين .

من هنا كان حرص الحركة الصهيونية على ابعاد مصر عن قضية فلسطين وعلى اقامة علاقات صداقة معها واحدا من الاهداف الرئيسية التي وضعتها

في اعتبارها ولكنها لم تجد الميدان خلوا امامها باستمرار، فقد اصطدمت في هذا المسعى بالصحافة الوطنية المصرية وبالكتاب الوطنيين المصريين الذين احسنوا بالخطر وحملوا على عاتقهم مسئولية التصدي له وتوعية الراي العام به ، ولكن الصهيونية لم ترضخ للواقع بل بذلت محاولات شتى للتاثير على الصحافة المصرية واسكات الاصوات المعارضة منها ما يلي :

١ ــ سلاح الاعلانات والمصروفات السرية :

يرى بعض الباحثين ان اليهود يتبعون في محاولاتهم للتاثير على أجهزة الاعلام في اي دولة اسلوب السيطرة الكلية وذلك عن طريق وكالات الاعلانات التي يمتلكونها بحيث تصبح الجريدة المراد السيطرة عليها مرتبطة ارتباطا مصيريا بوكالات الاعلان هذه .

فمن المعروف أن معظم الصحف في جميع البلدان تعتمد على الاعلانات كمورد اساسي للتمويل نظرا لان ايرادات الصحيفة من بيع صحفها لا تفي مطلقا بمتطلباتها ، لهذا كان الاعلان سلاحا يستخدمه صاحبه في املاء شروطه وتوجيه الجهاز الاعلامي الذي يتعامل معه وفق مشيئته .

ولما كانت كل الاعلانات في مصر تقريبا عن متاجر يهودية أو عن بضائع يقوم اليهود بتسويقها فانه يمكننا ان ندرك مدى امكان استخدام اليهود لسلاح الاعلانات في التاثير على الصحافة المصرية .

وقد كشفت لنا صحيفة « مصر الفتاة » عن ان اليهود انشاوا مكتبا في الثلاثينات من هذا القرن مهمته في باديء الامر ان يراجع جميع الصحف والمجلات المصرية ، حتى اذا وجد فيها كلمة واحدة تمس اليهود او صالح اليهود فمثل هذه الجريدة يلفت نظرها ، فان عادت الى انتقاد اليهود قطعوا عنها جميع اعلانات المتاجر اليهودية ، وبهذا الاسلوب ضمن اليهود الا تقال كلمة ضدهم ، ولكن لم يقف المكتب اليهودي عند هذا الحد، فقد ذهب الى ابعد من ذلك، اذ راح يطلب من الجرائد أن تكتب بما يتفق مع سياستهم ، وفي مقابل ذلك يزيدون في كمية الاعلانات للجريدة ، ويتقدمون لها اعانات مالية كلما زادت في مناصرتهم .

وتذكر الصحيفة انه حدث أن كتبت عدة مقالات بمناسبة حوادث الاعتداء التي وقعت ضد اليهود في البانيا ، فارتاح هذا المكتب لها وتقدم المشرفون عليه عارضين أن يمدوا الجريدة بالاعلانات اليهودية ، وقد اتاحت هذه الفرصة للقائمين على الصحيفة ان يكشفوا الرقابة الضخمة التي قام بها اليهود على كل حرف كان يكتب في الصحف المصرية ، وكيف كانوا يوقعونها في حبائلهم بأن يقدموا لها الاعانات والاعلانات متظاهرين باديء الامر بانهم لا يطلبون شيئا حتى اذا عرفوا ان الجريدة بدات تعتمد على مواردهم شرعوا يتحكمون فيها ويهددونها بسحب معونتهم ، فتضطر الى النزول عند رغبتهم .

ويذكر احمد حسين زعيم حزب مصر الفتاة أيضا انه في عام ١٩٣٨ والثورة الفلسطينية في أوجها ، وصحيفة « مصر الفتاة » تطفح بالمقالات النارية ضد الصهيونية وضد ما يرتكبه الانجليز في فلسطين لحسابهم ، طلب صحفي يهودي مقابلته ، وعندما التقيا سأله الصحفي اليهودي المصري عن السبب في تلك الحملة الشعواء التي تشنها صحيفته وحزبه على يهود فلسطين ، ثم تطرق الحديث بعد ذلك عما اذا كانت « مصر الفتاة » مستعدة لنشر اعلانات لليهود ، فأوضح احمد حسين انه لا مانع طالما ان ذلك يدخل في اطار سياسة الصحيفة بألا تنشر الا لتاجر مصري أو عن بضاعة مصرية ، وعلى الفور طلب الرجل عقدا بألف جنيه في السنة ودفع المبلغ مقدما ، ويعترف أحمد حسين بأنه ذهل لضخامة المبلغ لان الصحيفة كانت تطبع في كل اسبوع بخمسة عشر او عشرين جنيها فقط ، وقد جعله الخوف من ضخامة المبلغ ، ودفعه مقدما : ان يطلب من صديقه المحامي — الذي توسط في عقد اللقاء — ان يحتفظ بالمبلغ حتى يتم تنفيذ العقد وتبين الامر .

ويضيف أحمد حسين انه فوجيء « في اليوم التالي لعقد الاتفاق بتليفون الصحيفة يدق بصورة متوالية وكلها من كبريات المتاجر اليهودية في مصر : شيكوريل ، شملا ، بنزايون ، داود عدس ، وكلها تطلب ارسال مندوب ليأخذ اعلانا ، وكأن كلمة السر قد اعطيت لهم فراحوا يتنافسون في نشر الاعلانات، ولما سألنا اذا كان نشر هذه الاعلانات جزءا من العقد الذي ابرمناه قالوا لا علم لهم بهذا العقد ، ولكنهم يريدون نشر اعلاناتهم ودفع الاجرة التي نقدرها » .

وعلى الفور ادرك أحمد حسين ان « مبلغ الالف جنيه الذي دفع انما كان مجرد رشوة للصحيفة حتى تكف عن مهاجمة اليهود ، وان تلك المحاولة من جانب المحال اليهودية محاولة التفاف على الصحيفة بقصد استهلاك اكبر مساحة ممكنة منها في الاعلانات خصوصا وان بعضها كان يطلب اعلانا على صفحة كاملة ، وبقصد استغلال تلك الاعلانات كسلاح لاسكات الصحيفة عن الخوض في قضية فلسطين ومهاجمة الصهيونيين » .

ويروي أحمد حسين محاولة أخرى للسيطرة على « مصر الفتاة » فيقول « أن رجلا يهوديا يدعى الياس شقال جاءه وابلغه انه يدير مكتب صحافة ويريد الاشتراك في الجريدة بعشر نسخ ، ويريد أن يبعث من حين لآخر ببعض بيانات لتنشرها الصحيفة وذلك في مقابل عشرة جنيهات شهريا ، ولكن احمد حسين تعمد أن يضاعف حملته ضد الصهيونية ، فجاءه الرجل ومعه نسخة من اخر عدد من « مصر الفتاة » وقد خط بالاحمر تحت كل سطر له عليه ملاحظة وأوضح له ان هذه الحملة من الاثارة بحيث تنعكس اثارها على اليهود في مصر ، ومع ذلك فقد تضاعفت اعلانات المتاجر اليهودية ، ولكن احمد حسين كان قد اكتشف الخطة وطلب من الرجل الغاء كل عقودهم معه ومنها عقد الالف جنيه .

ولم تكن صحيفة « مصر الفتاة » هي الوحيدة التي اتبعوا معها هذا الاسلوب اذ يذكر لنا الدكتور محمد حسين هيكل في مذكراته : « ان دعاة اليهود شمروا بما قد يترتب على المقاومة العربية في فلسطين من اثر يتجاوز بلاد كنيسة القيامة والمسجد الاقصى الى ما وراءها من الاقطار العربية ، فبذلوا جهودهم ليحولوا دون تأييد مصر لجارتها الصغيرة، وقد جاءنا في جريدة « السياسة » يهودي بدأ يكتب عندنا مقالات في شئون شتى لا علاقة لها بفلسطين ولا بالهجرة اليهودية ، ثم حدثني في تأييد « السياسة » للحركة الصهيونية بحجة ان العرب واليهود من الجنس السامي الذي يقاومه الاوروبيون بكل قوتهم ، وزاد على ذلك ان « السياسة » تفيد من هذا التأييد فائدة مادية جسيمة ، فاعتذرت له عن عدم اجابة مطلبه ، فالسياسة جريدة حزبية طابعها اسلامي وتأييدها للحركة الصهيونية لا يتفق مع مبادئنا ، وعرض الرجل ان نجعل من « السياسة » منبرا حرا في هذا الاتجاه فاعتذرت مرة اخرى . . واحسب ان جهودا من هذا النوع قد بذلت لدى غير « السياسه » من الصحف فلم تلق من الاثر خيرا مما لقيت عندنا .

ويؤكد حافظ محمود ان جريدة « السياسة » الاسبوعية نشرت له ذات يوم مقالا صريحا في مناهضة التحركات الصهيونية التي كانت تتحفز اذ ذاك لاقامة اسرائيل على ارض فلسطين ، وفي أعقاب نشر هذا المقال اكتشفت الصحيفة انها تلاقي اشد الصعوبات في الحصول على ورق وحبر الطباعة وما إن عالجت هذه الازمة حتى اكتشفت خللا في آلة الطباعة التي تتبعها وان هناك ما يشبه الاضراب عن اصلاح هذا الخلل من جانب المشتغلين الاجانب بهذه الصناعة ثم اكتشفت الجريدة ان اصابع الصهيونية كانت وراء هذا الموقف .

ويرى بعض الصحفيين المصريين امثال حافظ محمود ومحمد فهمي عبد اللطيف بجريدة « الاخبار » ان « شركة الاعلانات الشرقية » Société Orientale de Publicité التي كانت مصرية في الظاهر ويهودية في الباطن قامت بدور كبير في التاثير على الصحف المصرية ، فعلى الرغم من انها كانت مملوكة لرجل تركي يدعى فيني الا انه استعان في تسيير اعماله بكثير من اليهود الذين كان منهم مندوبون للاعلانات وكتاب في الصحف الاجنبية التي أصدرتها الشركة مثل La Bourse, Le Progrès Egyptien

Sphinx, و Egyptian Gazette, و Egyptian Mail, و Egyptienne

وقد ظل اليهود يرتقون المناصب الهامة في الشركة الى ان اصبح مديرها يهوديا يدعى هنري حاييم .

تعرضت « شركة الاعلانات الشرقية » لاتهامات من جانب بعض الصحف المصرية التي ذكرت انها تمارس تاثيرا على الصحف المصرية بما يخدم الصهيونية واهدافها ، وقد اثبتت هذه الصحف ان هنري حاييم مدير الشركة كانت له علاقات وثيقة بالصهيونية في فلسطين ، فقد اشارت صحيفة

« التسعيرة » ان حاييم قام بتصدير كمية كبيرة من السكر والارز الى عصابة شتيرن في فلسطين عام ١٩٤٥ في حين ان ازمة السكر والارز كانت ضاربة باطنابها في البلاد ، وتحدت الصحيفة حاييم بنشر أذن التصدير ان هو حاول ان ينفي ذلك .

واتهمت « التسعيرة » هنري حاييم بأنه عين البير ستار سزكي مندوب اتحاد الصهيونية العالمي واحد اعضاء عصابة شتيرن محررا في البورص اجيبسين ورئيسا لتحرير جريدة « الاسكندرية » اللتين تشرف عليهما الشركة بناء على توصية من الجهات الصهيونية لفلسطين حتى يتمكن ستار سزكي من الاقامة بمصر والقيام بأعماله فيها دون ان يخشى اي اجراء ضده من السلطات الرسمية المصرية .

ويروي البرت مزراحي صاحب « التسعيرة » أن بعض العاملين بهذه الشركة حاولوا التأثير عليه ، وعرضوا ان يمدوا جريدته بما يشاء من الاعلانات مقابل أن ينشر دعاية خفية عن الصهيونيين والصهيونية .

واتهم مزراحي ايضا « شركة الاعلانات الشرقية » ومديرها بانهما يسهلان للصحف الصهيونية التي تصدر في مصر سبل الحصول على حاجتها من الورق في الوقت الذي كانت تعاني منه البلاد من ازمة في ورق الصحف خلال الحرب العالمية الثانية ، ولكن الشركة كانت تمنح الورق من تشاء وتمنعه عمن تشاء : فقد قامت بتزويد صحيفة « الشمس » ومجلة « الكاتب المصري » والمستشفى الاسرائيلي بحاجتهم من الورق برغم صدور قانون اثناء الحرب يحرم بيع ورق الصحف والاتجار فيه ويعفي وزارة التموين من مسئولية توفير الورق للصحف الجديدة الا ان مجلة « الكاتب المصري » التي صدرت بعد هذا القانون استطاعت ان تحصل على حاجتها من الورق عن طريق هذه الشركة .

وقد ذكرت صحيفة « التسعيرة » أيضا انه كانت في مصر حركة سرية نشيطة لكسب صداقة الصحف والمجلات العربية ، وذلك عن طريق الرشوة الصريحة ، فهم يوزعون مبالغ اسبوعية واعلانات تجارية على طريقة المصروفات السرية ، وقد ظهرت آثار هذه الرشوة السخية في مقالات دفاع عن الصهيونية او على شكل خطابات او محاورات او مقالات منقولة عن صحف عالمية اخرى .

٢ — متابعة ما ينشر في الصحف المصرية :

عنيت بعض الهيئات اليهودية بقراءة الصحف المصرية للوقوف على ما تنشره عنهم حتى يمكنهم اولا فأولا أن يصححوا المعلومات الخاطئة التي تنشر عنهم وأن يردوا على الفور على ما يكتب ضدهم ، ولهذا واظبت هذه الهيئات

على زيارة ادارات الصحف لتنويرها بالنسبة للشئون اليهوديـة ولتحسين لهجتها نحو اليهود .

ولم تدخر الهيئات اليهودية وسعا في تتبع الصحف المصرية التـي اظهرت عطفها على اليهود فكانت ترسل لبعضها من وقت لاخر الشكر والثناء والمديح حتى تواصل السير في هذا الطريق. (١)

كذلك فان الصحف اليهودية كثيرا ما عقبت على ما كانت تنشره الصحف المصرية فهاجمت كل ما كان يتعارض مع أهدافها ، واشادت بكل ما اتفق مـع خطتها .

وفي هذا المجال نجد ان صحيفة « اسرائيل » تشيد بمقال للدكتور محمد حسين هيكل لانه دعا الى حل مشكلة فلسطين من خلال التفاهم بين العرب واليهود دون وساطة من انجلترا او عصبة الامم ، وذلك بتشكيل لجنة عربية يهودية تقوم بهذه المهمة ، كما ان صحيفة « الشمس » كانت تنقل مقـالات كاملة نشرتها الصحف المصرية ووجدت فيها ما يدعم خطتها من ذلك مقـال للدكتور طه حسين نشره في مجلة « الثقافة » يدافع فيه عن كرامة هنـري برجسون الفيلسوف اليهودي الفرنسي .

٣ ــ التغلغل :

وجد اليهود ان هناك صحفا لا يمكن امتلاكها او التحكم فيها بطرق مباشرة لهذا فقد خططوا لان يتغلغل ابرز اليهود العاملين في الحقل الصحفي فيهـا بحيث يستطيعون بعد فترة وجيزة من الزمن تسلم المراكز الحساسة فـي الصحيفة ومن ثم توجيهها الوجهة التي تتماشى مع خطتهم .

وهنا في مصر امتد نفوذ اليهود وتغلغل داخل الصحف التي كانت تصدرها شركة الاعلانات الشرقية مثل صحيفة La Bourse Egyptienne du Dimanche التي كـان يرابس تحريرهـا واحدا من زعمـاء الصهيونية في مصـر وهـو البرت ستراسلسكي و Le Journal du Caire الذي كان يراس تحريره صهيوني اخر هو Jean Lugol ، وغيرها هذا بالاضافة الى أن معظم الصحفيين العاملين فيها كانوا من اليهود .

وفي دار الهلال اكبر مؤسسة صحفية في مصر قبل الثورة كان البير انكونا يشغل منصب مدير الاعلانات في هذه الدار ، كما كان رئيسا للتحرير في مجلة « ايماج » Image ، كذلك كان يشغل منصب مدير الاعلانات في صحيفة « الاهرام » يهودي اسباني يدعى ايخمان ، وفي صحيفة « الاساس » يهودي أخر يدعى كوهين .

---

(١) صحيفة الشمس في ٣ــ٧ــ١٩٣٦ العدد ٩٢

الفصل الثالث

اولا : مولد الصحافة اليهودية :

١ ـ صحيفة أبو نضارة :

بدأت علاقة اليهود بالصحافة المصرية حينما اصدر يعقوب بن صنوع الاسرائيلي أول مجلة هزلية في مصر تدعى « أبو نضارة زرقا » كجريدة مسليات ومضحكات وذلك في عام ١٨٧٧ .

وعلى الرغم من ان هذه الصحيفة صدرت كجريدة هزلية بهدف التسلية والاضحاك الا اننا نجد ان ابن صنوع قدم في الأعداد الخمسة عشر التي صدرت من مجلته في مصر فصولا تمثيلية تشتمل على نقد للحياة الإجتماعية والسياسية في البلاد ، وتصور في المحاورات التي كان يجريها مع ابطال حكاياته مدى الظلم والعبث بحياة الافراد في عهد الخديو اسماعيل .

وكان يعقوب بن صنوع ـ حتى نهاية العدد الخامس من المجلة ـ ينتقد حاضره بنقد ماضيه ، ولكن نجاح صحيفته المتزايد شجعه على كشف النقاب عن وجهه ليهاجم الخديو اسماعيل هجوما مريرا من خلال شخصية شيخ الحارة

التي كانت ترمز للخديو نفسه ، مما اغضب الحكومة ، فقررت اغلاق الصحيفة والتخلص من صاحبها بنفيه خارج البلاد .

اقام ابن صنوع في باريس ومن هناك واصل اصدار صحيفته ، ولكن الحكومة كانت تمنع دخولها ، وتصادر اعدادها فكان يتحايل على ذلك باصدارها تحت اسماء مختلفة مثل : رحلة ابي نظارة زرقا ، وابو نظارة لسان حال الامة المصرية الحرة ، وابو نظارة مصر للمصريين ، والحاوي ، والتودد ، والمنصف، والنظارات المصرية ... الخ وهكذا ظل يواصل اصدار صحفه الى ان توفي في عام ١٩١٢ .

ومن الجدير بالذكر ان جريدة « ابو نضارة زرقا » اسهمت في تحرير اسلوب الكتابة الصحفية في مصر فيما بعد من القيود التي كانت تكبله ممثلة في اساليب الكتابة البلاغيـة التي تعنى بالسجـع والجناس والطبـاق وغيرها ، اذ شجع نجاح المجلة كثيرا من الصحفيين على الكتابة بأسلوب صحفي سهل خال من كل هذه التعقيدات .

وبالاضافة الى ذلك كانت « ابو نضارة زرقا » أول صحيفة فكاهية تصدر في مصر ، اذ تشير دراسة لعادل امين الصيرفي عن صحافة الفكاهة وصحافييها في مصر الى ان المؤرخين اجمعوا على ان هذه الصحيفة كانت فاتحة عهـد الصحافة الفكاهية في مصر .

والذي يهمنا هنا ان الاراء اختلفت حول تحديد اتجاهات وولاء ابـن صنوع : فقد ظل البعض يعتبره ـــ ولفترة طويلة ـــ واحدا من الوطنيين الذين قاوموا ظلم الاسرة الخديوية في مصر ، وعارضوا الاحتلال البريطاني ، ولكن اثبتت بعض الدراسات الحديثة انه كان يقوم من خلال موقفه هذا بخدمـة مصالح دول اجنبية في مصر ، ويستند انصار هذا الراي الى دفاع ابن صنوع عن الاجانب على صفحات جريدته ، هذا بالاضافة الى ان ايمان ابن صنوع بالتراث الفرنسي والحضارة الفرنسية والتجاه الى فرنسا بعد نفيه من مصر دفع البعض الى الاعتقاد بأن ثمة علاقة خاصة قد نشأت بينه وبين الفرنسيين جعلته يدافع عن أطماع فرنسا في مصر ، وذلك من خلال دفاعه عن الفرنسيين ووصفهم بأنهم الاصدقاء المخلصون للمصريين وهجومه على بريطانيا وزعمه بأنها الدولة الغربية الوحيدة التي تطمع في مصر .(١)

ومما يدفعنا الى تأييد هذا الراي ذلك التنافس الذي كان قائما بيـن انجلترا وفرنسا بدرجة دفعتهما الى القيام بحملات متكررة لاحتلال البلاد ، ولهذا كان طبيعيا ان يسعى كل طرف منهما الى ايجاد منابر تروج لسياسته وتدعو له بين الشعب والحكومة ، ولهذا اعتبر البعض صحيفة « أبو نضاره

---

(١) سعيد محمد السيد احمد : الصحافة العربية في عصر اسماعيل ـــ رسالة ماجستير ـــ أ ص ٢١١ـــ٢١٢

زرقا » منبرا فرنسيا .

وهناك رأي اخر يرى ان ابن صنوع جعل صحيفته وسيلة للارتزاق : فتوزيع الصحيفة لم يكن ليفي باحتياجات التحرير والطبع في حين ان ثمن النسخة الواحدة لم يكن ليزيد عن نصف قرش ، هذا بالاضافة الى خلوها من اي إعلانات مما دفع البعض الى القول بانه حصل على اعانات مختلفة من القنصليات الاجنبية ان لم يكن قد جعلها وسيلة للابتزاز .

ولعل الشيء الذي قد لا يعرفه الكثيرون هو ان ابن صنوع كان يؤيد الجهود التي بذلتها الصهيونية لاقامة وطن قومي لليهود في فلسطين : فقد ذكر نسيم ملول في كتابه (اسرار اليهود) ان ابي نضارة كان في طليعة المؤيدين له في اصدار هذا الكتاب بما اظهره من دلائل الاعجاب ، وانه قد بعث برسالة الى والده موسى حاييم ملول من باريس في الاول من مارس سنة ١٩١١ يقدر له هدفه في الدفاع عن الامة الاسرائيلية المسكينة المشتتة في مشارق الارض ومغاربها . (١)

وهكذا يتضح لنا انه على الرغم من ان ابن صنوع لم ينشر شيئا في صحفه عن الصهيونية والوطن القومي فانه كان يؤيدها ، وليس ادل على ذلك من تاييده لنسيم ملول ولوالده اللذين كانا يدافعان عن الصهيونية ويدعوان لها .

٢ — صحيفة الكوكب المصري :

اما ثانية صحيفة عربية أصدرها يهودي في مصر فهي صحيفة « الكوكب المصري » وكان ذلك في عام ١٨٧٩ لصاحبها ومنشئها موسى كاستلي صاحب المطبعة الشهيرة التي عرفت باسمه وهي صحيفة سياسية علمية ادبية تجارية ، وقد عمرت هذه الصحيفة اربع سنوات ، لكنها كانت اقل انتشارا من (الاولى) في مصر « كالاهرام ومصر » وغيرها ، ويرجع فيليب دي طرازي السبب في ذلك الى انها كانت قليلة الجراة ، ولم تكن لها خطة معروفة كسائر الصحف الاخرى .

ويرى احد الباحثين « ان كاستلي وهو صاحب مطبعة تجارية بحارة الاسرائيليين كانت تدعى « المطبعة الكاستلية » تطلع الى انشاء جريدة يحصل عن طريقها على عطف الخديو وكرمه ، وشجعه على ذلك ما رآه من سخاء اسماعيل على الصحف المؤيدة له ، فشرع في انشاء جرنال يكون للامة يشتمل على غرر ادبية ومسائل تجارية ومطالب سياسية وشوارد صناعية » .

٣ — صحيفة الميمون :

وفي عام ١٨٨٩ أصدر كاستلي جريدة أدبية فكاهية يومية تدعى «الميمون»

---

(١) خيرية قاسمية : النشاط الصهيوني في الشرق العربي وصداه — رسالة دكتوراه ص ١٠٢

كانت تصدر باللغة العربية ، جزء منها بالفصحى ، والاخر بالعامية ، ليوافق هزلها المقصود منها .

وهي بدورها صحيفة « لا لون لها ولا طعم والفكرة في ذاتها قد تبدو براقة للبعض — فكرة اصدارها بالفصحى والعامية — ولكنها في واقع الامر لا تعالج اختلاف لغة الكتابة عن اللغة الدارجة ولكنها تعمق هذا الخلاف وتؤكده .

« وتؤكد دراسة صحف كاستلي انه لم يقصد بها سوى الكسب المادي حيث انه جعلها وسيلة يتزلف بها للحكام والامراء وقد حاول بعقلية ابناء جنسه المتفهمة لاوضاع العصر ودقائقه ان يرضي الجميع فلم يرضى احد عنه وآلت صحفه الى الفشل » (١) .

وحينما وقعت مصر فريسة للاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢ عمدت سلطات الاحتلال الى زيادة العناصر غير المصرية في الصحافة ، فشجعت مختلف الجنسيات والديانات على اصدار الصحف العربية في مصر ، وقد عبر عن ذلك الخديو عباس حلمي بقوله : « ان الصحافة المصرية كانت في تلك الفترة الى حد ما في ايدي اجانب او فريق من الامة يؤثر ارضاء مطامحه على المحافظة على مصلحة مصر وملاطفة الدولة المحتلة » . (٢)

٤ — صحيفة الحقيقة :

في هذا الوقت صدرت بمدينة الاسكندرية في الاول من مارس ١٨٨٩ صحيفة « الحقيقة » جريدة ادبية علمية تاريخية تصدر صباح كل خميس لصاحبها فرج مزراحي .

سارت هذه الصحيفة في الطريق الذي شجعه الاحتلال البريطاني ، فابتعدت عن الخوض في المسائل السياسية ، ولكنها في مقابل ذلك اهتمت بالشئون الزراعية نظرا لان بريطانيا كانت تشجع الاهتمام بالزراعة في مصر ، وتشجع ايضا على اصدار الصحف الزراعية .

والى جانب ذلك عنيت الصحيفة بالمسائل اليهودية : فمنذ صدور عددها الاول بدأت في نشر قصة مسلسلة امتدت الى العدد العشرين من الصحيفة تحت عنوان « السلسبيل في اسرار بني اسرائيل » وتتحدث هذه القصة عن الاضطهاد والعنف اللذين يتعرض لهما اليهود في الشتات بعيدا عن ارض آبائهم واجدادهم، وعن الاضطهاد الذي لاقوه على يد بختنصر حاكم الدولة البابلية وتدميره لاورشليم وسبيه لليهود . وتتخلل هذه القصة فقرات على لسان الاجداد عن

---

(١) سيد محمد السيد احمد : مرجع سابق ص ١٩٧

(٢) سامي عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال البريطاني ص ١١١.

حتمية عودة الابناء الى القدس وارض الميعاد ليعمروا خرائبها ويزرعوهـــــا كروما وزيتونا .

اهتمت « الحقيقة » ايضا بنشر اخبار اليهود الهامة سواء في مصر او في العالم الخارجي : فقد نشرت مثلا نبأ تكوين جمعية في القدس الفها اليهـود بهدف تعميم اللغة العبرية بينهم ، وذلك بتعليمها للاطفال والبالغين رجـالا ونساء حتى تصير دارجة بين ابناء اسرائيل ، وانتهزت الصحيفة الفرصـــة لتدعو اليهود في سائر البلاد شرقا وغربا الى أن يقتدوا بيهود القدس فيعملوا ما في وسعهم لنشر اللغة العبرية وتحسينها حتى تصير لغة حية .

وكتبت « الحقيقة » عن الاسرائيليين في افريقيا وفرنسا والارجنتين ضمن خطتها لتعريف اليهود المصريين بأخبار أخوانهم في الشتات .

٥ ــ صحيفة نهضة اسرائيل :

واصل اليهود نشاطهم في مجال اصدار الصحف فأصدروا في عام ١٨٩٠ صحيفة « نهضة اسرائيل » بدون رخصة رسمية ، وأخذت الصحيفة تنشـر بعض مباحث دينية وتاريخية ، ولكن حينما راى حاخام باشي الطائفـــة الاسرائيلية في القاهرة وبعض عقلاء الطائفة واعيانها ما قد ينشأ عن هذه المباحث من حركة الخواطر التمسوا من نظارة الداخلية ان تأمر باقفالها ، فأجابت النظارة التماسهم ، وخصوصا أن الصحيفة لم تصدر وفقا لقانـون المطبوعات . (١)

كذلك اصدر دافيد يارص « اليانصيب » عام ١٨٩٤ ، واصدر سليم رومانو « حظ الحياة » سنة ١٨٩٥ كما أصدر زكي وروفائيل كوهين «النصيب» عام ١٨٩٨ .

مما سبق نرى ان اليهود المصريين لم يولوا اصدار صحف طائفية خاصة بهم عناية كبيرة خلال الفترة السابقة على انعقاد مؤتمر بال عام ١٨٩٧ ، كما أن الصحف التي اصدرها افراد من الطائفة اليهودية لم تهتم بالمسائل اليهودية، وذلك فيما عدا صحيفة « الحقيقة » التي برغم اهتمامها بنشر اخبار اليهـود فانها لم تكتب كثيرا في المسائل اليهودية ، وتعتبر صحيفة « نهضة اسرائيل » اول صحيفة متخصصة في الشئون اليهودية تصدر في مصر ، وبرغم ذلك فانهـا لم تعش طويلا ، وربما كانت متطرفة في تناولها للمسائل اليهودية ، او انهـا رددت بعض الافكار الصهيونية مما اثار مخاوف كبار رجال الطائفة ، اذ انهم وجدوا فيها ما يمكن ان يؤدي الى تحريك خواطر المصريين ، فطالبوا باغلاقها واجيبوا الى طلبهم كما تقدم آنفا .

---

(١) صحيفة الأتحاد المصري في ١١ـ٩ـ١٨٩٠

وفيما عدا ذلك نرى ان باقي الصحف التي اصدرها اليهود كانت امـــا بقصد الاسترزاق مثل « الكوكب المصري » و « الميمون » ، او مقاومة مظالم الخديو والاحتلال البريطاني مثل « ابو نضارة زرقا » ، او مشايعة الاحتلال البريطاني مثل « الحقيقة » .

ثانيا : مرحلة ما قبل وعد بلفور :

مع بداية النشاط الصهيوني في مصر عام ١٨٩٧ بدأ اهتمام اليهـــود بالصحافة ولكن اعترضتهم عقبات كثيرة منها مشكلة اللغة التي كانت المسئول الاول عن فشل المحاولات التي بذلت لنشر الدوريات الصهيونية كما ذكرنـــا في الفصل الاول ، بالاضافة الى ان اليهود المصريين في معظمهم لم يكونــــوا متعصبين للصهيونية ، لذلك نجد ان الصحف التي اصدرها اليهود خلال الفترة منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي الاول حتى صدور وعد بلفور لم تعمـــر طويلا بسبب هذه المشكلات .

وعلى الرغم من كل هذه العقبات بدأ اليهود في البحث عن سبل تكفل لهم نشر افكارهم ومبادئهم لتعريف القراء من عرب ويهود بالصهيونية حتـى ينتظم في صفوفها اليهود ، ولا يعارضها المسلمون والمسيحيون ، ولهذا فقد ابدوا نشاطا ملحوظا في مجال الدعاية للصهيونية ، وساعدهم على ذلك وجود عاملين :

الاول : وجود مصر خارج نطاق الدولة العثمانية ، اذ اصبحت البلاد منذ خضوعها للاحتلال البريطاني عام ١٨٨٢ تتبع الدولة العثمانية من الناحية الاسمية فقط ثم اصبحت بعد ذلك تحت الحمايـــة البريطانية مما كفل لليهود حرية العمل .

والاخر : حرية الصحافة في مصر .

طالب اليهود خلال هذه الفترة باصدار صحيفة عربية يبثون من خلالها الدعوة الصهيونية ولكنهم لم يوفقوا الى ذلك فلجأوا الى الصحف المصريـــه التي افسح لهم بعضها صدره ، وكان من ابرز الصحفيين اليهود الذين دافعوا عن الصهيونية على صفحات الجرائد المصرية جاك ليفي طنطاوي ودي بطون وايلي فارحي ونسيم ملول الذي اصدر في عام ١٩١١ صحيفة عربية باســم « السلام » للدفاع عن الصهيونية والوطن القومي ضد هجمات الصحف العربية، الا ان هذه الصحيفة توقفت بعد صدور بضعة اعداد منها .

١ ــ مجلة العائلة :

في تلك الاثناء أصدر اليهود منذ عام ١٨٩٧ حتى ١٩١٧ عدة صحف لــم تعمر طويلا كما ذكرنا آنفا منها : مجلة « العائلة » التي أصدرتها أستير مويال

في القاهرة عام ١٨٩٩ الا أن هذه الصحيفة عمرت بعض الشيء بالنسبة لمثيلاتها التي صدرت في ذلك الوقت ، اذ عثرنا على بعض الاعداد صدرت عام ١٩٠٤ ، ولكن نظرا لقلة الاعداد المحفوظة منها بدار الكتب لم يمكن معرفة الاتجاهات الحقيقية لهذه المجلة .

ويتضح لمن يطلع على الاعداد الموجودة منها لاول وهلة ان هذه المجلة اهتمت بأن تجعل من نفسها مجلة كل عائلة مصرية بصفة عامة وجريدة الاسرائيليين الوحيدة بصفة خاصة ، ولذلك فقد خاضت المجلة في المسائل التي كانت تهم الطائفة كما اختصها اليهود بنشر الموضوعات التي تتعلق بطائفتهم من ذلك مثلا : انه عندما نشر شاهين مكاريوس كتابة « تاريخ الاسرائيليين » اتهم بعض اليهود مكاريوس بأنه يكن كثيرا من البغضاء للامة الاسرائيلية ، وبأنه ينافي أقواله بأعماله ، لهذا فقد قصد بعض الادباء اليهود المجلة باعتبارها الصحيفة الوحيدة الناطقة بلسان الاسرائيليين في مصر طالبين نشر بيان منهم يشيد بمؤلف الكتاب وينصح الاسرائيليين بأن يبتعدوا عن كل عمل لا يفيد طائفتهم وأن يمتدحوا كل من ينتصر لها ولرجالاتها ايا كان .

والى جانب ذلك عنيت المجلة بنشر موضوعات في التعاون الاسري وكتبت عن كرم أثرياء اليهود واحسانهم امثال آل روتشيلد وكيف انهم يجودون بالالوف وعشراتها للاحسان كل عام .

وهاجرت استير مويال بعد ذلك الى فلسطين ، واصدرت هي واخوها شمعون مويال جريدة الاخبار في يافا عام ١٩١٣ ، وحاولا أن يجعلا منها منبرا عربيا لليهود في فلسطين والبلدان العربية الاخرى .

٢ ــ مجلة التهذيب ١٩٠١ ــ ١٩٠٣

وتعتبر مجلة « التهذيب » أول صحيفة يهودية متخصصة تصدر باللغة العربية في مصر بعد صحيفة « نهضة اسرائيل » .

« ففي يوم الاحد الحادي عشر من شهر اغسطس عام ١٩٠١ قررت اللجنة الملية لطائفة القرائين اليهود انشاءها باجماع الاراء في جلستها التي عقدت في ذلك اليوم ، واستقر الراي على تسميتها « التهذيب » من فعل هذب يهذب ومعناه ــ كما تقول المجلة ــ التنقية او التطهير والاصلاح وهي بعض المعاني المقصودة من نشر هذه الجريدة » .

وفي اليوم التالي صدر العدد الاول من مجلة « التهذيب » لصاحبها ومحررها مراد فرج ★ احد اعضاء اللجنة الملية للطائفة ، وكانت تظهر في مواعيد غير محددة في بداية صدورها الى ان تستقر احوالها .

★ مراد فرج يهودي من طائفة القرائين كان يعمل محاميا وكانت له علاقات طيبة بالخديو عباس الثاني الذي وكله في قضاياه الخاصة فاصبح محامي القصر ، ثم عهد اليه فيما بعد برئاسة

وأوضحت « التهذيب » انها « لم تصدر للاتجار ولا لجلب الدرهم والدينار ، بالنسبة لمحررها ولا بالنسبة لحاخامانة الطائفة فمحررها يخدم بها الطائفة والانسانية . . . والحاخامنة تكاد تنفق عليها . . . كما توقع محررها ان تؤدي الى ان يعم الاتحاد بين ابناء الطائفة والى غرس المحبة في القلوب وترسيخ اسس الاخاء في النفوس ، فتكون الطائفة بمنزلة الاعضاء من الجسم الواحد ، فيتكامل شكل الطائفة وتتم هيئتها . . ويكون لها من القوة ما تقدر به على السير الى الامام لتتقدم في طريق اصلاح شأنها كما سارت من دونها الامم من قبل » .

ومن الملاحظ ان شئون الطائفة والمسائل الدينية حظيت بنصيب كبير من اهتمام المجلة فكما هو واضح من خطتها اولت « التهذيب » هذه الناحية عناية فائقة باعتبارها افضل وسيلة للنهوض بالطائفة وتحقيق وحدتها .

ولم يقتصر اهتمام المجلة على شئون الطائفة في مصر فقط بل انها اهتمت ايضا بنشر اخبار طوائف القرائين في العالم لايجاد شبه رابطة معنوية وروحية بين قرائي مصر وباقي القرائين في العالم : فكتبت مثلا عن احوال القرائين وعاداتهم في هاليطس بالنمسا وغيرها من البلدان .

وكان اهتمام التهذيب بقرائي العالم نابعا من اهتمام الحاخامانة التي كتبت الى روسيا تسأل عن احوال القرائين في مدينة كشينيف لمناسبة الاعتداءات التي وقعت بها ، وجاء الرد ، فقامت « التهذيب بنشره حتى يطمئن افراد الطائفة في مصر الى ان اخوانهم لم يصب منهم أحد بسوء .

ودافعت المجلة عن اليهود ضد تهمة الدم ★ التي التصقت بهم ، وجلبت عليهم في كثير من الاحيان الاعتداءات من الناس الذين يعيشون بين ظهرانيهم وعمدت الى تفنيد الاسس التي يستند عليها اولئك المدعون في اتهامهم .

وشاركت « التهذيب » في تناول الشئون المصرية ، ولكن كانت المشاركة بقدر ضئيل وهامشي فهي تهنىء المسلمين بأعيادهم ومناسباتهم الدينية ، وتهنىء الخديو عباس بعودة الحميد من الخارج وأشياء أخرى من هذا القبيل.

قلم قضايا الاوقاف بقصر عابدين ، وقضى في هذه الوظيفة اربع سنوات . كتب الكثير من المقالات الادبية والفقهية في اشهر الصحف المصرية ، وكان عضوا بارزا ونشيطا في المجتمع اليهودي بالقاهرة كما كتب في الصحف اليهودية التي عاصرها . كانت له مؤلفات في القانون والادب والدين من اشهرها : رسالة في الاحوال القانونية ، وكتاب المجموع في شرح الشروع ، ودعاوى وضع اليد والاحكام الشرعية الاسرائيلية للقرائين ، والفروق ، واشعار الخضر ، والقدسيات ، والقراءون والربانيون ، والشعراء العرب اليهود ، وملتقى اللغتين العبرية والعربية ، واستاذ العبرية ، وتفسير التوراة ، وامثال سليمان الحكيم ، ومقالات مراد ، وديوان مراد . . . الخ.

★ انظر تهمة الدم ص ١٢٥

وكانت « التهذيب » تصدر في اربع صفحات من القطع الصغير وعلى عمودين فقط : أي انها كانت اقرب الى الكراسة منها الى المجلة وقد توقفت بعد السنة الاولى فترة من الوقت ، ثم استأنفت الصدور في الثالث من اكتوبر عام ١٩٠٢ ؛ ولكنها توقفت بصفة نهائية بعد السنة الثانية اي في عام ١٩٠٣ .

وقد رحبت بعض الصحف المصرية بصدور مجلة « التهذيب » ومنها : « اللواء » و « الوطن » و « المنار » و « مصر » التي ابدت اعجابها بطائفة القرائين « لميلهم الى ولوج سبل الارتقاء .. ومجاراتهم الامم الحية في بث روح الحياة القومية بين سائر افرادهم وتضافرهم على رفع شأن امتهم واعلاء كلمتهم . »

وقد أدى تعرض « التهذيب » للحديث عن الفروق التي بين المذهب القرائي والمذهب الرباني ؛ وطبيعة العلاقة بين اليهود الربانيين واليهود القرائين الى أن تقدمت طائفة الربانيين بشكايات الى المسئولين في الطائفة الاخرى من أن « التهذيب » تتعرض لهم ، وتذكر من مذهبهم ما لا يحبون ، فما كان من المجلة الا ان بادرت على الفور الى الاعتذار . والى التأكيد على أنها لم تقصد سوى مجرد البحث الطاهر والعلم الشريف .

وقد حدثت خلال الفترة التي ظهرت فيها « التهذيب » نزاعات طويلة بين اللجنة الملية للطائفة وفرج يعقوب شماس وموسى ابراهيم منشه حول بسبب المدرسة الخيرية لطائفة القرائين فأصدر الاخيران صحيفة باسم « اظهار الحقيقة » هاجما فيها « اللجنة الملية ومراد فرج مما دفع حاخام الطائفة الى التقدم بشكوى الى نيابة محكمة مصر الابتدائية ضد الصحيفة بسبب ما فيها من قبائح ولكن تمت تسوية المسألة فاحتجبت الصحيفة عن الظهور .

٣ ـــ صحيفة الرسول الصهيوني :

وفي عام ١٩٠١ أصدرت جمعية بركوخبا الصهيونية بمدينة الاسكندرية صحيفة ناطقة باللغة الفرنسية تدعى الرسول الصهيوني Le Messager Sioniste تغير اسمها في عام ١٩٠٢ الى Mebasserth Zion

وكانت هذه الصحيفة تدعو للحركة الصهيونية وهذا أمر طبيعي لانها كانت ناطقة بلسان منظمة صهيونية .

٤ ـــ صحيفة مصر ١٩٠٤ :

وفي عام ١٩٠٤ اصدر اليهود اول صحيفة صهيونية لهم في القاهرة باللغة العربية وتدعى « مصر » Misrym لصاحبها اسحق كارمونا الناشر اليهودي الذي بعث في السابع والعشرين من نوفمبر ١٩٠٤ خطابا مرفقة به

نسخة من الصحيفة الى ناريس ليفن رئيس الاليانس الإسرائيلي الدولي بفرنسا Alliance Israelite Universelle يزعم فيه أن كثيرا من الصحف في مصر يشن حملة مناهضة للسامية تأخذ ابعادا مثيرة لقلق اليهود يوما بعد يوم ويوضح فيه اهمية وجود صحيفة يهودية ناطقة باللغة العربية في مصر تكون بمثابة سلاح يستطيع اليهود عن طريقه مهاجمة أعدائهم وحماية مصالحهم ثم يطالبه بألا يتردد في مساندته ماديا ومعنويا حتى يمكنه من مواصلة أصدار الصحيفة الذي وصفه بأنه عمل وطني للغاية .

٥ ـ صحيفة الارشاد :

توالى بعد ذلك ظهور صحف لليهود باللغة العربية : ففي الخامس عشر من شهر مايو عام ١٩٠٨ اصدر فرج سليم ليشع من طائفة القرائيين صحيفة « الارشاد » التي اهتمت بمعالجة الكثير من الشئون الطائفية وامتازت مقالاتها بالقوة والدعوة الى الاصلاح ، ولكنها لم تستمر طويلا أذ احتجبت عن الصدور في ٢١ من مارس سنة ١٩٠٩ .

وكانت « الارشاد » عند بدء ظهورها تصدر مرتين في الشهر . ثم اصبحت تصدر ثلاث مرات ، واشترك في تحريرها نخبة من الشبان القرائين منهم امين فرج منشه وموسى يوسف وبنطوب يهودا ومراد فرج .

ومع توقف « الارشاد » توقف صدور الصحف العربية لليهود في مصر فترة طويلة من الزمن شهدت البلاد خلالها صدور عدد من الصحف باللغتين الفرنسية والعبرية وذلك بسبب المشكلات والعقبات التي اشرنا اليها من قبل الامر الذي حال دون ظهور صحف باللغة العربية لفترات طويلة .

ففي عام ١٩١٢ اصدرت جماعة انصار الثقافة العبرية «المجلة الاسرائيلية بمصر» La Revue Israélite d'Egypte باللغة الفرنسية في مدينة الاسكندرية ظلت تصدر بانتظام حتى عام ١٩١٨ حينما توقفت عن الصدور .

ثالثا : مرحلة ما بعد صدور تصريح بلفور :

ومع نشوب الحرب العالمية الاولى وصدور وعد بلفور شهدت مصر نشاطا صهيونيا مكثفا عبر عن نفسه بالمنظمات الصهيونية التي انشئت والصحف اليهودية التي اصدرت ، ففي هذه المرحلة تأسست المنظمة الصهيونية عام ١٩١٧ بعد جهود مكثفة تزعمها المحامي اليهودي ليون كاسترو الذي اصدر في عام ١٩١٨ المجلة الصهيونية La Revue Sioniste لتكون لسان حال تلك المنظمة وكانت هذه المجلة تنطق باللغة الفرنسية واتخذت من نجمة داود شعارا لها .

وقد اطلعنا على بعض اعداد هذه المجلة ، فوجدنا انها تعلن صراحة ان هدفها هو خلق وطن للشعب اليهودي في فلسطين يتحدث فيه اليهود بلغتهم ، ويحققون لانفسهم بداخله الحرية والعدالة ، ويجعلون من القدس قلب اليهودية النابض .

وفي عام ١٩١٧ أصدرت الطائفة إليهودية ايضا مجلة ناطقة باللغة الفرنسية تدعى النهضة اليهودية La Reconnaissance Juive لتكون منبرا تعبر من خلاله عن افكارها ومصالحها وقد استمرت هذه الصحيفة في الصدور نحو ثلاث سنوات ثم توقفت .

وهكذا نرى انه خلال الفترة السابقة شهدت مصر عددا من الصحف اليهودية الناطقة بالفرنسية التي اولت عنايتها للمسائل الصهيونية ، وربما يرجع السبب في ذلك الى خوف القائمين على امر هذه الصحف من الافصاح عن افكارهم ونواياهم الحقيقية بلغة يفهمها العرب ، فيثيروا الخواطر ويحركوها الى القيام باعمال قد تؤدي الى احباط مشروعاتهم ومخططاتهم ، ولذلك اكتفوا خلال هذه الفترة باصدار صحفهم بلغات اجنبية لا يفهمها الغالبية العظمى من ابناء هذا الشعب حتى يتمكنوا من ارساء اسس مشروعاتهم وتثبيت دعائمها اولا .

وثمة عامل اخر شجع على اصدار الصحف اليهودية باللغة الفرنسية الا وهو ان غالبية اليهود الذين اشتغلوا بالنشاط الصهيوني في مصر كانوا من اليهود الاجانب الذين لم يكونوا يتقنون اللغة العربية ، وبالاضافة الى ذلك صدرت هذه الصحف في وقت تشيع فيه الثقافة الفرنسية ، فقد كانت اللغة الفرنسية تحتل المكانة الاولى في مدارس الطائفة اليهودية في ذلك الوقت، كما ان دخول الاليانس الاسرائيلي الدولي مجال التعليم في مصر عام ١٨٩٦ ادى الى وجود طبقة من المثقفين اليهود تجيد اللغة الفرنسية وتتحدث بها بطلاقة في حياتها اليومية .

١ ــ صحيفة اسرائيل :

وبعد صدور تصريح بلفور وموافقة الدول المتحالفة على ان تقوم بريطانيا اثناء انتدابها على فلسطين باخراج الوطن القومي الى حيز الوجود، اعتبر الصهيونيون ذلك بمثابة اعتراف دولي بمخططهم بما يضفي صفة الشرعيه على نشاطهم وهنا بداوا يكشفون عن وجوههم الحقيقية ، ويعلنون عن اهدافهم بصراحة . وكان الصهيونيون قد بداوا يشعرون « بحاجة ملحة ــ كما تقول صحيفة « اسرائيل » ــ الى لسان يهودي عربي يتولى الدفاع عن الشئون اليهودية بلسان عربي فصيح ، ويتولى التفاهم مع الشعب العربى بلغته حتى يفهم حقيقة مطالب اليهود ، ويقوم ايضا بالرد على الدعاية

التي تنشر سواء في مصر او في البلدان العربية المجاورة لاثارة الرأي العـــام ضد اليهود » .

وبالاضافة الى ذلك « كانت هناك حاجة ايضا الى صحيفة عربية يقرؤها اليهود المنتشرون في مصر وباقي الاقطار العربية المجاورة ممن لا يعرفون سوى اللغة العربية حتى لا تتركهم الصهيونية فريسة لتأثير صحف بلادهم المميزة ضد قضية آبائهم وابنائهم » .

لكل هذه الدوافع تأسست صحيفة « اسرائيل » عام ١٩٢٠ وكانـت تصدر في القاهرة والاسكندرية صباح كل خميس بثلاث لغات هي العربيـة والعبرية والفرنسية الا ان الطبعة العبرية لم تدم سوى فترة قصيرة على حين ظلت الطبعة الفرنسية تصدر حتى عام ١٩٣٩ .

على ان الذي يعنينا في هذا المجال هو صحيفة « اسرائيل » الناطقة باللغة العربية ، فقد كانت أول صحيفة يهودية عربية تصدر في مصر بعـد اعلان تصريح بلفور ، مما جعل تأييد الوطن القومي والدعوة اليه من أهـم اهداف هذه الصحيفة ومبادئها ، كما كانت اول صحيفة يهودية عربية تستمر في الصدور لفترة طويلة بلغت اربعة عشر عاما .

لكن الامر المدهش حقا هو أن هذه الصحيفة صدرت في بداية الامـــر كصحيفة دينية طائفية ، اذ يشير الاخطار المقدم عن هذه الصحيفة الى ان صاحبها هو الطائفة الاسرائيلية بالقاهرة وليس البرت موصيري كما تقول الابحاث السابقة ، بل ان الرخصة الصادرة من وزارة الداخلية في ٢٧ يناير ١٩٢٠ — والتي عثرت عليها مؤخرا — باسم موسى قطاوي رئيس الطائفـة وهو نفسه الذي تقدم بالضمانة الخاصة بهذه الصحيفة بينما كان البرت موصيري يتولى منصب رئيس التحرير .

وبالرغم من ان الاعداد المتاحة من اسرائيل خلال الثلاثينات تشير الى ان صاحبها هو البرت موصيري الا أن الصحيفة ظلت تصدر بالترخيـــص القديم الممنوح لقطاوي باشا حتى عام ١٩٣٩ حينما طلب اليها تنفيذ قانـــون المطبوعات الجديد ، فقدمت مدام ماتيلدا موصيري التي تولت مسئولية اصدار الصحيفة بعد وفاة زوجها اخطارا باسمها وقدم الضمانة بنك موصيري .

وقبل ان نتحدث عن هذه الصحيفة فانه من الضروري أن نتعرف على شخصية البرت موصيري الذي تولى مسئولية اصدارها حتى تتضح لنا طبيعة تلك الصحيفة وحقيقتها .

كان البرت موصيري ينتمي الى اسرة موصيري الاسبانية الاصل والتي قدم مؤسسها الى مصر عام ١٧٥٠ م ، ومع ذلك فقد كان حاصلا هو وزوجته على الجنسية الايطالية .

ولد في القاهرة ولما نال اجازة المدرسة الثانوية ارسله والده الى باريس للتخصص في الطب فنال درجة دكتور فيه .

« كانت مدة اقامته في باريس حافلة بالنشاط : فقد كان أول من لبى نداء هرتزل الى الصهيونية وتحقيق مثلها العليا ، فترسم خطاه واحتذى به في نشر الحركة الصهيونية في الاوساط اليهودية بباريس ، كما الف في باريس اول جمعية صهيونية اطلق عليها اسم « قاديما » KADIMA ومعناها في العبرية « الى الامام » ، واصدر لها جريدة اسبوعية صغيرة كانت تكتب بخط اليد .

« وعلى اثر عودة موصيري الى القاهرة اخذ يعني عناية خاصة بالصهيونية ونشرها بين اليهود ، وكان يدعو اليها بحرارة واخلاص ، حتى تمكن من تحقيق امنيته بتأليف جمعية صهيونية في القاهرة وظل يعمل الى اخر لحظة في حياته في خدمة الصهيونية ونشرها والدفاع عنها » .

وهكذا نجد ان البرت موصيري كان من طلائع الصهيونيين في مصر ، وقد استمر يعمل من اجل الصهيونية حتى توفي في مارس ١٩٣٣ ، فتولت زوجته ماتيلدا موصيري مسئولية الاستمرار في اصدار « اسرائيل » وظل سعيد يعقوب مالكي في منصبه رئيسا للتحرير ولكن الصحيفة توقفت بعد فترة وجيزة من العام نفسه .

وتتحدث ماتيلدا موصيري عن اهمية هذه الصحيفة والغرض من اصدارها فتقول : « لم يكن الغرض من انشاء « اسرائيل » السعي وراء منفعة مادية زائلة ، أو الترويج لراي حزب او جماعة ، وانما انشئت صحيفة «اسرائيل» لاننا أحسسنا بالحاجة الى صوت يهودي يرتفع للدفاع عن الشئون اليهودية ، واطلاع الشرقيين على حقيقة الحالة في فلسطين ، واظهار نوايا اليهود الحسنة من عودتهم الى فلسطين ، ورغبتهم الصادقة في التعاون مع العرب على النهوض بهذا الوطن المشترك ، وتجديد العصور الذهبية الغابرة التي اشترك فيها اليهود والعرب على خدمة الفكر الانساني ...

« وكان لا بد لهذا كله من لسان يهودي عربي للاعراب عما يختلج في نفس كل اسرائيلي من رغبة صادقة في التعاون مع العرب على انهاض فلسطين من كبوتها وخلق حضارة جديدة مشتركة بين العرب واليهود ..

« والى جانب ذلك كان هناك فراغ ملحوظ من عدم وجود جريدة عربية يقرأ فيها اليهودي الشرقي انباء الوطن القومي وأخبار اليهود في العالم ، ليكون على علم بما يقع لاخوانه في انحاء المعمورة من خير او شر » .

ويتضح من حديث مدام موصيري عن هدف الصحيفة مدى الخداع والتضليل الذي لجأت اليه في زعمها بأن اليهود يرغبون في التعاون مع العرب لانهاض فلسطين ، وخلق حضارة جديدة مشتركة بين العرب واليهود ، ففي الحقيقة لم يأت اليهود الى فلسطين الا لانشاء دولة مستقلة خاصة بهم ، ولكن الدعاية الصهيونية ــ التي كانت « اسرائيل » أحد ابواقها ــ لجأت الى تضليل الرأي العام العربي والعالمي بهذه المزاعم حتى تظفر ببغيتها ، وهو ما اثبتته الاحداث بعد ذلك .

وتمضي مدام موصيري قائلة انه « لكل الاسباب السابقة صدرت « اسرائيل » وحدد صاحبها الخطة التي تسير عليها ، فأوضح انها لم تكن لسان مجلس الطائفة ، ولم تنطق بلسان حزب أو جماعة ، ، ولا هي لسان الجمعية الصهيونية وليس لاحد فضل عليها ، وانما الصحيفة تجاهد في سبيل المثل الاعلى الذي يدعو الى التبشير بالحرية والعدالة والحق والسلام العام .. والى المطالبة باصلاح المختل في جميع النواحي التي تتطلب الاصلاح والعناية ، يحملها ذلك على استرخاص التضحية واستعذابها في سبيل الدفاع عن الحق والحرية وانصاف المظلومين .

و « اسرائيل » برغم انها تدعي الاستقلال الا اننا لم ننس انها صدرت في كنف مجلس الطائفة الاسرائيلية بالقاهرة ، واذا كان موصيري قد استقل بها بعد ذلك فلا يمكننا ان نقول انها كانت متحررة من النفوذ الصهيوني . فقد كان البرت موصيري عضوا في اللجنة المركزية للمنظمة الصهيونية في مصر التي كانت فرعا للمنظمة الصهيونية العالمية ، ثم تولى في عام ١٩٢٣ منصب نائب رئيس تلك المنظمة ، وهكذا يمكننا ان نعتبر هذه الصحيفة لسان حال المنظمة الصهيونية في مصر خصوصا بعد توقف « المجلة الصهيونيه » عن الصدور .

ولعل ما يثبت وجهة نظرنا من واقع الاعداد المتاحة ان « اسرائيل » قامت بنشر ومتابعة اخبار تقرير السير سمبسون رئيس لجنة التحقيق البريطانية في ثورة البراق عام ١٩٢٩ ، ولكن ما ان اعلنت الوكالة اليهودية انها لا تعرف بمهمة سمبسون حتى انبرت « اسرائيل » في عددها التالي لمهاجمة مهمة سمبسون بشدة وتنبأت بفشلها في مقال بعنوان « تعب ضائع » .

وقد تعرض البرت موصيري لهجوم شديد من جانب بعض الهيئات اليهودية من جراء سياسة صحيفته الصهيونية وحملاتها لصالح المشروعات القومية ويبدون استياءهم منها .

ونظرا لان غالبية افراد الطائفة اليهودية في مصر كانوا لا يفضلون احد صحفهم باللغة العربية خوفا من اثارة الراي العام ضدهم اذا ما عرف حقيقة نواياهم — لذلك عندما توفي البرت موصيري تقدم الى زوجته بعض الانصار الذين اشاروا بتوسيع القسم الفرنسي من « اسرائيل » ، واعربوا عن استعدادهم لمعاونتها وتسهيل مهمتها .. اما القسم العربي فلم يتقدم اليها احد بمشورة بشأنه ، ليس هذا فحسب ، بل ان المحال التجارية اليهودية ابت ان تنشر اعلاناتها في هذا القسم او الاشتراك فيه ، ولذلك بقي على حاله .

وكان من نتيجة ذلك ان بدات صحيفة « اسرائيل » العربية تعاني من التدهور فوجهت ماتيلدا موصيري نداء الى زعماء اليهود في مصر خاصة وبلاد الشرق عامة تناشدهم معاونتها لمواصلة اصدار الجريدة ، لانها ضاقت درعا بالخسائر المادية ، وعزمت على تعطيلها ، واوضحت لهم المضار التي ستلحق

باليهود من تعطيل هذا اللسان العربي « الذي قدم خدمات جليلة ليهود الشرق اذ نشر الفكرة الوطنية فحورب من اجلها من بعض هيئات رجعية ، وليس هذا فحسب ، بل ان حكومة العراق منعت دخوله البلاد لانه ينشر الروح اليهودية » .

وناشد سعد يعقوب مالكي رئيس التحرير كل يهودي شرقي مخلص ان يشاركهم في النهوض بالجريدة بتسديد الاشتراك وحمل غيره على الاشتراك فيها حتى تواصل مسيرتها ، ويبدو ان هذه الدعوات وجدت في البداية بعض الاهتمام من كبار رجال الطائفة ، اذ تذكر الصحيفة في مناسبة دخولها العام الخامس عشر ان هناك لجنة ادارية من كبار اليهود المصريين في سبيلها الى التكوين لتتولى ادارة الجريدة ، كما كتب اليها الحاخام الاكبر حايم ناحوم افندي مهنئا ومعبرا عن عطفه نحو الجريدة وصاحبتها ومبينا اهميتها بالنسبة لليهود. وبعث دافيد براتو حاخام اكبر الاسكندرية ايضا برسالة تهنئة واشادة بالصحيفة في حين أوضح ابراهام المالح في رسالة ثالثة اهمية الصحيفة في حث اليهود المصريين على المشاركة في تعمير فلسطين وضرورة استمرارها بالنسبة لهم .

وعلى الرغم من مظاهر التاييد هذه لم تلبث الصحيفة ان توقفت عن الصدور في عام ١٩٣٤ .

وقد أهتمت « اسرائيل » خلال فترة صدورها بنشر اخبار النشاط الصهيوني في فلسطين ونشر اخبار الحركة الصهيونية العالمية وأخبار اليهود في العالم كما اهتمت بالعمل على النهوض بشئون الطائفة اليهودية في مصر ونشر الاهداف الصهيونية بين قرائها سواء في مصر او في بقية البلدان العربية والشرق عموما ، فقد كانت هذه الصحيفة توزع في سوريا ولبنان والعراق وفلسطين وشمالي افريقيا .

اعتمدت الصحيفة كما ظهر لنا على الاعلانات كمورد مالي لها ويبدو ان البرت موصيري نجح طيلة حياته في توفير هذا المصدر لصحيفته ليس من المتاجر اليهودية بمصر فحسب ، ولكن من الشركات الصهيونية في فلسطين ايضا ، فقد كانت « اسرائيل » تنشر اعلانات لهذه الشركات التي كانت تبيع الاراضي في فلسطين مثل « شركة تحسين شواطىء حيفا ليمتد » .

وسوف نتعرض في الفصول القادمة لاهم الموضوعات التي تناولتها هذه الصحيفة ، والاهداف التي سعت الى تحقيقها .

★★★

وفي عام ١٩٢١ اصدر موسى جرونشتين مجلة « الاخبار الماسونية » مجلة شهرية علمية وادبية للمحافل المصرية وكانت تعنى بنشر إخبار المحافل الماسونية وبتعريف القراء بمعنى الماسونية ومبادئها واهدافها .

وعلى الرغم من ان احد القراء بعث الى المجلة يطلب توضيح الدور الذي تقوم به الماسونية من أجل الوطن القومي والصهيونية فان المجلة لم تجبه الى طلبه ولم تخض في هذا الموضوع .

واصدر لوسيان سكيوتو مجلة ناطقة باللغة الفرنسية عام ١٩٢٤ تدعى « الفجر » L'Aurore .

وسكيوتو هاجر الى مصر قادما من تركيا عام ١٩٢١ ، وكان قبل مجيئه الى مصر يصدر هذه الصحيفة في استامبول منذ عام ١٩٠٨ ولكنها توقفت في عام ١٩١٩ ، ويذكر سكيوتو انه عندما جاء الى مصر اشار عليه أصدقاؤه وقراؤه اعادة اصدار الصحيفة فاصدرها ولكنه تخلى عن ادارتها عام ١٩٤١ لزميله جاك مالح عندما عين مدرسا بالمدارس الثانوية الحكومية .

وقد صادفت هذه الصحيفة بعد ذلك عقبات مالية وكادت ان تتوقف عن الصدور لولا ان قام اعضاء محفل « بني بريت » بتشكيل لجنة برئاسة سيجون ماني لدعمها ماديا وادبيا .

وخلال الحرب العالمية الثانية اتخذت « رابطة مكافحه اعداء للسامية » من « الفجر » لسان حالها ، فأخذت تروج على صفحاتها لمبادىء الحركة الصهيونية وتهاجم اعداء الساميةوخاصة المانيا وايطاليا .

٢ ــ مجلة الاتحاد الاسرائيلي :

في ٢٠ ابريل ١٩٢٤ اصدر اليهود القراءون مجلة « الاتحاد الاسرائيلي» مجلة علمية ادبية اسبوعية مصورة على نفقة « جمعية الاتحاد للاسرائيليين القرائين بمصر » .

وكان الهدف من صدور هذه المجلة كما جاء في افتتاحية العدد الاول « معالجة النقص الذي تعاني منه طائفة القرائين في مصر من عدم وجود مجلة تبحث في شئونها العامة وتتولى رعاية مصالح مجموع افرادها وسد حاجتها ، الى صحيفة تقوم بنشر اراء افرادها والتعبير عن افكارهم ، وتذكي في نفوسهم روح الهمة والنشاط للعمل على ما فيه فلاح الطائفة وتقدمها في جميع مرافق الحياة .

واوضحت المجلة ان جمعية الاتحاد كانت قد « وضعت نصب اعينها سد هذا النقص ولذلك سعت منذ بدء تكوينها الى الحصول على الترخيص اللازم من ولاة الامور حتى كلل الله مساعيها بالنجاح وتشرفت بنيله في عهد اول وزاره دستورية للبلاد تحت رياسة صاحب الدولة سعد زغلول باشا » .

وحددت مجلة « الاتحاد الاسرائيلي » الخطة التي عزمت على انتهاجها الا وهي بث روح الاخاء والمحبة وعواطف التضامن والاتحاد بين مجموع افراد الطائفة واستنهاض هممهم للعناية بشئون طائفتهم ومساعدة الجمعيات

الحيرية والاشادة بالمجلس الملي للطائفة ازاء كل ما يقوم به من ضروب الاصلاح التي تحتاج اليها الطائفة ...

ووعدت المجلة الى جانب ذلك ايضا بنشر اخبار اليهود الخارجية والداخلية واهم الاخبار العلمية والمقتطفات الادبية والتاريخية والترويح عن نفوس القراء بفكاهات ولطائف ومسابقات .

وعلى الرغم من هذه البداية البريئة البراقة الا ان المجلة سرعان ما كشفت عن حقيقة انتمائها للصهيونية منذ العدد الثالث ، فبالرغم من انها نشرت صورة الملك فؤاد على صفحتها الاولى من العدد الاول لتعطي انطباعا بولائها له وانتمائها لمصر ، الا انها نشرت على صدر العدد الثالث صورة اللورد بلفور وتحتها نص الوعد الذي أعطاه لليهود بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين . ثم اخذت المجلة توالي نشر صور زعماء الصهيونية أمثال هرتزل وحاييم وايزمان ، والحاخامات اليهود امثال اعارون بن موشيه كفيلي والحاخام شبتاي الياهو منجوبي .

ولم تكتف المجلة بذلك بل انها حرصت على تأكيد صهيونية اليهود القرائين فأعلنت « ان القرائين في مصر ضموا صوتهم الى جميع اليهود في العالم في أن تكون فلسطين لهم عامة ، وكتبوا بذلك كتابة رسمية كانت من جملة الاسانيد التي بنى عليها تأييد راي بلفور في أن تكون فلسطين وطنا قوميا لليهود ، ثم انهم فضلا عن ذلك جادوا بما سخت به ايديهم من المال ، وبعثوا الى احوانهم اليهود في فلسطين مشتركين معهم في الامر ماديا ، كما اشتركوا ادبيا ، وكانوا وما زالوا على عهدهم هذا » .

واهتمت المجلة ايضا بتكذيب صحيفة « الاهرام » عندما نشرت برقية ذكرت فيها أن وفدا كبيرا من اليهود المعارضين للصهيونية زار المندوب السامي البريطاني في القدس ، وطلب اليه ان يفصل قائمة من العمال المهاجرين القرائين الذين يأبون تطبيق شروط المكتب الصهيوني ، ولكن « الاتحاد الاسرائيلي » ردت على « الاهرام » تحت عنوان « اليهود القراءون يعارضون الصهيونية كذب وافتراء عليهم » فقالت : « ان القرائين اليهود يناصرون الصهيونية وموافقون عليها وكتبوا بذلك كتابة رسمية » . (١)

من هذا المنطلق الصهيوني وحقيقة الانتماء للصهيونية اهتمت المجلة بالوطن القومي اليهودي ولكن من الناحية الدينية لتعطي أفكارها قوة مستمدة من العقيدة الدينية لليهود ، ولذلك نراها تنشر اخبار اليهود في فلسطين ونشاطهم الصهيوني تحت عنوان (اخبار ارض الميعاد) ، كما شجعت على هجرة اليهود القرائين المصريين الى فلسطين ، وطالبت الحاخامخانة بوضع

---

(١) مجلة الاتحاد الاسرائيلي في ١٣-٧-١٩٢٤ و ٣-١١-١٩٢٥

نظام يضمن استمرار بقاء من يهاجرون بمنحهم المساعدة المالية التي تسهل لهم سبل العيش ، وان تقوم بترميم أوقاف الطائفة في القدس لتكون جاهزة لاستقبال اي مهاجر يغادر مصر الى فلسطين .

ومن ناحية أخرى تابعت « الاتحاد الاسرائيلي » نشر اخبار النشاط الصهيوني في فلسطين « تخريصا لاولئك النفر الذين يحاربون الصهيونية ، وينكرون فضل اليهود وجهودهم في تعمير فلسطين ونشر العلم في ربوعها » . وحتى تشجع المجلة اليهود على التبرع لاعلاء شأن الطائفة والتبرع من اجل تعمير الوطن القومي قامت بنشر اخبار التبرعات والتضحيات التي يقدمها اليهود في مختلف انحاء العالم : من ذلك ان الثري اليهودي الانجليزي برنار بارون سيهب للوكالة اليهودية نصف مليون جنيه مساعدة منه لها في اعمال التعمير التي تقوم بها في فلسطين .

وكان كل ما يتعلق بشئون طائفة القرائين في مصر توليه المجلة اهتماما خاصا على صفحاتها ، وقد دعت من خلال ما كانت تنشره الى الاكثار من اقامه الجمعيات الدينية والادبية ، والى اصلاح الخلل المتفشي في الطائفة والسعي لتحسين احوالها ، كما حاربت « الدوطة » على أعتبار انها تقف عائقا امام الاكثار من زواج فتيات الطائفة . ومن ثم تؤدي الى قلة النسل وعدم تزايد افراد الطائفة بما يجعلها صغيرة دائما أمام الطوائف اليهودية الاخرى .

وقد قام مراد فرج صاحب مجلة « التهذيب » التي تحدثنا عنها بحملة تهدف الى اصدار « الاتحاد الاسرائيلي » كل اسبوع فدعا ابناء الطائفة الى الاقبال على الاشتراك في المجلة حتى يمكن اصدارها اسبوعية لانه « قليل جدا على طائفة مثل القرائين أن يكون لها صحيفة واحدة ونصف شهرية » ، ولكن هذه الحملة لم تؤت ثمارها ، فقد ظلت « الاتحاد الاسرائيلي » نصف شهريه كما ذكرنا من قبل .

وجدير بالذكر ان بعض الصحف والمجلات المصرية رحبت بظهور مجله « الاتحاد الاسرائيلي » وشرعت في مبادلتها بنسخ من اعدادها مثل : « ابو الهول والصباح والسيف والنيل والسباق وصحة العائلة واسرائيل » .

وكانت مجلة « الاتحاد الاسرائيلي » تصدر في اثنتي عشرة صفحه من الحجم الصغير (٣١ر٥ طولا و ٢٢ر٢ عرضا) وكانت تطبع بمطبعة جريده الصباح لصاحبها مصطفى القشاشي وكان صاحب الامتياز ومديرها المسئول يوسف فرج صالح ثم تولى رئاسة تحريرها فيما بعد باروخ لتيو منجولي الذي اضطر في عام ١٩٢٩ تحت تأثير ظروفه الصحية الى ترك العمل في المجلة لغيره مما جعلها لا تخرج في ذلك الثوب الانيق الذي كانت فيه وانتهى الامر باحتجابها بعد صدور اخر عدد منها بتاريخ ٢٠-٨-١٩٢٩ بعد ان عاشت نحو خمس سنوات .

٣ ـ مجلة التليفون :

في ١٢ من ابريل سنة ١٩٢٧ اصدر ايلي عزرا كوهين مجلة « التليفون » ادبية فنية انتقادية مصورة في اربع عشرة صفحة من القطع الصغير تصدر نصف شهرية مؤقتا وباللغتين العربية والفرنسية .

وقد اهتمت هذه المجلة بانتقاد الاعمال الفنية ، كما اعتمدت بصورة اساسية في مادتها على اخبار الجنس والفضائح ، فكانت تنشر صفحة كاملة تحت عنوان « انتشار الفساد في مصر » ضمنتها معلومات عن المشاجرات التي تقع بين رواد الخانات لاسباب نسائية ، وعن المنازل التي تدار للدعارة السرية في القاهرة وقنا ومسقط راس صاحب المجلة ، كما تابعت اخبار صالات الرقص وما يحدث فيها من اعتداء على الاخلاق والفضيلة ؛ حتى ان اهتمامها بنشر الطرائف والنوادر كان ايضا يتناول موضوعات مبتذلة مسفة مثلما كانت تنشره تحت عنوان « امتحانات عمومية » . . .

ويبدو ان المجلة لم تلق رواجا بين جمهور القراء لتفاهة مادتها وبذاءتها، اذ انها توقفت عن الصدور بعد العدد الثاني ، ورغم عدم وجود مصدر يدلنا على السبب الحقيقي لتوقفها الا اننا نلمس في رسالة لاحد القراء ما يفيد بعدم ارتياح القراء لهذه المجلة التي كانت تنشر احيانا الاسماء الحقيقية لبعض ابطال رواياتها ، وفي هذه الرسالة ينصح القارىء صاحب المجلة بأن يعدل عن الخطة التي يسير عليها والا فانه سيسلك معه طريقا اخر .

واذا كانت التليفون التي لم تعش سوى عددين ملكا لاحد اليهود الذين يعيشون في مصر فانها لم تخض في المسألة الصهيونية التي تناولتها الصحف اليهودية السابق الكلام عنها وغاية ما في الامر انها كانت مجلة عامة يملكها يهودي ليس الا .

٤ ـ صحيفة الشمس :

ما كادت صحيفة « اسرائيل » تلفظ انفاسها في عام ١٩٣٤ حتى خرجت الى الوجود صحيفة يهودية جديدة ناطقة باللغة العربية تدعى « الشمس » وصاحب هذه الجريدة ورئيس تحريرها المسئول هو سعد يعقوب مالكي مدير مدارس جرين الاسرائيلية والذي كان يعمل رئيسا لتحرير جريدة « اسرائيل » وكان حاصلا ايضا على الحماية الايطالية .

صدرت « الشمس » في ١٤ من سبتمبر ١٩٣٤ جريدة اسبوعية جامعة وحدد صاحبها منذ العدد الاول الغاية من اصدارها التي تلخصت فيما يلي :(١)

---

(١) صحيفة الشمس في ١٤ـ٩ـ١٩٣٤

١ ــ نشر الفضيلة والثقافة ومحاربة الفساد حرصا على سلامة المجتمع المصري بصفة خاصة والشرق الناهض بصفة عامة من التدهور والانحلال .

٢ ــ العناية بشئون الطائفة اليهودية ومعالجة أوجه القصور فيها وفق ما يتطلبه الامر حتى تبلغ مؤسسات الطائفة ما يتمناه لها كل يهودي من تقدم ورقي .

٣ ــ المحافظة على كيان اليهود كشرقيين من الاضمحلال نتيجة فقدانهم لغتهم العربية في وقت كان الجميع يتجه فيه الى الثقافة الغربية ولذلك صدرت الشمس باللغة العربية وظلت تدعو الى العناية بهذه اللغة وبتمصير التعليم في المدارس الاسرائيلية .

٤ ــ أن تكون ميدانا يعبر عما يجول بخاطر كل اسرائيلي شرقي مخلص لامته ووطنه .

٥ ــ الصحيفة قبل كل شيء ليست لسان حال حزب أو جماعة أو طائفة من الناس ولا تعبر الا عن راي صاحبها .

تلك هي الغاية من اصدار « الشمس » كما حددها صاحبها الا ان من يطلع على هذه الصحيفة يدرك منذ الوهلة الاولى انها صدرت لخدمة الصهيونية ؛ فقد تجاوزت « الشمس » تلك الاهداف التي حددها صاحبها في افتتاحية العدد الاول الى تحقيق أهداف أوسع وغايات ابعد لدرجة انه يمكننا اعتبارها امتدادا لصحيفة « اسرائيل » .

واذا سلمنا بان صحيفة « اسرائيل » كانت صحيفة صهيونية اصبح من السهل علينا معرفة هوية « الشمس » : فبعد وفاة البرت موصيري عاهد سعد مالكي نفسه على ان تكون الفكرة التي حمل لواءها موصيري هي الفكرة التي يعمل لها في المستقبل ، وأن تكون الخطة التي سار عليها في حياته هي نفس الخطة التي سينتهجها بعد مماته . (٢)

وقد اتضح لنا من مطالعتنا لاعداد هذه الصحيفة ومن خلال ما اعترف به صاحبها والذين كتبوا في ذكرى صدورها ان « الشمس » جندت نفسها لخدمة هدف الصهيونية الرئيسي الذي تجلى في المطالبة بالعودة الى فلسطين واقامة وطن قومي فيها وقد اتبعت لتحقيق هذا الهدف سبلا شتى منها :

أ ــ قامت الشمس بايجاد شبه رابطة قومية بين اليهود الشرقيين من خلال ما كانت تنشره عن حياة الطوائف اليهودية في العالم بصفة عامة والشرق بصفة خاصة وعينت لهذا الغرض مكاتبين لها في معظم الاقطار الشرقية وفي بعض بلدان اوروبا حتى يوافوها بصورة واضحة عن حياة اليهود في تلك الدول لتقوم بنقلها الى اليهود في جميع الاقطار الشرقية حتى يكون يهود كل قطر على علم بأحوال اخوانه في القطر الاخر .

---

(٢) صحيفة اسرائيل في ٣-٣-١٩٣٢

ب ـ عملت الصحيفة على بث الروح اليهودية وتقويتها بين يهـــود الشرق ، فقد ادركت أنه بقدر ما تدعم هذه الروح بقدر ما تلقى الصهيونية من استجابة لمشروعاتها واهدافها .

ومما يسترعي النظر أن « الشمس » لاقت عند صدوررها تشجيعا كبيرا من كبار الشخصيات اليهودية في الداخل والخارج أمثال الفريد يلوز وهـــلال فارص من مصر ، والحاخام سلمون ملكاه من السودان ، واسرائيل ولفنسون استاذ الدراسات السامية بكلية دار العلوم بجامعة القاهرة والذي انتقـــل فيما بعد للتدريس في الجامعة العبرية بالقدس ... وغيرهم .

يقول ولفنسون في احدى الرسائل التي بعث بها من القدس الى سعد يعقوب مالكي ونشرت في « الشمس » : « لقد سرني ما رايت منكم من العزيمة على نشر جريدة تكون لسان حال الشعب اليهودي بالديار المصرية .. ان هذا عمل جريء سيؤدي الى انقلاب في الحياة الاجتماعية والادبية اليهوديـــة ليس في الامصار المصريـــة فحسب بل في الاقطـــار الشرقية والاسلامية التي فيها جماعات وطوائف من بني اسرائيل » .

وبعث احد الصحفيين اليهود في فلسطين الى صاحب « الشمس » يعرب عن أمله في « إن تؤدي الصحيفة خدمة جليلة ليهود الشرق ، وأن يسمع صوتهم على صفحاتها ، وان تعمل على بث الروح الوطنية وتأييد النهضة الحديثـة الرائعة في فلسطين ، وأن ترسل من فوق منبرها كلمة الاستنهاض الى الطوائف الاسرائيلية في مصر وسوريا والعراق واليمن وتونس ومراكش واميركا ، وأن تحمل الجريدة البشرى الى تلك الطوائف عن نهضة فلسطين ، وأن تقوم بتقوية الروابط التي ربطت اليهود برغم تشتتهم ، وتبعث فيهم الشعور الوطني ، لكي ينهضوا ويعملوا بحزم ونشاط لتجديد موطن اجدادهم واحياء لغة امتهم (١) .

وهو ما نفذته الصحيفة بالفعل كما سيأتي ذكره .

وقال الدكتور الفريد يلوز عن فضل الصحيفة على اليهود : « لقد جمعت « الشمس » شتاتنا ، فأصبحنا قوة لا يستهان بها ، وسنظل بفضل «الشمس» محترمي الجانب قادرين على القيام بواجبنا نحو الوطن والدين نحو مصـــر واسرائيل . » .

وعبر احد اليهود عن فرحته بالشمس فقال : « لا ريب أن الكل شعـــر بالوحدة والعزلة حينما وصل نبأ توقف جريدة « العالم الاسرائيلي » البيروتية ، ولكن لم تمض برهة طويلة حتى انشق صدر هذه الظلمة عن الشمس التـــي اضاءت الكون ، وفتحت عيون العاملين ، واذا بعد العزلة الاجتماع ، واذا بصوت اسرائيل يرتفع عاليا من جبال لبنان الى شوامخ قمم اهرام الجيزة » .

---

(١) صحيفة الشمس في ١٢-١٠-١٩٣٤

وارسل ابراهيم المالح رئيس المجلس الملي بالقدس الى صاحب الشمس يقول : « من اين لمن لا يقراون العبرية والفرنسية ان يعرفوا شيئا عن حالة اليهود في العالم لولا هذه الجريدة ؟!!

« ولكي تعلم مبلغ عناية القراء بجريدتك انه اذا تأخر وصولها فانهم يشعرون بفراغ ونقص في الغذاء الروحي لا يمكن التجاوز عنه » .

بهذه الكلمات عبر المالح عن اهمية الشمس بالنسبة ليهود فلسطين وقد بلغ من اهتمامه بالصحيفة ان بدأ في مكاتبتها ابتداء من عام ١٩٢٠ كي يسهم بنفسه في تحقيق المهام التي تقوم بها والامال المعلقة عليها ، فنشر بها ابحاثا عن تاريخ الطوائف اليهودية في البلدان العربية وغيرها من المسائل التي تتعلق بالشئون اليهودية .

ونظرا لما كانت تمثله « الشمس » من اهمية بالنسبة للقراء اليهود نجد انهم بداوا يطالبون بتحويلها الى صحيفة يومية فقد وجه اسرائيل ولفنسون نداء من القدس الى المسئولين من رجالات الطائفة في القاهرة والاسكندرية يدعوهم فيه الى تكوين لجنة مالية تكفل نفقات صدور الصحيفة يوميا لمدة عام وبعد سيمكنها الاعتماد على نفسها .

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية ووضوح المخطط الصهيوني للعرب ازدادت المطالبة بصحيفة يومية تقوم بمواجهة السخط العام الذي تفشى بين الشعب المصري ضد اليهود وتدفع عنهم الملمات ولهذا تجددت الدعوة من اجل اصدار « الشمس » يوميا ولكن هذه النداءات لم تجد لها اصداء عند اليهود المصريين او الشرقيين .

وفي عام ١٩٣٥ تمكن القائمون على الصحيفة من اعداد مطبعة خاصة بها، واعربوا عن نواياهم في ان يجعلوا « دار الشمس » دارا للنشر تقوم باخراج المؤلفات العلمية والادبية التي تبحث في الشئون الشرقية واليهودية .

وفي شهر سبتمبر من العام نفسه اصدرت الشمس ملحقا شهريا لها على شكل مجلة ناطقة بالفرنسية تدعى قديما KADIMA . كان مستقلا في تحريره عن « الشمس » وتولى رئاسة التحرير فيه موريس فرخون . وكان يحتوي على مقالات وموضوعات تاريخية ، وصور من التوراة وحوادثها . واخبار الطائفة اليهودية في مصر ، وانباء العالم الاسرائيلي .

وتجدر الاشارة الى ان « الشمس » استعانت في تحريرها الى جانب الكتاب اليهود المصريين ببعض الكتاب الصهيونيين في فلسطين امثال ابراهيم المالح كما ذكرنا . والياس ساسون وايزاك شموس وهما من موظفي الوكالة اليهودية وعملا كمراسلين للصحيفة وموشى شرتوك رئيس القسم السياسي بالوكالة اليهودية .

والى جانب هؤلاء استعانت « الشمس » ببعض الصحفيين المسلمين حتى تبدو بمظهر متسامح وحتى تجتذب اليها قراء من المسلمين ، فاسندت

تحرير باب بعنوان « سينما » تغير اسمه فيما بعد الى « انوار هوليود » الى صحفي يدعى عبد العظيم احمد ، كما كانت تنشر قصصا قصيرة لكتاب من المسلمين ومواد تدافع عن اليهود وتعترف بفضلهم بقلم بعض المسلمين .

وقد حظيت « الشمس » بدعم بعض كبار الراسماليين اليهود في مصر يدلنا على ذلك ان معظم اعلاناتها كانت عن كبرى المتاجر والمصارف اليهوديه مثل محال شيكوريل وشملا وبنزايون وبنك التسليف الوطني والبنك البلجيكي ومحلات بلاتشي بالموسكي ودور السينما التي كان يسيطر عليها اليهود مثل سينما ميامي ومتروبول وديانا بالاس ورويال وغيرها . .

وبالاضافة الى ذلك اختصتها الشركات الصهيونية لبيع الاراضي في فلسطين بنشر اعلاناتها التي كانت تستغل العاطفة الدينية لدى اليهود لحثهم على شراء اراض في فلسطين من هذه الشركات شركة تطوير ميناء جيفا ليمتد . وشركة عتيد ووكالة الاراضي والأملاك الفلسطينية سيون وشركة موليديت . . . الخ .

وهكذا نجد انه برغم ان « الشمس » حاولت عند بدء صدورها ان تظهر بمظهر وطني مصري غير صهيوني فانها في كل ما كتبته ونشرته انما كانت تعبر عن الاهداف والمصالح الصهيونية مما يجعلنا نعتبرها واحدة من أهم الصحف الصهيونية واقواها في مصر .

ولم تدرك الحكومة المصرية اهمية الدور الذي ادته هذه الصحيفه التي ظلت تعمل من اجل اهدافها بهدوء الا بعد قيام دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ وبعد ان تقدمت الجامعة العربية الى ادارة المطبوعات بشكايات ضد هذه الصحيفه تتهمها بأنها دأبت على الطعن في رجال العروبة والجامعة العربية والــدس للقضايا العربية عامة والدعوة الى تأييد مطامع الصهيونية في القطر الشقيق وبأنها تصدر بأموال الحركة الصهيونية في مصر فأصدرت الرقابة العامة قرارها بتعطيل الشمس اعتبارا من ١١ـ٦ـ١٩٤٨ ومصادرة جميع النسخ التي قد تكون موجودة منها بالمكاتب او بأيدي الباعة . .

٥ ـ صحيفة الصوت اليهودي :

في عام ١٩٣١ أصدر البير ستراسلسكي رئيس فرع التصحيحيين في مصر واحد غلاة الصهيونية جريدة ناطقة بالفرنسية في مدينة الاسكندرية هي « الصوت اليهودي » La Voix Juive ، وكان يقوم بتمويل هذه الجريدة عدد من كبار الراسماليين اليهود بالاسكندرية ، كما كانت تحظى بتشجيع الحاخام دافيد براتو حاخام الطائفة اليهودية بالاسكندرية .

وقد عكست هذه الصحيفة خلال فترة صدورها وجهة نظر الصهيونيين المتطرفين داخل المنظمة الصهيونية العالمية الذين كان يتزعمهم فلاديمير جابوتنسكي .

٦ ـــ صحيفة المنبر اليهودي :

وفي عام ١٩٣٦ صدرت في الاسكندرية صحيفة اخرى ناطقة بالفرنسية هي « المنبر اليهودي » La Tribune Juive ، وعلى الرغم من أن كافة المؤلفات التي تناولت هذه الصحيفة بالذكر تجمع على ان صاحبها هو جاك رابين الا اننا عثرنا مؤخرا على الرخصة الخاصة بهذه الصحيفة والاخطار المقدم عنها الى ادارة المطبوعات المصرية ، واكتشفنا ان صاحبها يهودي بولندي الجنسية يدعى مندل كلكشتين هاجر فيما بعد الى فلسطين وترك مسئوليــة اصدار الصحيفة الى جاك رابين بوصفه رئيس التحرير وليس بصفتــه صاحبها .

وتفيد التحريات التي اجرتها وزارة الداخلية ان كلكشتين كان يؤمن بالفكرة الصهيونية ويدعو لها ورغم ذلك فقد حصل على ترخيص باصدار هــــذه الصحيفة رغم انه كان واضحا انه سيستخدمها للتعبير عن الفكر الصهيوني الذي يؤمن به ، مما يؤكد جهل المسئولين المصريين بأهداف الصهيونية الحقيقية .

وقد سببت « المنبر اليهودي » متاعب كثيرة لادارة المطبوعات اذ أنهـــا هاجمت بشدة المانيا وايطاليا ودعت الى مقاطعة البضائع الالمانية مما دفـــع بالمفوضية الالمانية والمفوضية الايطالية في القاهرة الى تقديم شكايات الى وزارة الخارجية المصرية ضد هذه الصحيفة .

وعلى الرغم من ان كلكشتين لم يخطر ادارة المطبوعات مسبقا بأن جاك رابين يشغل منصب رئيس التحرير في جريدته ، وعلى الرغم من انها لم توافق حينما اخطرها بذلك فيما بعد حينما اكتشفت السلطات أنه ليس موجودا بمصر ، وعلى الرغم من ان محل اقامة كلكشتين لم يكن معروفا لادارة المطبوعات فان السلطات لم تتمكن من اتخاذ اجراء ضد هذا الجورنال بالمصادرة ، وظل يصدر حتى عام ١٩٤٨ حينما اصدرت الرقابة العامة أوامرها بتعطيله في ١١ يونية ١٩٤٨ .

٧ ـــ مجلة الشبان القرائين :

في ١٧ ابريل عام ١٩٢٧ اصدرت « جمعية الشبان القرائين » بالقاهرة مجلة « الشبان القرائين » Les Jeunesses Karaïmes باللغتين العربية والفرنسية وتولى ادارتها ورئاسة تحريرها توفيق ابراهيم عبد الواحد .

وكانت هذه المجلة نصف شهرية ومن القطع الصغير (٥ر٢٩ طولا و ٢٢ سم عرضا) ، وكان الجزء العربي منها يحتل الجانب الاكبر من الصفحـــات بينما كان الجزء الفرنسي يحتل صفحتين او ثلاثة احيانا ، وقد توقف عن الصدور في نفس العام .

لقيت مجلة « الشبان القرائين » تشجيعا كبيرا من رجال الطائفة القرائية لدى صدورها ، فقد تبرع لها موسى فرج ايوب شماس بالضمان المالي اللازم لصدورها ، كما تبرع أفراد اخرين بمبالغ اخرى مساهمة في نفقات الصدور منهم مراد فرج المحامي ، في حين زودتها المتاجر اليهودية بالاعلانات .

وفي نفس الوقت انهالت على المجلة عشرات الرسائل من ابناء الطائفة وكلها تشجيع وتعضيد .

وقد حددت المجلة خطتها على النحو التالي :

١ — العمل على نهضة الطائفة ورقيها

٢ — اظهار القومية اليهودية خالدة مخلدة .

٣ — تكوين وحدة ورابطة قومية للطائفة القرائية ، ولم شتات عناصر الطائفة المفككة ، لتجعل منها وحدة قوية تحفظ كيانها ، وترفع مستواها ، لتكون في المركز اللائق بها بين الطوائف الاخرى ، ويكون لها من الرفعة والمكانة ما تتبوأ به عرش التقدير من الهيئة الحاكمة في البلاد .

٤ — ايجاد رابطة متينة بين القرائين في مصر والقرائين في شتى بقاع العالم والعمل على الاتصال بهم ادبيا وفكريا .

وتنفيذا لهذه الخطة بدات المجلة في نشر اخبار اليهود العالمية وبصفة خاصة اخبار الاضطهادات التي كانت تنزل بهم في بلدان اوروبا كما اهتمت بمتابعة اخبار اليهود في فلسطين التي كانت تخصص لها مساحة تفوق تلك التي كانت مخصصة لاخبار اليهود العالمية .

وفي نفس الوقت سعت المجلة الى العناية بشؤون الطائفة رغبة منها في احلال الطائفة القرائية في مصر مكانة مرموقة ولذلك قامت بحملة كبيرة من أجل وضع لائحة داخلية تنظم شئون الطائفة ومن اجل تثبيت الحاخام طوبيا ليفي حاخام اكبر الطائفة .

كذلك فقد استنكرت المجلة استقبال الحاخام طوبيا ليفي لبطريرك الطائفة المارونية بدار شرع الطائفة الربانية ولفتت الانظار الى انه كان من المستحسن إستقباله بدار شرع القرائين حفظا لكرامة الطائفة ومركزها بين الطوائف الاخرى خصوصا وان طائفة القرائين في مصر كانت اكبر طائفة قرائية في العالم .

وعلى الرغم من ان المجلة كانت تعتد بالطائفة التي تنتمي اليها الا انها بحثت سبل التعاون مع طائفة الربانيين بهدف رفع صوت اليهودية بمصر ، وفي هذا الصدد اجرت حديثا مع حاييم ناحوم إفندي حاخام الربانيين عن السبل التي يراها كفيلة بتحقيق التضامن والتعاون بين الطائفتين .

ومن ناحية اخرى اهتمت مجلة الشبان القرائين بتشجيع تعلم اللغة العبرية في مدرسة جمعية الشبان القرائين التي رصدت جوائز ثمينة للمتفوقين في تعليم هذه اللغة ، كما اشادت بالجهود التي تبذلها الجامعة العبرية في

فلسطين ، وحثت يهود مصر على « الا ينوانوا في تثقيف إبنائهم ليشعر اولو الامر ان هناك في مصر جماعة مثقفة جديرة بالمعاونة والاهتمام حتي تأتي العالم بثمر منشود يوما مــا » .

كذلك إهتمت المجلة بأخبار التبرعات اليهودية للكيرن كاييمت وبأخبــار لجان التحقيق البريطانية في احداث فلسطين كما عنيت بابراز مدى النجــاح والتقدم الذي يحرزه الصهيونيون في فلسطين من اجل تنفيذ مخططهم والعوامل التي تكفل لهم تحقيق هذا النجاح اذ تقول على لسان احد المحامين الــذين عادوا من فلسطين « ان تل ابيب قد اثبتت وجودها كعاصمة جديرة بدولة بني اسرائيل . . فاذا كنت تصدق هذه العبارة ولا شك في صدقها فما بالك لا تنظر الى المستقبل نظرة الواثق المطمئن . . ان البقعة غنية موفورة الرزق والشعب نشيط الى حد لا يضارعه شعب على وجه الارض وراس المال كفيل بأن يستغل كل شبر من هذه الارض وهو كفيل بأن يطغى على كل مقاومة » .

٨ ــ صحيفة التسعيرة :

في السابع عشر من شهر يونيو عام ١٩٤٤ اصدر ابراهيم يعقوب مزراحي الشهير بالبرت مزراحي صحيفة « التسعيرة » صحيفة سياسية اسبوعية جامعة خاصة بنشر تسعيرة المواد التموينية .

ويروي صاحب الجريدة قصة صدورها فيقول : « كنت اصدر جريدتين استاجرتهما « جريدة شبرا » و « الدوائر القضائية » بالاضافة الى مجلــة اخرى تدعى « العزيمة » ، وكانت تنشر بهما التسعيرة الرسمية . .

وكان لرواج المجلتين اللتين اصدرهما وقع حسن في قلوب الالاف من القراء ، كما كان له وقع مؤلم لدى طغمة من الحساد والكسالى ، واسهرت العرائض التي قدموها ، والاشاعات التي اشاعوها ضدي عن صدور قرار الداخلية بالغاء المجلتين المذكورتين والغاء رخصة كل مجلة يكون عليهــا اسمي . . »

ويقول البرت مزراحي : « جاءتني ظروف سياسية طيبة ★ فاصدرت « التسعيرة » ، فبعد ان تلاحقت على الاضطهادات لم يسعني في احــدى

★ تذكر تقارير ادارة المطبوعات ان البرت مزراحي اشتغل لحساب فؤاد باشا سراج الدين وانه تمكن من الارشاد عن كمية من المنشورات مما ادى الى اعتقال مكرم عبيد وبعض انصاره فرأى فؤاد سراج الدين ان يكافئه فمنحه ترخيص جريدة « التسعيرة » وقد التقيت بفؤاد سراج الدين فنفى هذه الواقعة بينما اكدها البرت مزراحي في لقائي معه واعترف بانه ساعد في القاء القبض على مكرم عبيد واعوانه .

الثورات النفسية الا ان اكتب لفؤاد باشا سراج الدين وزير الداخلية اشرح ما اعاني ، واطلب حمايتي ، وكم كان عجبي واعجابي شديدين حين وجدته لا يكتفي بحمايتي فقط ، بل ويبدي استعداده لمعاونتي وتعويضي ، وما ان طلبت التصريح لي برخصة جريدة « التسعيرة » حتى وافق في الحال . وكان الفضل الاول في ظهورها لفؤاد باشا سراج الدين .

وقد حدد مزراحي الهدف من اصدار هذه الصحيفة الا وهو « ان يسوق للتجار تنفيذ ما قضت به الاحكام العسكرية خلال الحرب العالمية الثانية من ضرورة ابراز التسعيرة الرسمية في وجهات المحال والمتاجر وتحقيق امنية طالما تطلعت اليها المحاكم خلال نظرها لبعض القضايا التي عرض عليها سيرة امر تجار لم ينفذوا الامر العسكري بتعليق التسعيرة حيث أعربت في اسباب الحكم عن رغبتها في وجود من يقوم بطبع التسعيرة واتاحتهــــا التجار »

ويذكر مزراحي انه ما ان صدر من « التسعيرة » سبعة أعداد حتى بلغ عدد المشتركين فيها خلال هذه الفترة القصيرة نحو اربعة عشر الفا تاجر من التجار واصحاب المصانع والشركات الذين يهمهم اقتناء التسعيرة ولكنه اضطر الى اغلاق باب الاشتراكات ابتداء من العدد الثاني عشر استجابة لمن ادعوا انه يسلك سبلا غير شريفة في الحصول على الاشتراكات ، فقد اتهم بعضهم مندوبي « التسعيرة » بأنهم يهددون التجار والفنانين لحملهم علــــى الاشتراك .

وقد سارت « التسعيرة » ــ كما يقول صاحبها ــ على سياسة تقديم ما يعجب الجمهور ، ولذا نجد انها اهتمت بأخبار الفن وخصصت لها بابا تحوي أخبار الفنانين والفنانات الشخصية ، كما اهتمت بنشر اخبار الجرائم المخلة بالآداب التي تقع في الملاهي والكباريهات ، ثم تحولت في عام ١٩٤٥ الى صحيفة فكاهية بعد وفاة صاحب جريدة « المطرقة » وخلو الميدان الذي تركته « المطرقة » من صحيفة فكاهية هزلية ، ولكنها لم تستمر في هذه اللهجة الساخرة الهابطة طويلا ، فقد عادت الى الصدور جريدة سياسية انتقاديــــة مع اوائل مايو ١٩٤٦ .

وازاء النجاح والمكاسب التي حققتها « التسعيرة » استطاع مزراحي ان ينشىء عام ١٩٤٦ دارا للنشر هي « وكالة مصر للصحافة » وتولت هذه الدار اصدار « التســعيرة » ثم « المصباح » و « الصراحة » اللتين اصدرهما مزراحي فيما بعد كما قامت بطبع الصحف التالية :

« كل يوم ، الواجب ، الراية ، المبادىء ، السحاب ، الكفاح ، صوت الشعب ، الاماني القومية » كما اخرجت بعض الكتب مثل كتاب الشيوعيـــة وكتاب ما هي الماسونية .

وخاضت « التسعيرة » الجدل الذي كان دائرا حول النشاط الصهيوني

في مصر وحول مشكلة فلسطين ، ومنذ البداية اوضحت الصحيفة أنها ضد فكرة تدخل اليهود المصريين في مشكلة الوطن القومي وناشدتهم الابتعاد عن تلك المشكلة حتى تظل العلاقات بينهم وبين مواطنيهم المصريين على ما هي من متانة واخلاص متبادل .

واستنكرت الصحيفة حركات العنف التي يقوم بها افراد العصابات الارهابية في فلسطين كما اعلنت براءتها من ليون كاسترو الزعيم الصهيوني في مصر ، وادانت محاولاته التي اسفرت عن تأسيس الجمعية الصهيونية بالقاهرة، ووصفته بأنه « يلعب بالنار التي ربما تجرقه وتحرق اليهود معه » كما استنكرت الصحيفة أن ترضى الحكومة المصرية عن نشاط الحركة الصهيونية في البلاد وتسمح لها بعقد المؤتمرات واصدار القرارات في قلب العاصمة المصرية ، وطالبت الحكومة بأن تضرب بيد من حديد على ايدي القائمين بها وخصوصا ليون كاسترو الذي لا تجدي معه سياسة الرفق والهوادة على حد قول الصحيفة .

ولم ترض هذه السياسة المعادية للصهيونية التي اتبعتها « التسعيرة » بعض اليهود ، فبعث لها احدهم خطابا يلوم فيه صاحبها على حملته العنيفة ضد اخوانه اليهود .

ويبدو أن بعضهم افلح في التاثير على مزراحي اذ انه توقف عن الهجوم على الصهيونيين في مصر ، وتبنى مهمة الدفاع عن اليهود المصريين ضد اتهامهم بالصهيونية : من ذلك أنه عندما اتهمت صحيفة « الوفاق » اليهود بأنهم يمارسون نشاطا صهيونيا انبرت « التسعيرة » للدفاع عنهم وارجعت حملة « الوفاق » على اليهود الى ان صاحبها لا يحصل على اعلانات أو اشتراكات من المتاجر والشركات اليهودية ولذلك فهو يهاجمهم .

وسلكت الصحيفة سبلا غير سوية في محاربة الصحف المصرية التي تهاجم الصهيونية او اليهود : فعندما حذرت صحيفة « صوت الامة » الوفدية الحكومة من اليهود خوفا على المصالح الوطنية ، ردت « التسعيرة » متهمة الصحيفة الوفدية بانها ليست وطنية لانها لا تعرف واجب الولاء نحو عرش مصر ومليكها ، وقدمت « التسعيرة » الدليل على ذلك حتى تجرد الصحيفة المصرية من كل مظاهر الوطنية ، فذكرت ان « صوت الامة » لم تكتب كلمة في عددها الصادر في السادس من مايو عام ١٩٤٧ تستقبل بها عيد جلوس الملك ، وبهذا حاولت « التسعيرة » ان تستعدي الملك على هذه الصحيفة الوفدية جزاء تطاولها على اليهود منتهزة فرصة سوء العلاقات بين القصر وحزب الوفد .

وفي عام ١٩٥٠ بدأ البرت مزراحي في اصدار ملحق منفصل من صحيفة «التسعيرة» تحت اسم « التسعيرة لامينورا » باللغتين العربية والفرنسية .

ويروي مزراحي قصة صدور هذا الملحق فيقول : « ان جاك مالح شكا

اليه عدم وجود لسان حال للطائفة اليهودية في مصر ، فكان ان اعطاه هــذا الملحق الاسبوعي لينشر به ما يشاء من اخبار الطائفة ، ولكنه اشترط عليه الا ينشر به شيئا ضد حكومة الوفد ، والا ينشر به شيئا عن دولة اسرائيل ، واسند رئاسة التحرير الى زوجته صول مزراحي » (١) .

ومن يطلع على القسم العربي من « التسعيرة لامينورا » يجد انهـا كانت تنشر على الصفحة الاولى منها موضوعات سياسية عامة بينما كانت تنشر على الصفحات الداخلية أخبار الطائفة ، وفصولا من التاريخ اليهودي ، بالاضافة الى تصريحات لبعض القادة الصهيونيين ، وبعض المسئولين في حكومة اسرائيل ، كما كانت تسلط الاضواء على نشاط الوكالة اليهودية : فقد نشرت مثلا تصريحا لناحوم جولدمان رئيس القسم الامريكي في الوكالة اليهودية اعلن فيه أن الاسبقية في الهجرة الي اسرائيل ستمنح ليهود مصر والعراق ورومانيا ، وان هدف المنظمات اليهودية والصهيونية هو العمل على زيادة عدد سكان اسرائيل الى الضعف خلال خمس سنوات .

ونشرت الصحيفة أيضا تصريحا للسفير الاسرائيلي في الولايات المتحدة يتساءل فيه عن المصلحة التي تعود على المصريين من النفخ في ابواق الحرب ، وتأكيده بأنه ليس لمصر مصلحة في امتشاق السلاح وتجويع الشعب من أجل تسليح الجيش .

وقد يستنتج القارىء من قيام « التسعيرة لامينورا » بنشر هذه الاخبار والتصريحات ان الدولة الناشئة حديثا في فلسطين باسم اسرائيل اصبحت تحظى باهتمام هذه الصحيفة والقائمين عليها ، فحرصت على نشر اخبارها ، وعلى ايجاد رابطة بينها وبين يهود مصر ، كما مضت في تنفيذ سياسة اسرائيل الرامية الى ابعاد مصر عن الصراع العربي الاسرائيلي من خلال نقلها لوجهـة النظر الاسرائيلية التي تبرر بها هذا المسعى متمثلة في تصريحات السفيـــر الاسرائيلي السابقة .

واصلت صحيفة « التسعيرة » الصدور حتى عام ١٩٥٤ الى أن صدر القرار الوزاري رقم ٦٤ بشأن اثبات عدم انتظام بعض الجرائد والمجلات ومن بينها صحيفة « التسعيرة » واعتبار الاخطارات المقدمة عنها كأنها لم تكن .

٩ ـــ مجلة الكليم

في ١٦ من فبراير عام ١٩٤٥ اصدرت « جمعية الشبان الاسرائيليـــين القرائين » بالقاهرة مجلة نصف شهرية تدعى « الكليم » ، لتكون لسانا معبرا

(١) مقابلة شخصية مع البرت مزراحي وحرمه بفندق شبرد بالقاهرة في ٢٢ـــ١ـــ١٩٧٩

عن اماني طائفة القرائين ، وداعية الى رفع مستواها والنهوض بجميع مرافقها الاجتماعية والفكرية .

وقد اقتبست المجلة اسمها من التسمية التي اطلقت على سيدنا موسى الذي عرف باسم الكليم .

ويروي احد محرري المجلة قصة صدورها فيقول « انه بعد الجهود التي بذلت للحصول على التامين والورق واختيار الاسم رفض التصريح للمجلسة بالصدور ★ ، ولكن « للكليم » معجزات فلم نركن الى التراخي ولم يتسرب الينا اليأس فأخذنا نكرر المساعي ونجدد الالتماس ، حتى ظفرنا اخيرا بما نبغي ، وصدرت مجلة « الكليم » فصادفت من جمهورنا الكريم القبول الحسن والترحيب » .

وعلى إثر صدور « الكليم » بعث اسرائيل ولفنسون المدرس بالجامعة العبرية بالقدس رسالة الى مراد ليتو رئيس تحرير المجلة اعرب فيها عن سروره البالغ لصدور « الكليم » كصحيفة تنطق بلسان القرائين بمصر وهي امنية طالما تحدث بشأنها مع الادباء اليهود المصريين الى ان وفقوا الى تحقيقها (١) .

وطالب ولفنسون القائمين على امر هذه المجلة بضرورة الاهتمام بأخبار اليهود القرائين وخصوصا بعد المحن والمصائب التي حلت باليهود في جميع بلدان المسمورة في اثناء الحرب العالمية الثانية ، واوضح أن لهذه المجلة اهمية تكمن لا في انها الصحيفة الناطقة بلسان القرائين في مصر بل لانها الناطقة بلسان القرائين في العالم كله ، لانه لم تكن للقرائين في اي من البلدان مجلة او صحيفة تنطق باسمهم في ذلك الوقت ولذلك دعا الى الحصول على اخبار البقية الباقية من الطوائف اليهودية للقرائين التي لم يسمعوا عنها شيئا منذ بداية الحرب .

/ والى جانب ذلك اعرب ولفنسون عن امله في ان تكون « الكليم » قنطرة الاتصال بين طائفتي القرائين والربانيين حتى يعملا معا على احياء مجد اليهود الغابر .

وازاء هذه الدعوات بذلت « جمعية الشبان اليهود القرائين » قصارى جهدها لتوزيع مجلتها في جميع بلدان الشرق والغرب في محاولة للاتصال بالقرائين اليهود والمستشرقين منهم الذين يهمهم الاتصال بقرائي مصر ومعرفة شيء عن اخبارهم .

★ رفضت ادارة المطبوعات مرتين التصريح « للكليم » بالصدور رغم تعهد صاحبها بانها ستكون قاصرة على شئون الطائفة الدينية ولا دخل لها في السياسة ، ولكنها وافقت في الثالثة بعد تعهده بالحصول على الورق اللازم بمعرفته وبدفع التامين نقدا .

(١) مجلة الكليم في ١-٤-١٩٤٥ .

وفي اواخر عام ١٩٤٦ اسست الجمعية لجنة عرفت باسم « القراءون في الخارج » هدفها ايجاد روابط دينية وثقافية واجتماعية بين اليهود القرائين في العالم وقام أعضاء اللجنة بمراسلة قرائي الخارج من عناوين قديمة كانت لدى الجمعية منذ عام ١٩٣٩ فوصلت اليهم ردود من تركيا والعراق والقدس ولوزان وفرنسا نشرتها « الكليم » على صفحاتها أولاً فأول .

كانت اول مهمة حددها القائمون على « الكليم » هي « رفع منار طائفة القرائين في العالم بوجه عام وفي مصر بوجه خاص ، باظهار شخصيتها وابراز ميزاتها ونشر تاريخها وتراثها وتقوية عاطفة الوحدة بين افرادها ، والدعوة الى نسيان الاحقاد كلما جد الجد ، والاسراع الى التآخي كلما دعا الامر » .

وهكذا نجد أن اصدار « الكليم » لم يكن لنشر اخبار المواليد والخطبات فقط كما زعم محرروها في افتتاحية العدد الاول ، وانما تدلنا خطتها التي سارت عليها ان هذا المشروع الكبير كان يرمي الى تحقيق اهداف اكبر اهمها ايجاد رابطة قومية بين قرائي العالم من اليهود .

كذلك فقد شجعت « الكليم » هجرة اليهود المصريين الى فلسطين وتساءل احد محرريها عما اصاب المجلس الملي للطائفة حتى يتناسى او يتجاهل هذا الامر ، وطالب بالعمل على شحذ همم الشباب كي يهاجروا الى تلك البلاد . وتهجير الاسر اليهودية التي اناخ عليها الدهر حتى تكون نواة لطائفة القرائين هناك .

ودعت المجلة ابناء الطائفة الى ان يعيروا هذا الموضوع شيئاً من عنايتهم وان يمد المجلس الملي من جانبه من يريد المهاجرة الى هذا المكان بالمساعدة حتى يتمكن من احياء شريعته في البقعة التي نشأت فيها وظهرت . ورفعت المجلة في هذا المجال « لبوا نداء ذلك المهجور يا اولي الابصار » (١) .

واهتمت « الكليم » بالنشاط الصهيوني العالمي فتابعت انباء المؤتمرات الصهيونية ، كما اهتمت بالحديث عن الاضطهاد الذي يلاقيه اليهود في مختلف الانحاء ، وحرصت على تقديم فصول شاملة تصف عمليات القتل والابادة الجماعية التي نفذها النازي في المانيا ضد اليهود بهدف استثارة مشاعر اليهود واقناعهم بحتمية تأييد الجهود التي تبذل لاقامة الوطن القومي .

والى جانب عناية « الكليم » بهذه القضايا اولت النهوض بشئون الطائفة اهتمامها . فطالبت بتنظيم جباية العاريخاه حتى يوجد للطائفة مورد مالي ثابت ، واهتمت بمشكلة اللحوم الكاشير وفطير الفصح وبتشجيع النسل بين اليهود بصفة عامة والقرائين بصفة خاصة مستعينة في ذلك بنصوص من التوراة وبالقصص الادبي الذي يصور مضار تحديد النسل .

استمرت « الكليم » في الصدور بعد انشاء دولة اسرائيل ولكن ليس

---

(١) المصدر السابق نفسه في ١-٧-١٩٤٥ .

بالسياسة التي اتبعتها من قبل ، فقد تخلت المجلة عن كل الموضوعات التي كانت تتعلق بالوطن القومي واقتصرت على نشر اخبار الطائفة ونشر موضوعات دينية وادبية فقط ، وكان ذلك امرا طبيعيا بعد أن تحقق الهدف الذي كانت تسعى اليه من قبل باقامة دولة لليهود في فلسطين .

وابتداء من شهر ابريل عام ١٩٥٦ بدات مجلة « الكليم » تصدر مرة واحدة في الشهر بدلا من مرتين ثم انتهى الامر بتوقفها عن الصدور اعتبارا من ٤ مايو ١٩٥٧ لسحب تامينها بناء على طلب اصحابها .

١٠ مجلة الكاتب المصري :

اصدرت دار « الكاتب المصري » للطباعة والنشر العدد الاول من مجلة ادبية شهرية تدعى « الكاتب المصري » في اكتوبر عام ١٩٤٥ .

وقد اسندت هذه الدار التي كان يمتلكها اربعة اخوة من اسرة هواري اليهودية رئاسة تحرير المجلة الى الدكتور طه حسين الذي كان يتولى الاشراف على القسم الثقافي بالدار الذي كان يقوم بنشر المؤلفات والكتب المترجمة .

تخصصت هذه المجلة في نشر الادب العربي القديم والحديث ، وتقديم دراسات نقدية في هذا الميدان ، بالاضافة الى نقل مختارات من الادب الغربي الى اللغة العربية ، ونقل مختارات من الادب العربي الى اللغات الاوروبية ، وازاء ذلك اتفقت المجلة مع طائفة من كبار الادباء الاوروبيين والامريكيين كي يوافوها بمقالات وكتابات خاصة تنشر بها لاول مرة باللغة العربية قبل نشرها باي لغة اخرى حتى يكون قراءها اسبق الناس الى الوقوف على ثمرات عقول هؤلاء الكتاب الغربيين ، وكان من بين الادباء الاجانب الذين اتفقت معهم المجلة هنري ستايدل كانبي وهنري كاليه وسارتر ورينيه برنار ماركيه وهنري القيم وهنري بيرلين وروجيه ارناديز وغيرهم .

أما من الادباء العرب فكان يكتب في « الكاتب المصري » طه حسين وابنه مؤنس وابنته امينة وسهير القلماوي وتوفيق الحكيم وسليمان حزين ومحمد رفعت واحمد نجيب الهلالي وحسين فوزي ومحمد عوض وعزيز فهمي وسلامة موسى ويحي الخشاب ولويس عوض ويحي حقي وسيد قطب وشوقي ضيف ومحمود تيمور وفؤاد صروف وريمون فرنسيس .

ويبدو أن مجلة « الكاتب المصري » صادفت رواجا كبيرا نظرا لانها صدرت في وقت كان يشيع فيه الاهتمام بالادب والثقافة ، وكان وجود طه حسين على راسها عاملا من العوامل التي ساعدت على انتشارها بما له من شهرة ومن جمهور عريض سواء داخل مصر او خارجها ، ولعل مما يؤيد هذا الاعتقاد تلك الرسالة التي بعث بها احد القراء العراقيين الى رئيس التحرير يشيد فيها بخروج « الكاتب المصري » عن العزلة الاقليمية التي سارت عليها معظم الصحف

المصرية . كما يشيد فيها ايضا بأن متابعة المجلة لسير الحركة الادبية في البلدان الاخرى ، ونشرها انتاج الادباء العرب غير المصريين ، سيسهم في توحيد الجهود الادبية في اقطار الضاد .

وفي اطار تلك السياسة التي رسمتها دار الكاتب المصري لنفسها نجدها تصدر في عام ١٩٤٥ مجلتين ناطقتين باللغة الفرنسية احداهما هي مجلة « القيم » Les Valeurs وكانت تصدر بمدينة الاسكندرية ، والاخرى «مجلة القاهرة » La Revue du Caire وكانت تصدر بالقاهرة وتنشر بهما مقالات لمشاهير الادباء الغربيين الى جانب الادباء العرب فضلاً عن خلاصة مترجمة للكتب والمجلات الشرقية والعربية والفرنسية .

تعرضت مجلة « الكاتب المصري » للهجوم من جانب بعض الصحف المصرية التي اتهمتها بانها مجلة صهيونية ، فعلى سبيل المثال اعلنت مجلة « المقتطف » مقاطعتها للكتاب الذين ينشرون في « الكاتب المصري » واعتذرت في خطاب ارسله اسماعيل مظهر رئيس تحريرها الى سلامة موسى عن نشر احد موضوعاته لاتصاله بهذه المجلة .

اما صحيفة « التسعيرة » التي كان يمتلكها يهودي هو البرت مزراحي فقد تساءلت عن الكيفية التي تحصل بها مجلة « الكاتب المصري » الصهيونية على الورق برغم صدورها بعد القانون الذي صدر في مصر اثناء الحرب العالمية الثانية والذي ينظم حصول الصحف السيارة القديمة فقط على الورق من وزارة التموين ؟ وهل حصلت عليه عن طريق هذه الوزارة ام عن طريق شركة صهيونية معروفة في مصر ؟

ولكن الدكتور لويس عوض يرى ان الحملة ضد « الكاتب المصري » كانت تستهدف طه حسين في الاساس ، فطه حسين كان منتميا الى حزب الوفد ومع خروج الوفد من السلطة عام ١٩٤٤ حل محله السعديون الذين كان في حكومتهم كثير من خصوم طه حسين ممن بدأوا في مهاجمته وبذل جميع المحاولات لسد ابواب الرزق امامه . (١)

وفي الحقيقة فان الشجاعة التي تميز بها طه حسين في ابداء آرائه الليبرالية التي كانت تتناقض مع المعتقدات والتقاليد التي سادت المجتمع المصري في ذلك الوقت كانت واحدا من العوامل التي اوجدت له خصوما كثيرين ممن لم يكفوا عن مهاجمته واتهامه بذلك النوع من الاتهامات التي كانت خطيرة في ذلك الحين ، فقد اتهم طه حسين بانه نصراني ، وبانه عميل للغرب ، ورسول لفرنسا في الشرق ، وبأنه شيوعي وماسوني وصهيوني وملحد ... الخ ذلك من الاتهامات .

ولعل ما يدعم هذه الحقيقة ان اتهام طه حسين واتهام المجلة بالصهيونية

---

(١) مقابلة مع الدكتور لويس عوض في ١٣-٢-١٩٧٨ .

جاء قبل صدورها وقبل ان يرى متهموه مادتها ويطلعوا عليها ، يتضح لنا ذلك من الحديث الذي اجرته مجلة « الاثنين والدنيا » مع طه حسين وقد رد على متهميه في هذا الحديث بقوله : ليت الذين يذيعون مثل هذا الكلام الفـارغ يستطيعون ان يبلوا في خدمة العروبة مثلما ابليت ... وليس أدل على اني أساعد الصهيونية من اني احيي الادب العربي القديم ، فأنشر ديوان ابي تمام وما كتب عليه من الشروح في العصور الاولى ، وانشر روائع الادب العربي للجاحظ وابي هلال العسكري وغيرهما ، وانشر اشياء أخرى خطيرة تتصل بعلوم القرآن الكريم ، فأي مساعدة للصهيونية اتوى من هذه المساعدة !!

« اما مجلة « الكاتب المصري » التي اسست فيما يقـال لمساعـدة الصهيونية ، فستكون في ايدي الناس حين يظهر هذا العدد من مجلة « الاثنين » وسيقرأون ما فيها ، وسيستوثقون من انها مجلة اقل ما توصف به انها لسان صادق للادب العربي الرفيع » .

واذا تتبعنا موقف مجلة « الكاتب المصري » من قضية فلسطين سنجد انها القت باللائمة على بريطانيا واعتبرتها مسئولة عن تدهور الموقف هناك اذ تقول : « لم تجن انجلترا من فلسطين سوى الحوادث الدامية والثـورات المتعاقبة وقيام مشكلة قومية تعتبر من اعقد واشد ما واجه العالم من مشكلات الشرق الاوسط ، ولو قد بر الحلفاء بوعودهم للعرب في الحرب العالمية الاولى فاقاموا اتحادا عربيا ما تفاقم خطر مشكلة الصهيونيين ؛ لان اليهود الـذين عاشوا مع العرب جيرانا واصدقاء قرونا طويلة كانوا يستطيعون ان يتفاهموا مع العرب راسا على شروط اقامتهم » .

وفي مقال آخر بعنوان « الانتداب والوصاية والاستعمار » تقول المجلة : « ان مشكلة فلسطين خلقتها بريطانيا خلقا عن عمد وعن سبق اصرار لكـي تثبت اقدامها في هذا الركن الخطير من اركان العالم ... وقد رأى الساسـه البريطانيون ان ميثاق عصبة الامم ينص صراحة على ان سكان فلسـطين يؤلفون أمة ذات كيان مستقل ، ولا تحتاج الا الى القليل من الارشاد والمساعدة لكي تنال الاستقلال ، فلم يكن بد من ادخال عنصر جديد من السكان بطريقـه توغر صدور العرب ، وبذلك يسود البلاد النزاع والشقاق ، وتشتد الحاجة الى حاكم محايد لكي يفصل بين المتخاصمين ، وبذلك تضمن بريطانيا بقاءهـا في فلسطين الى أجل غير مسمى ، وهكذا عمدت بريطانيا الى خلق مشكلـة مفتعلة من اجل تثبيت اقدامها في فلسطين » .

وفي مقال آخر يصف فيه طه حسين رحلة قام بها بالباخرة من الاسكندرية الى بيروت ابدى عطفه على المهاجرين اليهود الذين كانوا على ظهر السفينة اذ يقول : حتى اذا بلغت السفينة حيفا .. كان المنظر الذي يبعث في النفس الما اي الم وغضبا اي غضب ورثاء أي رثاء وبغضا اي بغض وحبا اي حب ايضا .. فقد كانت السفينة تحمل ألفا او نحو الف من ضعاف اليهود المهاجرين

من الاطفال والصبية الذين لم يبلغوا الحلم ومن النساء الأيامى منهن من فقدت كل شيء ولم تحتفظ حتى بهذا الامل الضئيل الذي يرسم على الثغور هذه الابتسامة الحزينة ، ومنهن من فقدت كل شيء ولكن بين احشائها حياة تثير في قلبها المكلوم املا ويأسا ، ورضاء وسخطا ، ولذة والما .

وقد يرى البعض في كلمات طه حسين عن المهاجرين اليهود شيئا مما كانت ترديده الدعاية الصهيونية ، ولكنه بالطبع لم يقصد بمقاله هذا أن يخدم الصهيونية ، فهو انما كان يعبر عن مشاعره ازاء مشكلة اليهود من الناحية الانسانية ، هذا بالاضافة الى أن هذا المقال يبين لنا كيف كان المثقفون المصريون يفصلون بين الصهيونية كمذهب سياسي واليهودية كدين ، فاستنكارهم او عدائهم للصهيونية لم يكن يمنعهم من ابداء تعاطفهم مع اليهود كمضطهدين . يوضح ذلك معارضة طه حسين في المقال نفسه لتلك الهجرة اليهودية الى فلسطين بقوله : « اقبل هؤلاء المهاجرون جميعا تتودهم رسل من الحلفاء الى فلسطين ليجدوا فيها امنا بعد خوف ، وراحة بعد عناء ، ولكن أهل فلسطين لم يستشاروا ولم يستأمروا في ايواء هؤلاء البائسين ، ولكن في الارض أوطانا كثيرة أقدر على ايوائهم من فلسطين ، وهؤلاء الجنود البريطانيون قلا ملأوا ثغر حيفا بالعدد والعدة ، وبالبأس والقوة ، ليحموا هبوط هؤلاء البائسين الى هذه الارض التي تكره على ايوائهم اكراها ».

وفيما عدا ذلك كانت الكاتب المصري تنشر أخبار فلسطين في باب شهرية السياسة الدولية بصورة محايدة .

واذا كانت مجلة « الكاتب المصري » لم تعط اهتماما اكبر لقضية فلسطين فما ذلك الا لانها كانت مجلة ادبية في المقام الاول كما أن رئيس تحريرها ومعظم الذين كتبوا فيها كانوا من انصار القومية المصرية ولذلك شغلتهم قضايا مصر بالدرجة الاولى .

استمرت مجلة « الكاتب المصري » في الصدور الى ان احتجبت عن الظهور اعتبارا من ٢٩ يونية عام ١٩٤٨ بناء على طلب أصحابها بعد أن صدر منها اثنان وثلاثون عددا كان أخرها عدد مايو ١٩٤٨ .

١١ — مجلة المصباح :

في الاول من اغسطس عام ١٩٤٦ صدرت عن وكالة مصر للصحافة التي يمتلكها البرت مزراحي مجلة « المصباح » جريدة سينمائية مسرحية في ثماني صفحات من الحجم المتوسط .

كانت هذه المجلة مملوكة للصحفي محمد علي احمد فاستأجرها مزراحي واوكل الى الناقد الفني حسن امام عمر مهمة الادارة والاشراف ، على حين اسند الى زوجته صول مزراحي رئاسة التحرير .

ويرجع السبب في اختيار مزراحي لحسن امام عمر الى رغبته في تحقيق انتشار المجلة وزيادة توزيعها ليس في مصر فحسب ولكن في البلاد العربية الاخرى ، وقد عبر البرت مزراحي عن ذلك بقوله « ان حسن تخصص في هذا اللون من الصحافة الفنية وبرع فيه ، وباشره زهاء عشرة اعوام عن دراسة وتحليل ، وله جمهور في شتى الاقطار الناطقة بالضاد » ، ولهذا كان وضعه على راس المجلة يحقق اهداف صاحبها من ناحية زيادة التوزيع وبالتالي تحقيق زيادة في الارباح .

« ولم يهتم حسن عمر بأناقة الطبع أو بنشر الصور العارية بل اهتم بجعلها مجلة شعبية لا تعنى الا بالنقد الحر الجريء البعيد كل البعد عن كل هوى » .

غير أن المصباح لم تستمر في هذا الخط الذي سارت عليه ، فلم تمض سوى فترة قصيرة حتى استغنى مزراحي عن حسن امام عمر ، وما لبثت المجلة أن انحرفت شأنها في ذلك شأن كل صحيفة تسعى الى تحقيق الكسب المادي فقط ، وشأنها شأن « التسعيرة » التي كان يشرف عليها مزراحي بنفسه .

وخلال الفترة التي شن فيها البرت مزراحي هجومه على الصهيونيين ، اهتمت « المصباح » بكشف خطورة الدور الذي تقوم به الشركات الصهيونية على السينما المصرية ، فهذه الشركات — على حد قولها — من المكر والدهاء بحيث تنشر سمومها دون أن يفطن اليها أحد .

لقد لاحظت المجلة تعدد الشركات السينمائية في مصر الى حد يثير الدهشة وخاصة ان معظمها يؤسس باسم ممثلين كومبارس ، ولكنها اكتشفت أن هناك بعض الصهيونيين من اصحاب رءوس الاموال يختفون وراء هذه الاسماء المصرية الصحيحة ، وينتجون افلاما تسيء الى صناعة السينما ، وتجعلها منحدرة دائما حتى لا تقوى على الوقوف أمام الافلام الامريكية التي ثبت ان المشرفين عليها في الشرق الاوسط هم دعاة الصهيونية : فشركة جوزي فيلم لصاحبها الخواجة موصيري صهيونية لحما ودما نزلت الى الميدان كشركة توزيع ولكنها في الواقع هي التي تنفق على الافلام التي توزعها .

وذكرت « المصباح » أن الصهيونيين احتالوا على قرار الجامعة العربية بمقاطعتهم ، فكونوا شركات للانتاج السينمائي تحمل اسماء مصرية وتخرج في الغالب افلاما تدر ارباحا يدخل اكثرها جيوب الصهيونيين .

وكشفت المجلة التعاون الذي كان قائما بين المخرج اليهودي توجو مزراحي في مصر وبين بعض الصهيونيين في مجال السينما ، فاشارت الى ان اول فيلم للدعاية الصهيونية واسمه « بيت أبي » والذي يبين التقدم الذي احرزه اليهود في فلسطين ، وفيلم « ارض الامل » وهو فيلم اخر للدعاية الصهيونية في الخارج ، قد اتفق كبار الصهيونيين في فلسطين مع توجو مزراحي

على عمل دوبلاج لهذين الفيلمين باللغة العربية لعرضهما على العرب ، وحذرت المجلة من خطورة هذه الافلام الصهيونية ونبهت الى ضرورة محاربتها .
واشارت المجلة الى ان الصهيونيين في فلسطين يقومون بمحاربة شركة افلام الجزيرة العربية هناك ، وانهم عضوا مؤسسة صهيونية مماثلة لمنافسة هذه الشركة التي تعمل من اجل فلسطين .

١٢ ــ صحيفة الصراحة :

في ١٦ من سبتمبر ١٩٥٠ اصدرت وكالة مصر للصحافة صحيفة ثالثة هي « الصراحة » جريدة يومية سياسية وفدية لصاحبتها صول مزراحي .
ولم يكن امتلاك صول مزراحي ــ التي لم تكن تجيد العربية ــ لهذه الصحيفة سوى وسيلة لجا اليها زوجها البرت مزراحي للتحايل على القانون الذي لم يكن يجيز لاي شخص ان يمتلك اكثر من صحيفة واحدة ، لهذا وجدنا البرت مزراحي وهو صاحب « التسعيرة » يدفعه طموحه الى تكوين مؤسسة صحفية كبرى يصدر عنها عدد من الصحف الى استئجار رخصة « المصباح »، ثم ينتهز فرصة عودة الوفد للسلطة عام ١٩٥٠ ويصدر صحيفة « الصراحة » باسم زوجته كصحيفة ناطقة بلسان الوفد ، ويجعل من نفسه رئيسا للتحرير فيها .
وتعتبر « الصراحة » ثانية صحيفة يومية يصدرها يهودي في مصر بعد « الميمون » التي اصدرها موسى كاستلي عام ١٨٨٩ .
ونظرا لان الصحيفة حددت هويتها كصحيفة وفدية لذا نجد انها قامت بمتابعة اخبار وتحركات مصطفى النحاس زعيم الوفد ورئيس الحكومة في باب تحت عنوان « زعيم الامة » ، وفي نفس الوقت قامت بعمل دعاية كبيرة لحزب الوفد فصورت عهد حكومته على انه العصر الذهبي لمصر ، ليس بالمقارنة مع الحكومات المصرية السابقة ، ولكن بالمقارنة مع حكومات العالم .
وبالرغم من أن « الصراحة » كانت أكثر جراة من « التسعيرة » وانتقدت حكومة الوفد عندما رفعت الاسعار في يناير ١٩٥٢ خلال دفاعها عنها الا انهــا ظلت وفية للوفد طالما كان على كرسي السلطة مثلها في ذلك مثل « التسعيرة » اذ انه عندما اقيلت حكومة الوفد عام ١٩٥٢ بسبب حريق القاهرة رحبـت « الصراحة » ــ وهي الصحيفة الوفدية ــ بحكومة علي ماهر وتحدثت عن اخطاء الحكومة السابقة وكيف ان رفعها للاسعار لم يكن هناك ما يبرره .
صار ذلك هو دستور الصحيفة فهي مع كل حكومة تاتي الى السلطة ، ولكن عندما قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ ساورت المخاوف القائمين عليها ، ولهذا نجد الصحيفة تلوذ بالصمت ازاء تلك الاحداث الكبرى التي كانت تقع فــي

البلاد ، بل ان العدد الذي صدر من « الصراحة » بعد الثورة مباشرة لم يشر من قريب أو من بعيد الى ما كان يجري.

وبعد ان تيقنت الصحيفة من استتباب الاوضاع الجديدة شرعت في الحديث عن برنامج بعث مصر في عهدها السعيد ، ووقفت الى جانب الثورة وهاجمت النحاس وصحبه ، ووصفت العصر الذي سبق الثورة بأنه عهد الظلم والفساد والاستبداد ، والغت من شعارها صفتها الوفدية . ثم اتخذت لنفسها فيما بعد شعار الاتحاد والنظام والعمل الذي رفعته الثورة .

وعلى الرغم من ان الصراحة اعلنت انها ستكون يومية الا انها لم تستمر في الصدور يوميا ، وبدات مع حلول عام ١٩٥٢ تصدر يوما بعد يوم وأحيانا مرة كل يومين او ثلاثة الى ان انتهى الامر بتعطيلها عن الصدور بقرار وزاري اعتبارا من ٢٦ـ٥ـ١٩٥٤ لعدم صدورها بانتظام .

واذا جاز لنا تقييم صحف البرت مزراحي فانه يمكننا ان نقول ان هدفها الاول والاخير انما هو تحقيق أكبر قدر من الربح المادي فهو لا يهمه سوى جمع المال بشتى الطرق ولهذا اعتمد على اسلوبين اساسيين لترويج صحفه هما :

١ ـ الابتزاز والتهديد

٢ ـ الاثارة .

وبالنسبة للاسلوب الاول نجح مزراحي في استخدامه الى ابعد الحدود . فقد دأب مندوبو صحفه على تهديد التجار والفنانين الذين لا يعلنون في هذه الصحف بنشر مخالفات وفضائح منسوبة اليهم مما يدخل تحت طائلة القانون ، وكثيرا ما شكا بعض التجار من هذا الابتزاز وذلك التهديد .

وعلى الرغم من ان البرت مزراحي يحاول ان ينفي عن نفسه هذه التهمة ويقول ان « المعلنين كانوا اما من اصدقائه أو ممن يعجبون بقلة ادب «التسعيرة» ـ على حد قوله ـ او من المستفيدين من الاعلان في صحفه » ، فان تقارير ادارة المطبوعات تفيد بأنه اتبع اسلوب غمز الشركات والمتاجر الكبرى مثل شركة مصر للغزل بالمحلة الكبرى ، وشركات بنك مصر ، وشركة مصر للسينما ، وان هذا الاسلوب غايته ابتزاز الاموال ويتفق مع ما هو معلوم عن مزراحي لادارة المطبوعات من انه يتجر بالمهنة .

وقد ساعد مزراحي على ممارسة اسلوب الابتزاز والتهديد ما اشيع عن علاقته بفؤاد سراج الدين وزير الداخلية وسليم زكي حكمدار القاهرة .

اما فيما يتعلق بالاسلوب الاخر ، اسلوب الاثارة ، نجد صحف مزراحي تلجأ الى المبالغة والتهويل فيما كانت تنشره ، وتسرف في استخدام العناوين المثيرة ، وتكثر من الرسوم الكاريكاتورية المصحوبة بتعليقات فكاهية عامية تنحدر لتخاطب ادنى طبقات الشعب ، وتولي اخبار الجنس والجريمة والاخبار الشخصية للممثلين والممثلات والراقصات اهتماما كبيرا ، بالاضافة الى انها كانت تخترع المواقف المسرحية التي تتظاهر فيها بالوقوف مع الجانب الضعيف.

فقد تلونت « التسعيرة » مثلا في مواقفها من فئات جمهورها المختلفة . فهي تقف الى جانب المستهلك وتهاجم التجار هجوما عنيفا لرفعهم الاسعار وتطالب باتخاذ اجراءات صارمة ضدهم تصل الى حد مطالبتها بشنقهم ولكننا نجدها بعد ذلك تقف الى جانب التجار فتستعين بأحد المحامين ليدافع عن مشتركيها من التجار في قضاياهم المدنية والعسكرية بالمجان ، وتهاجم بعنف رجال البوليس بسبب مكافحتهم للباعة الجائلين وسدهم لابواب رزقهم ، وبعد ذلك تصدر عددا ممتازا عن رجال البوليس تقديرا لجهودهم في حفظ الامن ومقاومة الجريمة .

وبالاضافة الى ذلك نجد أن مزراحي اراد ان يتغلغل بصحفه في اوساط الشعب المصري ولكنه وجد أن الغالبية العظمى منه وفدية فما كان منه الا ان اعلن انتماءه لحزب الوفد وعاش في كنفه وفي كنف وزير داخليته ، بل انه اصدر صحيفة وفدية هي « الصراحة » لتدعو للوفد وتسبح بحمده رغم أنه لم يكن منضما الى حزب الوفد بصفة رسمية .

وشأنه شأن كل انسان يسعى للكسب المادي نجد انه نهاز للفرص لا يدع واحدة منها تمر دون أن يستفيد وآية ذلك تحويله « التسعيرة » الى صحيفة فكاهية بعد توقف « المطرقة » ليستحوذ على جمهورها . وهو يستعين بحسن امام عمر حتى يضمن لمجلة « المصباح » جمهورا عريضا في مصر والعالم العربي ، ويستغل صدور قانون يقضي بابراز تسعيرة السلع على وجهات المحال التجارية فيصدر صحيفة « التسعيرة » وهو يعي تماما انها ستلقى رواجا حيث أن التجار والمستهلكين كانوا سيسعون لاقتنائها ، فالمستهلك يهمه معرفة اسعار السلع حتى لا يشتري بزيادة عن التسعيرة ، والتاجر يهمه ابرازها على وجهة محله تنفيذا للقانون ، ثم هو يساوم مكرم عبيد فيطلب منه الحصول على ورق للصحف مقابل توقفه عن الهجوم ضد اخيه الذي كان مرشحا عن دائرة الازبكية ، وبعد قيام الثورة تعرض زوجته على مجلس قيادتها طبع كتب سوداء عن فضائح العهد البائد الذي كان مزراحي واحدا من انصاره ومن اشد المتحمسين للدفاع عنه .

ومع ذلك فانه من المنصف أن نشيد بوقوف صحيفتي « التسعيرة » و « الصراحة » الى جانب المستهلكين ، ومطالبتها برفع المعاناة عن الشعب الذي اصبح فريسة لموجة الغلاء التي اجتاحت البلاد بعد الحرب .

وفي عام ١٩٥٤ اعلن مجلس قيادة الثورة أن سبعة من الاعضاء في نقابة الصحفيين من بينهم البرت مزراحي كانوا يتقاضون مصروفات سرية ، ولكن مزراحي يذكر انه حصل على مبلغ من وزارة الداخلية تحت بند المصروفات السرية بهدف خدمة مصر ، فقد عرض علي فؤاد سراج الدين فكرة عمل نشرات مصورة ضد الانجليز يتم توزيعها على السفن التي تعبر قناة السويس وان المبلغ الذي تقاضاه كان لهذا الغرض فقط .

ظل البرت مزراحي مقيما في مصر حتى عام ١٩٦٠ على حد قوله ثم هاجر الى الولايات المتحدة ، ويذكر البرت مزراحي انه لم ينقطع عن العمل في ميدان الصحافة قبل رحيله من مصر حيث كان يقوم بتأجير بعض المجلات مثـــل « دليل الاسكندرية » وغيرها ليمارس من خلالها مهنة الصحافة التـــي احترفها .

كانت صحيفة « الصراحة » هي اخر صحيفة أصدرها يهودي في مصر .

وخلاصة القول بعد القاء هذه النظرة على تاريخ الصحافة اليهودية في مصر انه في ظل الحرية والمساواة التي كفلها حكام مصر والدستور المصري للطوائف الدينية استطاع اليهود ان يدخلوا ميدان الصحافة ، وأن ينشئوا الصحف الخاصة بطائفتهم ، فلقد شهد النصف الاخير من القرن التاسع عشر مولد هذه الصحافة اليهودية المتخصصة ممثلة في صحيفة « نهضة اسرائيل » على حين شهد النصف الاول من القرن العشرين تطور هذه الصحافة وازدهارها .

وعلى الرغم من انه كانت تصدر لليهود في مصر صحيفتان طائفيتان خلال الاربعينات هما « الشمس » و « الكليم » الا أنه ارتفعت خلال هذه الفتـــرة نداءات تدعو الى اصدار صحيفة يومية يهودية تدافع عن اليهود ضد الهجمات المستعرة التي بدات تشنها ضدهم بعض الصحف العربية بعد افتضاح حقيقة المخطط الصهيوني في فلسطين ، ولكن لم يقدر لهذا المشروع أن يخرج الـــى حيز الوجود بسبب معارضة بعض رجالات الطائفة وبعض التجار الموسرين خشية أن يؤدي ذلك الى تحويل الصحافة المصرية الى صحافة شرسة ممـــا قد يعوق الاعمال ويكثر القيل والقال ، ولكن بعض اليهود ــ باعتراف صحيفة « الشمس » نفسها ــ ارجعوا خلو الميدان من صحيفة يهودية يومية كبيرة الى أن بعض اليهود المشتغلين بالصحافة كانوا لا يرجون الا تحقيق بعض الربح من الصحافة ولذلك كانوا يسيرون في ركب كل حكومة بغية تحقيق المصـــالح وقضاء المآرب .

ومع ذلك فانه يمكننا أن نقول أن الصحف اليهودية قامت خلال فتـــرة ازدهارها في القرن العشرين بتحقيق الامال والاهداف التي علقها القائمون عليها حتى لقد نجحت هذه الصحافة في توحيد اليهود ولم شملهم ، كما قـــامت بدور كبير في الدعوة للوطن القومي ، وحث يهود الشرق على ضرورة تأييده ودعمه بشتى الوسائل ، وفي نفس الوقت استهدفت تلك الصحف التأثير على الراي العام المصري والعربي بغية اقناعه بأهمية التفاهم والتعاون مع اليهود، وتخليه عن معارضته للمشروعات الصهيونية حتى يتحقق حلم اسرائيل في اقامة دولة ، وهو ما سنعرض له في الفصول التالية .

الفصل الرابع

● ايقـــاظ الوعـــي القومـــي اليهودي

تركز النشاط الصهيوني منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني في مدينة بـــال بسويسرا عام ١٨٩٧ حتى صدور وعد بلفور عام ١٩١٧ في السعي من اجل الحصول على وطن قومي لليهود في فلسطين .

وقد ادرك زعماء الحركة الصهيونية منذ الوهلة الاولى ان هذا الهدف يتطلب بذل جهدين :

— جهدا خارجيا يرمي الى البحث عن دولة تساندهم وتحقق لهم امانيهم .

— وجهدا داخليا يستهدف الصهيونيين من ورائه تنظيم انفسهم واعدادها لاستعمار فلسطين وتشجيع الهجرة اليها حتى يصبح اليهود اغلبية فيها وهذا الجهد هو الذي يهمنا في هذا البحث .

من هنا كان احد القرارات الاربعة الرئيسية التي تم اتخاذها في مؤتمر بال قرارا ينص على ضرورة ايقاظ الشعور القومي لدى اليهود ، وازاء ذلك تطرق معظم ايديولوجيي الصهيونية القدماء والمحدثين امثال موزيس هيس وليون بينسكر الى موضوع القومية ، وحاولوا ان يثبتوا في كتاباتهم ان اليهودية ليست دينا فحسب ، وانما هي قومية ايضا ، فهم لا ينظرون الى انفسهم على انهم اعضاء في جماعة دينية ، وانما كأعضاء في جماعة عائلية او ككيان متماسك

يسمى « بنو اسرائيل » يربطه رباط روحي هو التوراة . ورباط عرفي ولغة مشتركة وادب مشترك وتقاليد حضارية تاريخية مشتركة ، اي انهم جماعة دينية توافرت لها اهم مقومات القومية .

وهنا في مصر حاولت صحيفة « إسرائيل » ان تقنع الجميع بأن اليهودية دين وقومية معا حتى تفند مزاعم معارضي الوطن القومي الذين كانوا يقولون بأن « اليهود وحدات لا يربطها الا التواصل الديني دون ان يكون لها ارض تضرب فيها ، ومن ثم فان الوطن القومي ليس له مجال الا في عالم الخيال » .

ولذلك قدمت الصحيفة تعريفا مصطنعا لمعنى القومية يتناسب مع اوضاع اليهود وظروفهم فهي ترى أن القومية هي « ضمير الجماعة وارادتهم لان يعيشوا معا ؛ او هي المبدا المشترك الذي يعيش في ظله افراد قد تختلف مذاهبهم واجناسهم ولغاتهم في بقعة من الارض ، ولما تنمو هذه الافراد وتتكاثر وترقى وتتقدم بفعل قانون التطور تتألف منها جماعة لها اسمها ومكانتها الاجتماعية واهميتها العالمية وقوميتها الخاصة » . (١)

واوضحت الصحيفة في ردها على الكتاب الذين انكروا القومية اليهودية لخلوها من الدولة « ان عدم وجود عرش اسرائيلي لا يضعف معنى القومية لان الدولة كانت اصغر من القومية في المدن الاغريقية القديمة حيث وجدت عدة حكومات مختلفة في حين أن الاقوام المحكومة لم تكن مختلفة . ولم تكن الدولة اكبر من القومية الا في عصر الامبراطورية المصرية والرومانية قديما . اما القومية اليهودية فلا تزال في دور النشوء ، ولكنها سائرة الى الارتقاء كما سارت الشعوب » .

ونظرا لافتقار اليهود الى المقومات التي تجعل منهم قومية مثل أي قومية من القوميات الاخرى نجد صحيفة « اسرائيل » تركز على ان الدين « هو سفينة اليهود في بحر الحياة الى القومية . وان الماضي المملوء بالذكريات والحاضر المملوء بالرغبة والامل في المستقبل هما الركيزتين الاساسيتين للقومية اليهودية » . . . فاذا كان للفرنسي قومية فرنسية ودين كاثوليكي . فلليهودي — من وجهة نظر الصحيفة — قومية يهودية ودين يهودي . اذ أن كلمة يهودية تعني القومية والدين معا ، وفوق ذلك فان لهذا الدين لغة مقدسة هي خير وسيلة لتعارف اثنين من اليهود يلتقيان في بلدة بعيدة غريبة » .

واذا كانت هذه هي المقومات الرئيسية للقومية اليهودية كما كان يراها الصهيونيون في مصر لهذا فقد كان من الطبيعي أن تهتم الصحافة اليهودية بالدين وباللغة العبرية وبالتاريخ اليهودي كمدخل الى ايقاظ الوعي القومي اليهودي ، وسنرى فيما يلي الاساليب التي اتبعتها هذه الصحف لخلق هذا

---

(١) صحيفة اسرائيل في ٢٠-٩-١٩٢٣

الوعي وتنميته .

اولا : العناية بشئون الطائفة اليهودية :

وجدت الصحافة اليهودية ان المهاجرين اليهود الى فلسطين لن يتمكنوا بمفردهم من تحقيق الحلم الصهيوني بانشاء وطن قومي لهم هناك ما لم يكن هناك صف ثان من يهود العالم يقف وراءهم ويقدم لهم الدعم ، كما وجدت ان يهود العالم لن يتمكنوا من المساهمة بفاعلية في دعم جهود الصهيونيين في فلسطين وهم نهب للانقسامات والاختلافات ، فقد كان هناك اليهود القرائين واليهود الربانيين ، واليهود السفارديم واليهود الاشكنازيم ، وكانت كل مجموعة من هؤلاء تعتز بنفسها ، ولذلك كانت تبتعد عن المجموعات الاخرى . هذا بالاضافة الى الخلافات التي كانت تنشب بينهم احيانا والى شعور البعض منهم بالولاء للوطن الذي يعيشون فيه ، ومن هنا قامت الصحافة اليهودية تحت ستار الدعوة الى العناية بشئون الطوائف اليهودية ببذل الجهود نحو حشد اليهود وتوجيههم الوجهة التي تخدم انجاز الاهداف الصهيونية .

وفي البداية ادركت الصحافة اليهودية في مصر اهمية الطائفة اليهودية المصرية بصفة خاصة ، والطوائف اليهودية في الشرق بصفة عامة وما يمكن ان تقدمه هذه الطوائف من خدمات نظرا لقربها من فلسطين . ولهذا اهتمت جميع الصحف اليهودية في مصر بالدعوة الى تحقيق وحدة الطوائف اليهودية سواء هنا في مصر او في الاقطار العربية والشرقية المجاورة ولكن اختلفت هذه الصحف في نظرتها لمفهوم تلك الوحدة .

كانت مجلة « التهذيب » من اولى الصحف اليهودية التي دعت اليهود الى الاتحاد لان « الاتحاد قوة والقوة اداة النوال . . فالانسان لا يستغني في الدنيا عن القوة فهي سلاحه ولولاها ما بقي لامة ملك ولا لدولة سلطان . وما الغالب ولا الفائز في أي معترك الا صاحب القوة » .

من هذا المنطلق كان اهتمام « التهذيب » بتحقيق الوحدة بين افراد الطائفة القرائية التي تنتمي اليها . فدعتهم الى ان يكونوا « كالرجل الواحد الذي يريد الخير لنفسه ويدفع الضر عن ذاته » . كما حثتهم على السعي لاعلاء شأن الامة اليهودية حتى يعود عليهم شرفها لان « شرف الفرد من شرف الامه » .

ولم تكن « التهذيب » في دعوتها الى الاتحاد تنطلق من منظور اقليمي ضيق بل على العكس من ذلك نجدها تسعى لتوحيد اليهود القرائين في جميع انحاء العالم ، فتنشر اخبارهم في كل بقعة يعيشون فيها حتى تخلق شبه رابطة توحد بينهم ، ولكنها مع ذلك كانت ما تزال تنظر الى الوحدة في اطار طائفة القرائين فقط .

اما مجلة « الاتحاد الاسرائيلي » — وهي صحيفة قرائية ايضا — فقد اوضحت لقرائها ان « اليهود هم احوج الناس الى الاتحاد لانه الدعامة القوية

التي يرتكز عليها مستقبلهم ، وهو الاساس المكين الذي يشيد صرح حياتهم .. فبالاتحاد تدرك الطوائف اليهودية كيف تعمل وتكد في سبيل النهوض للوصول الى مركز يليق بها ، وبالاتحاد تعرف كيف تدفع عن نفسها كوارث الحوادث ومدلهمات الخطوب » .

وفي الاربعينات اهتمت مجلة « الكليم » بالدعوة الى الاتحاد لان اليهود في ذلك الوقت « اشد احتياجا الى النظام منه في أي وقت اخر .. فاليهود طائفة قليلة العدد قوتها في اتحاد كلمتها واتحاد جمعياتها وافرادها وشيوخها وشبابها » .

واذا كانت الصحف القرائية تدعو الى الاتحاد من منطلق طائفي ضيق ، فان صحيفتي « الشمس » و « اسرائيل » الصهيونيتين كانتا أصرح في دعوتهما الى الاتحاد من اجل الوطن الاسرائيلي ، فلم تخصا دعوتهما الى الاتحاد بطائفة دون اخرى ، وانما دعتا اليهود جميعا قرائين وربانيين ، سفارديم واشكنازيم الى الاتحاد الذي هو عماد كل شيء ، « فاليهود بحاجة الى وطن ، والوطن بحاجة اليهم ، فليتحدوا ليكونوا قوة واحدة يفهمون بها العالم اجمع انهم عازمون على اخذ حقهم الكامل في الحياة بأيديهم » . (١)

وقد افسحت صحيفة « الشمس » صدرها للكتاب اليهود بفلسطين الذين اخذوا يحثون اليهود المصريين على الاتحاد ، ومنهم ايزاك شموس استاذ الادب العبري بالجامعه العبرية في القدس الذي دعا اليهود الشرقيين الى الاتحاد والى ان يفكروا بانفسهم كما يقول المثل العربي « ما حك جلدك مثل ظفرك ، فتول انت جميع امرك » او كما يقول المثل العبري « ان لم إكن لنفسي فمن يكون لي » .

اتت هذه الدعوات وهذه المساعي ثمارها في عام ١٩٤٦ حينما اجتمعت لجنة مشتركة تضم ممثلين عن طائفة السفارديم وطائفة اليهود الاشكنازيم للبحث في سبل توحيد الطائفتين ، وانتهت اعمال اللجنة الى تكوين مجلس ملي موحد للطائفتين .

وفي عام ١٩٤٧ اتسعت فكرة توحيد الطوائف اليهودية ، فشملت الطائفة اليهودية بمدينة الاسكندرية ، وتكونت لجنة عليا للاتصال بين المجالس الطائفية تتولى النظر في الشئون العامة التي تهم جميع الاسرائيليين في مصر .

وفي الوقت الذي اهتمت فيه الصحافة اليهودية بالدعوة الى توحيد اليهود لاصلاح شئونهم كستار تخفي به أهدافها الحقيقية من وراء هذه الدعوة ، نجد انها اصطدمت في مسعاها هذا ببعض اعضاء مجلس الطائفة ممن عارضوا فكرة اقامة دولة لليهود في فلسطين ، وممن فطنوا الى مغزى هذا النشاط واهدافه .

(١) صحيفة الشمس في ٢١-٧-١٩٤٤

وكانت قد جرت العادة بين اليهود المصريين على اختيار كبار السن من اثريائهم لعضوية مجلس الطائفة ، وكان هؤلاء الاعضاء بحكم معيشتهم الطويلة في مصر التي لم يتعرضوا خلالها لاي تمييز او اضطهاد يخشون من ان يؤدي النشاط الذي يخدم الاهداف الصهيونية الى اثارة المصريين ضدهم ، ويخشون ان يفشل الصهيونيون في تحقيق حلمهم ، فيخسروا الوطن ويخسروا عطف المصريين عليهم ، لكل هذه الاسباب عارض معظم أعضاء مجلس الطائفة النشاط الصهيوني الذي مارسه بعض اليهود في مصر ، ورفضوا الانصياع لتوجيهات الصحافة الصهيونية الخاصة بالاصلاح التي كانوا يعون اهدافها تماما .

لم يجد الصهيونيون في مصر حلا لتلك المشكلة سوى التخلص من هؤلاء الاعضاء وتشكيل مجلس يضم بين اعضائه افراد ذوي ميول صهيونية حتى يتسنى لهم تسيير الطائفة كلها في الطريق الذي يرغبون لها ان تمضي فيه ، ولذلك لجأ هؤلاء الصهيونيون الى صحافتهم فشنوا من خلالها حملات عنيفة ضد مجلس الطائفة واعضائه .

شاركت صحيفة « الشمس » في هذه الحملة فزعمت ان المجلس لم يعد باستطاعته ، بنظمه البالية مسايرة التطور في حياة الطائفة ، وان اعماله كانت ضئيلة في السنين الغابرة ، اما اليوم فقد تغيرت الحال واصبحت اعمال الطائفة كثيرة ومتسعة ، كما ان أعضاءه مهما كان مركزهم المالي ليس في استطاعتهم ان يؤدوا الدور المطلوب منهم ، اذ ان معظمهم قد بلغ سن السبعين او الثمانين وهي السن التي يحتاج فيها الانسان الى الراحة ، فليس في امكان الرجل المسن ان يكافح او يجاهد لاصلاح الخلل واجراء التغييرات الهامة التي تحتاج اليها الطائفة ، ولذلك دعت الى ان يحل الشباب محل اعضاء المجلس المسنين بدعوى انهم اقدر على الاضطلاع بأعباء الطائفة .

ومن الواضح ان الصحيفة كانت ترمي من وراء دعوتها هذه الى اشراك الشباب في اعمال الطائفة ، لان الافكار الصهيونية كانت منتشرة بدرجة اكبر في صفوف الشباب ، كما ان الشباب يمتازون بالحماسة والاندفاع فيسهل التأثير عليهم ومن ثم توجيه اعمال المجلس الطائفي الوجهة المطلوبة .

لم تطالب الصحف اليهودية في البداية بأن يكون المجلس الملي كله من الشباب ، بل طالبت باختيار المثقفين من شباب الطائفة وضمهم الى المجلس حتى يتدربوا على الاضطلاع بأعماله منذ شبابهم ، وحتى يخففوا اعباء العمل عن اعضاء المجلس المسنين ، ويساعدوا في تحقيق الاصلاح الذي تنشده الطائفة .

ولم تنتظر صحيفة « الشمس » حتى يتم البت في هذه الدعوة ، بل دعت الشباب الناهضين الى تأليف اللجان المتطوعة للخدمة العامة لمعالجة الامور الطائفية ، وكانت ترمي من وراء ذلك الى ابراز نشاط الشباب وقدراتهم الى

حيز الوجود حتى تم فرض الامر الواقع بعد ذلك على مجلس الطائفة .

وحثت الصحيفة الشباب على دخول انتخابات مجلس الطائفة والمشاركة في الحياة العامة ، وخوض المعركة بهمة ونشاط ، حتى يتحقق الامل المنشود ، وتبلغ الطائفة المكانة اللائقة بها وبماضيها .

وكانت مجلة « الاتحاد الاسرائيلي » أكثر تعصبا ، فقد دعت الناخبين الى « اختيار الاعضاء الذين تملكت نفوسهم العقائد الدينية اليهودية والعصبية » على اعتبار انهم انسب الاعضاء الذين يسهل التأثير فيهم ، والذين ينتظر منهم ان يعملوا بوحي من دينهم وتعصبهم ، وهو ما قد يؤدي في النهاية الى خدمة الاغراض التي تعمل المجلة من اجلها .

وطالبت صحيفة « اسرائيل » ابناء الطائفة جميعا بالمشاركة في انتخابات المجلس الملي التي كان يتخلف عنها الكثيرون حتى يمكن تغيير نتيجة الانتخابات بما يحقق امنياتها ورغباتها ، واوضحت لهم ان لتلك الظاهرة عواقب وخيمة يترتب عليها ضياع مشروعات الطائفة ، ثم ارجعت اسباب تخلف اليهود عن حضور الانتخابات وحضور جلسات مجلس الطائفة الى الابتعاد عن الـــروح اليهودية وتقاليدها .

ومن ناحية اخرى حرصت الصحف اليهودية على ابراز الطائفة اليهوديه داخل المجتمع المصري وحثها على عدم اللجوء الى العزلة لان ذلك ليس من مصلحتها ، ولهذا فقد انتقدت مجلة « الكليم » طائفة القرائين لانها تعيش منعزلة عن المجتمع المصري مما يجعل شخصيتها متوارية في الاوساط الاجنبية والمصرية ويجعل مركزها ضائعا بين جميع المقامات ، ولذلك طالبت حاخام الطائفة بالقيام بزيارات لرؤساء الدين للطوائف الاخرى حتى يردوا بدورهم الزيارة ، فيعرفوا شيئا عن اليهود وتتوطد العلاقات بينهم وبين اليهود .

كذلك فقد حرصت الصحف اليهودية على اظهار الطائفة بمظهر حسن امام الراي العام المصري وابعادها عن كل ما يشينها ، ودفع بها الحــرص الى درجة ان صحيفة « الشمس » انتقدت توجو مزراحي المخرج السينمائي اليهودي لانه اظهر شخصية اليهودي في فيلم « العز بهدلة » بصورة غيـــر لائقة ، فقد جعله يتحدث بلهجة مصطنعة مبالغ فيها ، كما جعله جشعا بـلا اخلاق .

ولم يقتصر اهتمام الصحافة اليهودية في مصر على العناية بشئون الطائفة اليهودية المصرية فحسب ، بل امتد ليشمل باقي الطوائف الاخرى في الشرق ، وكان لها في هذا الميدان آثارا واضحة ، ففي عام ١٩٣٠ لم ترض صحيفـــة « اسرائيل » عن سير أمور الطائفة اليهودية في العراق ، فكتبت سلسلة مـن المقالات سلطت فيها الاضواء على الحالة السيئة للطائفة ، وهاجمت رئيسها ساسون خضوري ، واهابت بالمواطنين اليهود العراقيين ان يعملوا من اجل القضاء على اسباب تخلفهم ، فما كان الا ان ذهب وفد منهم الى المسئولين في

الحكومة يشكو سوء الحالة التي اصبحت فيها الطائفة ، فاتخذ نوري السعيد قرارا بعزل ساسون خضوري رئيس الطائفة ، وعين الحاخام رئيسا دينيا الى حين اجراء الانتخابات .

وتذكر الصحيفة ان اليهود هناك سروا بهذا القرار ، وخرجوا في مظاهرة تعبيرا عن سرورهم وفرحهم توجهوا بها الى منزل مراسل « اسرائيل » حيث هتفوا بحياة الجريدة وحياة صاحبها البرت موصيري وحياة رئيس تحريرها سعد مالكي ، واعربوا عن تقديرهم للخدمات الجليلة التي قامت بها «اسرائيل» في الدفاع عن قضيتهم .

وقد تابعت الصحف اليهودية اخبار الطوائف اليهودية في الشام والعراق وشمالي افريقيا واليمن وايران والهند بالنشر والتعليق ، وخصصت ابوابا ثابتة لنشر اخبار هذه الطوائف على صفحاتها تحت عناوين مختلفة منها : رسالة بغداد ، رسالة حلب ، رسالة دمشق ، او اخبار اليهود في العالم . كما اوفدت المراسلين الى معظم تلك البلدان ليوافوها بأخبار وتعليقات عن احوال الطوائف اليهودية هناك .

وسعت صحيفة « اسرائيل » الى اقامة اتحاد يضم يهود الشرق جميعا ، لذلك فقد حثت كبار يهود الشرق في عام ١٩٢٢ على العمل من اجل انشاء مجلس طوائف يهودي شرقي يضم مندوبين عن جميع الطوائف اليهودية الشرقية ، ولكن المسئولين عن امور هذه الطوائف تغاضوا عن دعوة الصحيفة .

وجدت الصحف اليهودية ان دعوتها الى الاصلاح والنهوض بشئون الطوائف اليهودية لن تتحقق الا من خلال العناية بثقافة اليهود الدينية ، ومن خلال العناية بالتعليم في مدارس الطائفة ، والنهوض بالشباب ، وترقية جميع مؤسسات الطائفة من دينية وخيرية ، ولهذا انبرت هذه الصحف تدعو الى الاصلاح . وفيما يلي اهم المسائل التي عنيت بها ، وطالبت بتحقيق الاصلاح فيها :

١ ــ الاهتمام بالثقافة الدينية :

دعت الصحافة اليهودية الى ضرورة اهتمام اليهود بالثقافة ، والا يستخف احد بالحياة الثقافية ويعدها من الكماليات ، لانها عظيمة الاهمية في كيان الطائفة ، وارجعت هذه الصحف الجمود الذي تعاني منه الطائفة الى عدم وجود فكرة عامة يشترك فيها ابناء الطائفة ، او اتجاه فكري متحد يعمل الجميع في اطاره .

وجدت الصحف اليهودية ان الحل الوحيد لمشكلة الجمود الذي يسود مؤسسات الطائفة يكمن بصورة اساسية في تثقيف اليهود ثقافة دينية ، ولكنها اوضحت انها « لا ترمي من وراء ذلك الى دراسة فروض الدين اليهودي

فحسب ، وانما التطلع الى الافاق الواسعة من التفكير الاسرائيلي في عصوره الغابرة واللاحقة ، فالامة لا تنهض الا على دعامة وطيدة من القوة المعنوية والتفكير السليم . ولذلك ينبغي أن تتجه الجهود الى تنمية هذه القوة التي تفعل في النفس فعل السحر ، وهذا كله لا يتأتى الا بالعودة الى رسالة اسرائيل ، واتخاذ كتاب الله نبراسا نسترشد به في ظلمات الحياة . (١)

من هذا المنطلق دعت صحيفة « اسرائيل » الى دراسة التوراة وتعليمها للاولاد لان اليهود ـ كما ترى ـ « يحتاجون في جهادهم الحاضر الى قـــوة روحية وشجاعة قلبية واقدام في النفس لن يتحقق الا بالعوده الى الـــدين اليهودي . ففي التوراة قصص بطولة وشجاعة كقصة اولاد ماتاتيا الذين كانوا هم وابوهم مثالا حيا للبطولة والاقدام . والتي توحي الى النفس بأبلغ مثال لحب الرب والدفاع عن شعب اسرائيل ، وفي التوراة ايضا المثل الذي آمن به هرتزل وكافح من اجله : ايم ابشكا صيخ بروشلايم تشتاح يمين ، ومعناه لئن نسيتك يا اورشليم انسى يميني ».

وقامت مجلة « الشبان القرائين » من خلال القصص الادبي بالتشجيع على دراسة التوراة وتعلم العبرية موضحة لقرائها كيف أن التوراة أنقذت فتى يهوديا من الاسر واعادته الى اهله محملا بالهدايا .

وطالبت مجلة « الكليم » بالعودة الى الدين ، واوضحت ان عـــدم الاستقرار الذي يعاني منه اليهود والقلق الذي يساورهم والمصائب التـــي تنزل بهم ليست الا نتيجة لاهمالهم اوامر الله ومخالفة تعاليمه وعدم العمـــل بالوصايا العشر .

واشارت المجلة الى ان الله انزل التوراة على شعبه بني اسرائيل لمحبته لهم وهذا دليل على عظيم قيمتها ، لذلك حثت قراءها على قراءة التـــوراة ودراستها . وعدم التواني عن حضور المحاضرات الدينية والاجتماعية والثقافية التي يلقيها بكنيس العباسية كبار رجال الدين في الطائفة ، حتى يزيدوا معارفهم ويوسعوا مداركهم .

وذكرت « الشمس » أن الدين هو افضل شيء يتذرع به الانسان المؤمن في هذه الدنيا ضد النواهي ، فانه اصدق مرشد لليهود في سيرهم في هـــذه الحياة . ولذلك دعت اليهود الى العناية بالتعليم الديني لا نه له أهمية كبيرة في حفظ كيان الطائفة وثباته ، وأوضحت انه لو لم يكن هناك رجال يقضون الوقت في دراسة التوراة والمحافظة على تراث اليهود الروحي والقيام به ما بقي هناك يهود ايضا .

وطالبت الصحيفة بتقديم المساعدة الى المعاهد الدينية الكثيرة المنتشرة في فلسطين للحفاظ عليها واستمرارها في آداء رسالتها بعد أن اندثرت أهـــم

---

(١) صحيفة الشمس في ١٩ـ١ـ١٩٤٥ .

المعاهد الدينية والثقافية التي عرفها اليهود في اوروبا .

واهتمت الصحافة اليهودية بتجديد الحياة في المعابد بحيث تجتذب الجمهور الى الصلاة وذلك باعداد رجال الدين ليضطلعوا بمهمة توجيه الشعب الى رسالة اسرائيل ، واقترحت « الشمس » لحل مشكلة الحزانيم — اي الوعاظ — ايفاد بعض الشبان الاتقياء الى الجامعة العبرية كي يتموا دراستهم ثم يعودوا الى مصر لتولي الامور الدينية ، واوضحت ان بعض الطوائف الاسرائيلية في سوريا سبقتهم الى هذا الحل ، وان الجامعة العبرية قبلت تعليم اولئك الطلاب بدون مقابل او بنفقات تكاد تكون رسمية .

وانتهزت الصحيفة فرصة وجود ياقير بهار مندوب الجامعة العبرية في القاهرة لجمع التبرعات وحثت مجلس الطائفة على الاتفاق معه على ايفاد بعض الشبان الى الجامعة العبرية ، فقد وجدت الصحف اليهودية ان بناء حياة اسرائيل وتجديدها لا يتم الا بتحويل المعبد الاسرائيلي الى معهد للتربية والتثقيف والهداية ، وبجعل رجل الدين زعيما وراعيا وقدوة صالحة في الغيرة على مصالح اليهود . ولذلك اهتمت هذه الصحف بأمر هذه المعابد باعتبارها من انسب الاماكن التي يمكن عن طريقها نشر الثقافة الدينية ، وحث اليهود على التمسك بدينهم ، وبث المفاهيم المراد ترسيخها في عقول الجماهير اليهودية التي تحتشد من تلقاء نفسها ودون اي عناء لاداء الصلوات .

غير انه لا يخفى علينا ان هدف « الشمس » من ايفاد رجال الدين اليهود الي الجامعة العبرية لم يكن الا لتجنيدهم حتى يقوموا بترويج الفكر الصهيوني من خلال الدين ، وحتى يخلقوا دعاة مؤثرين يقومون بدور خطير من اجل حشد الجماهير اليهودية وراء الهدف الصهيوني .

غير ان ظاهرة انصراف الكثيرين عن المعابد وامتناعهم عن الذهاب اليها في الاعياد والمواسم اقلق بعض الصحف اليهودية ومنها « الشمس » التي انبرت تدعو الى تشييد معابد جديدة تفي بحاجة روادها من اليهود ، والى توسيع المعابد القديمة كلما امكن حتى تتسع لاكبر عدد من اليهود ان لم يكن كل اليهود لانها وجدت انه ليس هناك سلاح أمضى واقوى من المواعظ الدينية التي تلقى على الجمهور .

ووجد مراد فرج صاحب مجلة « التهذيب » ان الكنيس يشكل اساسا لوجود اليهود القومي واستقلالهم الذاتي ، ولذلك دعا اليهود الى ضرورة حفظ اساسهم القومي وذلك باقامة المعابد .

واهابت « الشمس » بدار الشرع ان تشجع ابناء الطائفة الذين يرغبون في اقامة معابد منزلية « مدراشيم » لاقامة الشعائر الدينية اثناء الاعياد حتى لا يبتعدوا عن تأدية الشعائر بسبب الزحام في المعابد وطول الصلوات ، كما اقترحت الصحيفة لحل مشكلات المعابد ضم جميع المشرفين عليها الى اللجنة الخاصة بادارة شئون المعابد بمجلس الطائفة لانهم اعلم من غيرهم

بشئونها وما يلزم كل واحدة منها .

اما صحيفة «اسرائيل» فقد اقترحت لحل مشكلة الحزانيم في المعابد توحيد ادارات جميع المعابد اليهودية في ادارة واحدة يكون لها صندوق واحد ينفق عليها جميعا حتى يسهل التغلب على هذه المشكلة بتدريب فئة من المصلين على اصول الصلوات والحانها ثم بعد ذلك يوزعون على المعابد .

والى جانب المعابد اليهودية كانت هناك المحافل والجمعيات الخيريه والدينية اليهودية التي اولتها الصحف اليهودية عنايتها حتى تسهم في الجهود المبذولة من اجل الارتفاع بمستوى الطائفة الديني والاجتماعي .

وكان من اهم المحافل اليهودية في مصر محفل « بني بريت » ، ونرجع اهميته الى انه كان يدير اعمال الطائفة بطريق غير مباشر لانه كان يتحكم في الانتخابات العمومية لمجلس الطائفة .

وقد تولى رئاسة هذا المحفل صهيونيان : الاول سيمون ماني والاخر ليون كاسترو الزعيم الصهيوني الذي تحدثنا عنه من قبل .

وكان هناك ايضا الجمعيات الخيرية والدينية التي علقت عليها الصحافه اليهودية آمالا كبارا من اجل بذل الجهود لاصلاح امور الطائفة ومن اجل ان تجعل هذا الاصلاح من الاعمال الاساسية لها خصوصا في الفترة التي لم يكن فيها كثير من اعضاء مجلس الطائفة قادرين على تلبية مطالب الصحافة اليهوديه. وكان من المتعذر في الوقت نفسه استبدالهم بغيرهم ، ولذلك حاولت صحيفه « الشمس » أن تجعل هذه الجمعيات بمثابة احزاب صغيرة تجعل من الاصلاح الطائفي اهم اغراضها .

وقد وجدت هذه الدعوة اصداء لها في جمعية الشبان اليهود المصريين التي بادرت الى تاليف لجنة خاصة للعناية بشئون الطائفة وتمت الموافقة على الخطة التي وضعت لتحدد اوجه نشاط هذه اللجنة .

ب ـ الدعوة الى تعليم اللغة العبرية :

منذ بدا اليهود المصريون يهتمون بفلسطين وفكرة الوطن القومي اخـذوا يوجهون جهودهم نحو احياء الثقافة العبرية ، ولذلك نجد انه في الفترة ما بين عامي ١٩٢٥ و ١٩٣٥ انشئت في مصر عدة مؤسسات هدفها خلق ثقافة عبرية. منها على سبيل المثال النادي العبري ، وجمعية اصدقاء الجامعة العبريه .

وفي فلسطين تأسست جمعية « بريت عبريت عولاميت » وكان هدفها الرئيسي هو بث الدعوة للتجديد والبعث الديني والثقافي واحياء اللغة العبرية وقد استطاعت هذه الجمعية أن تنشىء لها فروعا في مصر وشمالي افريقيا والشرق الاوسط لتقوم بتنفيذ سياسة الجمعية الام التي قامت بتزويد فروعها في تلك المناطق بالكتب والمعونات المادية والمعنوية .

وفي مصر قام فرع هذه الجمعية بانشاء فصول لتعليم اللغة العبرية واسهم في انشاء الاندية الادبية والرياضية وزودها بالكتب التي تحتاج اليها كما قام بتنظيم دروس في اللغة العبرية داخل هذه الاندية باعتبارها انسب مكان يسهل فيه تجميع الشباب اليهود .

وقد سلطت الصحافة اليهودية الاضواء على نشاط هذه الجمعيات وساعدتها في مهمتها بأن بثت المخاوف في نفوس قرائها من وجود خطر على الثقافة العبرية يكمن في وجود لغات متعددة يتكلم بها اليهود كما أوضحت ما للغة العبرية من أهمية في تدعيم كيان الامة وحفظها وصون تراثها الروحي من الضياع .

وكانت مجلة « الكليم » اكثر ايجابية من غيرها من الصحف اليهودية ، اذ انها لم تكتف بالحث على الاقبال على تعلم اللغة العبرية ، بل قامت بنشر دروس في تعليم هذه اللغة حتى تسهل لقرائها مهمة تعلمها اذا لم يتمكنوا من الذهاب الى فصول اللغة العبرية .

وتابعت المجلة جهود « جمعية الشبان الاسرائيليين القرائين » في هذا المضمار ، كما كانت تنشر الاعلانات والنداءات التي كانت توجهها « جمعية شبان حب التوراة » الى أبناء الطائفة للاقبال على تعلم اللغة العبرية في الفصول الليلية التي افتتحتها لهذا الغرض .

وكانت الإعلانات التي نشرتها مجلة الكليم مصاغة بأسلوب كله حث وترغيب لتثير الغيرة في النفوس وليس الاعلان التالي سوى نموذج لهذا الاسلوب .

الى ابناء الطائفة

١ — هل عملتم بواجبكم نحو طائفتكم ؟

٢ — هل أنتم قراءون قلبا وضميرا ؟

٣ — هل تعلمتم اللغة المقدسة وعلمتوها لابنائكم ؟

٤ — هل تؤدون واجبكم نحو الله بفريضة الصلاة صباحا ومساء ؟

هلموا الى واجبكم ايها الشبان . . الى فصول تعليم لغة التوراة ولغة آبائكم المقدسة وبحفظها تكونوا قرائيون قلبا وضميرا ولكم الشرف في تعلمها لانها أول اللغات المنزلة .

جـ — الدعوة الى النهوض بالشباب اليهودي :

ادركت الصحافة اليهودية في مصر في اوائل الثلاثينات من هذا القرن الدور الذي يمكن ان يضطلع به الشباب اليهود في تحقيق جميع الاماني والامال التي تتطلع اليها ، ومن هنا بدأت تسعى لاعدادهم اعدادا يؤهلهم لتحمل التبعات المنوطة بهم ، واوضحت للجميع انها ليست مخطئة في تعليقها الامل على الشباب

لان « الشباب في كل امة وكل شعب هم الذين تحققت على أيديهم الاحداث الجسام وكل الانقلابات ذات البال ... فهو يتقدم دائما ولا يقف به طموحه واندفاعه الا ازاء النصر الاخير » .

وكانت صحيفة « الشمس » من اكثر الصحف التي حملت لواء الدعوة للعناية بالشباب اليهود ، فاسترعت الانظار الى ان « الشباب يسيرون بغير هداية ولا ارشاد من جانب المشرفين على أمور الطائفة ، وان هذا الاهمال كانت له نتائج لا تبعث على الارتياح منها انصراف الشباب عن العمل الجاد الى اماكن اللهو وصالات الرقص ، وتفشي الزواج المختلط وكثرة احداث الخروج من الملة » .

واوضحت الصحيفة ان الخطر لم يقتصر على ذلك فحسب بل ان كثيرين من الشبان الذين شعروا بالفراغ المؤلم لم يلبثوا أن تشيعوا لهذا او لذاك من المبادىء او الزعماء ونسوا انهم اسرائيليون وعليهم واجبات لطائفتهم وديانتها وكان من نتيجة ذلك ان تبددت جهودهم في اشياء لا علاقة لها بشئون الطائفة وامورها .

وقدمت الشمس عددا من الحلول امام المشرفين على شئون الطائفة للنهوض بالشباب منها :

أ ــ تقوية الشعور اليهودي في افئدتهم لان هذا الشعور لا ينطوي الا على حب الانسانية والعدل والايمان بالله والعطف على الضعفاء والبؤساء

ب ــ ايجاد نوع من التعاون بين مجلس الطائفة وجمعيات الشبان على تعدد اغراضها وتباين مراميها الادبية .

ولكن سعد يعقوب مالكي رئيس تحرير صحيفة « اسرائيل » وصاحب « الشمس » اعلن صراحة ان الحل الامثل لمشكلة الشباب يكمن في الصهيونية التي هي بشهادة احد اقطاب التبشير « تحمل عوامل قوية ساعدت في صد تيار التبشير وحماية الكثيرين من الوقوع فرائس للمبشرين » .

وقال مالكي انه « من المستطاع التغلب على اليهودي المتدين وتنصيره بالاغراء المستمر اما الصهيوني فمن المحال اقناعه بالتنصر ، لانه تسهل عليه التضحية بحياته دون مبدئه ومطمحه السامي الذي يتفانى في حبه » .

واكد مالكي على اهمية الصهيونية ودورها في انقاذ الشباب اليهود بقوله « من لطف الله بالامة اليهودية ان قيض لها ــ وهي على وشك الوقوع في اليأس من تحسن احوالها ــ ان ظهرت الى الوجود الحركة الصهيونية التي قدمت المثل الاعلى للشباب وللامة باسرها .

وهكذا يتضح لنا أن الصحافة اليهودية التي اهتمت بامر الشباب كانت ترغب في تنشئته في ظل المبادىء الصهيونية ، وكان من نتيجة ذلك ان تعددت الاندية التي انشئت لتخدم الشباب ، فقد وجد المسئولون في الطائفة ان الشبان اليهود ينجذبون الى الملاهي والاندية وصالات الرقص ، فما كان منهم

الا ان انشاوا العديد من الاندية ودور اللهو الخاصة بالطائفة حتى يتم اجتذاب الشبان اليهود من الاماكن العامة اليها ، وبذلك يكونون خاضعين لاشـراف الطائفة التي تستطيع توجيههم حينئذ .

ولم تكن الاندية اليهودية هي مجرد أماكن للهو فقط بل جعلها المسئولون في الطائفة اماكن للحشد والتوجيه فقد انشئت بها المكتبات التي زودت بالكتب المتخصصة في الشئون اليهودية والصهيونية كما القيت بها المحاضرات ونظمت بها الدروس في اللغة العبرية .

وكان من أهم الاندية التي اقيمت للشباب « النادي الصهيوني » الـذي انشىء عام ١٩٣٥ والذي يوضح اسمه طبيعة النشاط الذي كان يقوم به ، ونادي « الاتحاد العالمي للشبيبة الاسرائيلية » الذي كان مقره بشارع فؤاد الاول (٢٦ يوليو حاليا) ، والذي كانت تنص الفقرة الثالثة من المادة الخامسة من قانون النادي على تأسيس جماعة يطلق عليها اسم « مكس نوردو » مهمتها بث الروح الصهيونية وتنبيه ابناء الطائفة الى واجبات فلسطين عليهم .

وقد قام هذا النادي وهو أكبر ناد يهودي في مصر وكان معترفا بـــه أمام الهيئات الرسمية ــ قام بانشاء قسم تحت اسم « هاعبري هاصعير » لنشر اللغة العبرية وتعليمها ، ثم تعدى هذا القسم اختصاصه ، فاصبح يقوم بنشر المبادىء الصهيونية ، كما نظم كثيرا من المحاضرات التي كان منها ما يخرج عن دائرة اختصاصه ، وكانت هذه المحاضرات تلقى خلسة دون ان يعـلم بها بقية اعضاء النادي .

وادى هذا القسم خدمات جليلة للكيرن كايمت بالتبرعات التي كـــان يجمعها لشراء الاراضي في فلسطين ، واقامة المستعمرات اليهودية في فلسطين، ولم يكن نادي الاتحاد العالمي هو الوحيد الذي يقوم بجمع الاموال للكيرن كايمت وانما اسهمت في ذلك باقي الاندية اليهودية في القاهرة والاسكندرية .

ومن ناحية أخرى قام نادي الاتحاد للاسرائيليين القرائين الى جانــب تشجيعه للنشاط الرياضي بتنظيم المحاضرات واقامة فصول تعليم اللغــة العبرية كما انشأ مكتبة زودها بمختلف الكتب الحديثة من عربية وافرنجية وعبرية وقد اسهم في تدعيم هذه المكتبة الامير عمر طوسون والامير يوسف كمال .

وكانت هذه الاندية تستضيف الشخصيات الصهيونية التي تمر بالبـلاد لالقاء المحاضرات على اعضائها تلك المحاضرات التي كانت تهدف الى خلق شعور قومي يهودي في الشباب .

وفي عام ١٩٣٥ بدأت صحيفة « الشمس » حملة تهدف الى حشد جهود الشباب وتوحيد صفوفهم في اطار هيئة تتولاهم بالرعاية ، وترسم لهم معالم الطريق الذ يسيرون فيه ، وشارك في هذه الحملة الطبيب الاسرائيلي هلال فارص والفريد يلوز وأخوه ادوار حيث قاموا بكتابة سلسلة من المقالات نشرتها

هذه الصحيفة اوضحوا فيها الدور الذي يمكن ان يقوم به الشباب في حياة الامة الاسرائيلية وكيف انه اذا احسنت قيادتهم عظمت قوتهم ففازت الامة وسادت ، وأكدوا انه من الضروري ان تحاط هذه القوة بما يصونها ويدفعها نحو الطريق القويم والعمل المنتج وذلك بان يتم تاليف جبهة واحدة تضم عناصر الشباب ، وان تكون لهم جمعية تعبر عن امانيهم ، وتكون وسيلة للتعارف بينهم على غرار جمعيتي الشبان المسلمين والمسيحيين .

اختمرت فكرة تاسيس جمعية للشبان اليهود في اذهان بعض الادباء والشبان الصهيونيين فكان أن تشكلت لجنة تحضيرية للنظر في تكوين هذه الجمعية انضم اليها الفريد يلوز واسرائيل ولفنسون وهلال فارص ورحمين كوهين وصاحب « الشمس » .

وفي مساء الاربعاء الثالث من يوليو عام ١٩٣٥ أعلن تأسيس « جمعية الشبان اليهود المصريين » التي اتخذت مقرها بعمارة اسايس في اول الحي اليهودي بالموسكي .

وقد خلع المشرفون على هذه الجمعية ونشاطها ثوبا وطنيا براقا فقد اعلنوا ان شعارها هو « الوطن والدين والثقافة » وان مبداها هو خدمة مصر والتفاني في الاخلاص لمليكها ورفع شأن اليهود في البلاد ادبيا واخلاقيا واجتماعيا ، وتعويد الشبيبة على الاخلاق القويمة وتعليمها اللغة العربية وجعلها لغة الكلام في البيوت والهيئات والاجتماعات ، والتقريب بين عناصر الامة على اختلاف اديانها واجناسها .

وبعد الانتهاء من مهمة تكوين الجمعية بدأت « الشمس » في دعوة الشباب للانضواء تحت لوائها فوصفت الجمعية بانها هي التي ستعيد مجد الشعب اليهودي ، والتي ستجعل الامة المصرية بمعونة هؤلاء العاملين تتقدم صفوف الامم جميعا وتتربع على عرش المجد والفلاح .

وفي الحقيقة كان هدف هذه الجمعية باعتراف القائمين عليها هو تعزيز الروح اليهودية في نفوس الشبان من خلال المحاضرات التي كانت تتناول موضوعات تتعلق بالتوراة والتاريخ اليهودي والشخصيات اليهودية البارزة ودروس اللغة العبرية .. الخ واذا كان القائمون على امر هذه الجمعية والداعون الى تأسيسها أناس تسلطت على عقولهم الفكرة الصهيونية لهذا فقد كان من الطبيعي أن يعملوا على نشر افكارهم الصهيونية بين الشباب وتكريس جهودهم بما يكفل لهم المساهمة بنصيب فعال في تحقيق الاهداف الصهيونية .

تعرضت « جمعية الشبان اليهود المصريين » لمحاربة بعض افراد الطائفة الذين اتهموها بانها لا تخلق الشبان اليهود المصريين الذين يتطلعون اليهم ، ولكن صحيفة « الشمس » التي جعلت من نفسها لسان حال هذه الجمعية تحدثت عن نشاط الجمعية في ميدان الوطنية ، فذكرت انها ارسلت وفدا الى بيت الامة عام ١٩٣٥ لمقابلة زعماء البلاد وعلى رأسهم مصطفى النحاس زعيم

الوفد ورئيس الحكومة لتهنئتهم بعودة الحياة الدستورية ، كما قامت بتوثيق عرى الصداقة والمحبة بين اليهود وباقي طوائف الامة بالمشاركة في اعياد المسلمين بارسال وفد في كل عيد وكل مناسبة الى السراي الملكية والى بيت الامة لتقديم التهاني القلبية ، كما شيعت جثمان الملك فؤاد بشاراتها واعلامها .

وفي عام ١٩٣٩ استطاعت الجمعية أن تؤسس لها ناديا باسم نادي جمعية الشبان اليهود حتى يلتئم فيه الشبان اليهود وقد نجحت فكرة النادي وادت الى زيادة عدد اعضاء الجمعية الى اضعاف ما كان عليه .

وشجعت «الشمس» في نفس الوقت الاتجاه الذي ساد داخل الطائفة نحو توحيد الاندية وضمها في اتحاد واحد يشملها جميعا ، واقترحت وضعها تحت اشراف ليون كاسترو حتى يتم توجيهها وجهة صهيونية ، كما حثت مجلس الطائفة على بحث السبل الكفيلة بتحقيق التعاون بين المجلس والجمعيات والاندية الشبابية بدعوى تدعيم كيان الطائفة الاجتماعي ، وقد اخذ مجلس الطائفة هذا الاقتراح مأخذ الجد وقام بنظره في احدى جلساته ، ثم قرر تأليف لجنة لتنفيذ هذه الفكرة اطلق عليها اسم « لجنة التعاون مع الجمعيات الاسرائيلية » اوكل اليها مهمة تقديم المعونة المادية والادبية لهذه الجمعيات والإشراف عليها ومتابعة نشاطها وحل المشكلات التي تواجهها .

ومن ناحية اخرى دب النشاط في طائفة القرائين التي بدأت هي الاخرى في حشد شبابها ، فقد اسست في مارس عام ١٩٣٧ « جمعية الشبان الاسرائيليين القرائين » التي اصدرت مجلة « الشبان القرائين » لسان حال لها وقد قامت هذه الجمعية بتنظيم سلسلة محاضرات اسبوعية دينية وادبية وبتنظيم الحفلات والرحلات كما قامت بالدعاية لطائفة القرائين في الصحف المصرية الكبرى . وقد انضمت الى هذه الجمعية جمعية الاتحاد التي ظلت تخدم الطائفة زهاء ١٧ عاما .

واسست « جمعية الشبان الاسرائيليين القرائين » ناديا خاصا بها بهدف تسهيل سبل التعارف والمحبة بين ابناء الطائفة ، ونشر التعليم بين الاميين منهم ، وبث تعاليم الدين اليهودي بين افراد الطائفة .

العناية بالمرأة والفتاة اليهودية :

اولت الصحافة اليهودية الفتاة والمرأة اليهودية اهتماما كبيرا نظرا لخطورة الدور الذي يمكن أن تقوم به في حياة الطائفة ، فالفتاة الاسرائيلية هي زوجة المستقبل وام الغد ، وعليها تقع مسئولية اعداد الاجيال اليهودية القادمة ، لذا كان من الضروري الدعوة الى الاهتمام بها واعدادها ليكون الجيل الاسرائيلي نافعا .

فقد استرعت « الشمس » الانظار الى أن على المرأة اليهودية واجبا و

كفاح اسرائيل الحالي مثلما قامت بواجبها في التاريخ القديم ، ووجدت الصحيفة انه بعد انتهاء النازية اصبح قمينا باسرائيل ان يكافح الى النهاية اذا شاء لنفسه راحة او حياة ، ودور المراة في هذا الكفاح أن تكون الوحي والالهام ، فهي تبعث الشجاعة وتزرع البسالة في كل مراحل الكفاح الجديد ، وتؤدي دورها كاملا في النضال من اجل الحياة الحرة المجيدة لليهود .

لكل هذه العوامل طالبت الصحيفة ببث الروح اليهودية في الفتاة والمراة وحثت الحاخام الاكبر على انشاء جمعية للوعظ والارشاد وغيرها من الجمعيات لتقوم تحت اشرافه باعداد الفتاة الاسرائيلية منذ نعومة اظفارها في ظل مبادىء الدين .

وقدمت « الشمس » نماذج توضح كيف استطاعت المراة اليهودية في فلسطين تقوية الروح اليهودية في نفوس ابنائها لدرجة انهم أصبحوا يتعلقون بكل شيء يمت الى اليهودية حتى اسماء الاشخاص .

وعنيت مجلة « التهذيب » ايضا بالمراة ، ولذلك بدات بتلميذات المدارس فحثتهن على اخذ الموعظة والتوجيه لانهن سيكن ربات المنازل وسيدات كبيرات لهن ازواج فينتفع بهن أولادهن في التربية .

اما مجلة « الشبان القرائين » فقد طالبت بتعليم المراة لانها المدرسة الاولى التي يتلقى فيها الطفل قيمه ومفاهيمه ومبادئه ، فهو يلازم امه ويحاكيها فعلها ، ولذلك دعت المجلة الفتاة القراءة الى الاعتزاز بقرائيتها وان تتمسك بدينها وتعمل بشريعته وتلقنها لابنائها وتحثهم على التمسك بها .

المطالبة بتطوير التعليم والمدارس الطائفية :

لما كان للمدرسة اثر بعيد الغور في حياة الامة نظرا لانها هي التي تطبع الفرد والامة بطابعها وتؤثر فيهما بطريق مباشر ، لذلك اجتهدت كل امة في جعل برامج التعليم مطابقة لسياستها ولما ترجوه من الشباب رجال المستقبل .

وقد ادركت الصحافة اليهودية في مصر ما يمكن ان تؤديه المدرسة في حياة الطائفة من خلال اعداد الشباب اعدادا يتلاءم مع الاهداف التي كانت تسعى الى تحقيقها من وراء الدعوة الى اصلاح شئون الطائفة والنهوض بها .

ووجدت هذه الصحف انه حتى يتم ايجاد جيل من الشباب يستطيع ان يضطلع بالمسئولية في المستقبل كان من الضروري العناية بتعليم الاطفال ، ولذلك طفقت تدعو الى العناية بمدارس الطائفة وتعديل برامج التعليم فيها ، وانشاء مدارس جديدة لمختلف مراحل التعليم تتعهد الطالب اليهودي منذ نعومة اظفاره الى ان يصبح على ابواب الجامعة حتى يمكن خلال هذه المراحل تنشئته تنشئة يهودية خالصة ، فيشب متشبعا بمبادىء الدين اليهودي ، ويمكن وضعه في القالب المطلوب الذي سيظل عليه بعد ذلك الى ما شاء الله .

وكان اول شيء فعلته هذه الصحف حث أفراد الطائفة على ارسال ابنائهم الى المدارس لتلقي التعليم ، فأوضحت لهم مجلة « التهذيب » ان « العلم نور وانه هو الذي يهدي الى السعادة والخير لان ما صعد بأمة الامريكان الى هذه الدرجة العليا من التقدم والمدنية الا العلم بعد ان كانت على جانب عظيم من الجهل » .

غير ان الصحافة اليهودية حرصت اثناء دعوتها هذه على تشجيع الاباء على ارسال ابنائهم الى مدارس الطائفة لا الى المدارس الحكومية او المدارس الاجنبية بعد ان اقلقها خروج بعض ابناء الطائفة عن دينهم ، ودعت المسئولين عن التعليم في الطائفة الى الاكثار من التعليم الديني لانه العاصم الوحيد للجيل الجديد من اخطار الخروج على الملة وطالبت صحيفة « اسرائيل » بانشاء معبد بكل مدرسة لتقام فيه الصلاة كل صباح حتى يتربى الطالب تربية يهودية صحيحة ويتعود الصلاة باللغة العبرية فلا يخجل في كبره من الذهاب الى الكنيس لانه يجهل الصلاة هذا في حين طالبت مجلة « الشبان القرائين » بالعناية بالتعليم الديني ، بل وصل بها الامر الى حد المطالبة بانشاء مدرسة دينية خاصة بالطائفة يتلقى فيها الشباب تعاليم دينهم وشريعتهم بلغة كتابهم المقدس .

واوصت صحيفة « الشمس » بأن تكون للمدارس الاسرائيلية مبادىء تسعى لتحقيقها مثلما تفعل المدارس المسيحية التي لها مبدأ معين لا تحيد عنه ينحصر في نشر الدين المسيحي وبث تعاليمه بين الطلبة وانتقدت مدارس الطائفة لانها اهملت تدريس التوراة وطالبتها بأن تعنى بتدريس التاريخ الاسرائيلي المصري حتى يكون الخريج ملما بشيء من تاريخ امته ووطنه لا ان تحشى دماغه فقط بتاريخ فرنسا وابطالها .

وقد اخذ القائمون على امر الطائفة هذه الدعوات مأخذ الجد فقد توسعوا في انشاء المدارس الطائفية واهتموا بتدريس الدين اليهودي واللغة العبرية في هذه المدارس ، كما جعلوا اللغة العربية هي اللغة الرسمية فيها .

غير ان الصحف اليهودية وجدت أن المكاسب التي تحققت على يديها فيما يتعلق بتطوير برامج التعليم سوف تضيع هباء طالما ان الموسرين من اليهود يرسلون اولادهم الى المدارس الفرنسية العلمانية او الدينية المسيحية التي لم تكن تدرس لهم الدين اليهودي او اللغة العبرية .

وكان الفقراء من اليهود يرسلون ابناءهم الى مدارس الطائفة لانها كانت اقل تكلفة ، بل انها كانت تقدم لتلاميذها المساعدات ، لذلك اوضحت الشمس ان ابناء الموسرين هم اهم واولى بالتربية الدينية في مدارس الطائفة من اولاد الفقراء الذين هم بطبيعتهم شديدو التمسك بيهوديتهم ، ووجدت الصحيفة انه من الحكمة ان تنشىء الطائفة مدارس لها في الاحياء الراقية ، حتى تسهل على اثرياء اليهود الذين يقيمون في شارعي قصر النيل وسليمان باشا ارسال ابنائهم اليها ، لان وجود هذه المدارس في العباسية والظاهر كان يدفعهم الى ارسال

ابنائهم الى مدارس المبشرين لقربها منهم .

وشنت الصحف اليهودية حملة عنيفة ضد مدارس المبشرين حاولت خلالها اقناع اليهود بأن هناك حربا تشنها المسيحية ضد الدين اليهودي حتى تثير في قرائها مشاعر الكراهية ضد هذه المدارس ، وحتى تثير تعصبهم لدينهم، فذكرت صحيفة « اسرائيل » ان جماعة من المبشرين وزعوا منشورا باللغة الفرنسية يدعو اليهود الى ترك دينهم واعتناق الدين المسيحي ، وأن هذا المنشور حوى الكثير من الاكاذيب والسخافات عن الديانة اليهودية ، وأن المبشرين قاموا سرا بتنصير فتيات يهوديات بغير علم آبائهن وامهاتهن ، وحاولوا ابعادهن الى بلاد نائية .

وفي الوقت نفسه حاولت الصحف اليهودية اثارة مشاعر المسلمين ضد المبشرين وتأليبهم عليهم فأكدت ان دور مدارس التبشير لا يقف عند اليهود فقط ، ولكنه امتد ليشمل المسلمين : « فقد عذب المبشرون شابا مسلما لحمله على اعتناق المسيحية ، كما أن الدين الاسلامي لم ينج من مطاعنهم وحملاتهم ، فقد طعنوا في الرسول محمد وفي صوم رمضان في اثناء الدروس التي يلقونها» .

وحاولت صحيفة « اسرائيل » أن تستعدي الحكومة المصرية على المبشرين لانها وجدت انها هي التي تملك سلطة اتخاذ القرارات والاجراءات الفعالة ، فذكرت أن المبشرين يحاولون خلق فتنة في مصر بذلك الفتى الطائش المدعو جان قطاوي الذي افلح المبشرون في تنصيره ورهبنته حينما سافر الى اوروبا ثم أعادوه الى مصر لتصويب سهام المبشرين الى يهود مصر ، واسترعت الصحيفة نظر وزارة الداخلية الى أن نشاط التبشير يهدف الى احداث الشغب والقلاقل في البلاد ثم تساءلت بعد ذلك « كيف تقابل الحكومة هذا الهجوم المتواصل على الدين الاسلامي والدين الموسوي دون أن تضع حدا لحملات اخوة المدارس المسيحية « الفرير » على الاديان وخاصة دين الدولة الرسمي»، وطالبت الحكومة بضرورة التدخل بأن تفرض رقابتها على هذه المدارس والا تترك لهم الحبل على غاربه .

غير ان الصحف اليهودية وجدت أن هناك مشكلة اخرى تعترض الخطة التي كانت ترمي اليها بتنشئة الاطفال نشأة يهودية خالصة الا وهي عدم وجود مدرسة ثانوية يتمون فيها دراستهم بعد الانتهاء من المرحلة الابتدائية، ولذلك قامت صحيفة « الشمس » بحملة اخرى تهدف الى انشاء مدرسة ثانوية خاصة بالطائفة بدعوى أن ولي أمر اي طالب لا يرضى ان يتعلم ابنه في مدرسة ابتدائية اسرائيلية ثم ينقله بعد ذلك الى مدرسة ثانوية اخرى تخالف الابتدائية في كثير من النظم وطرق الدراسة ، كما انها وجدت انه حتى لو ادى الطلبة الموسرون دراستهم في مدارس الطائفة فانهم سيضطرون الى اكمال دراستهم في مدرسة اجنبية او حكومية ، وهذا من شأنه الحيلولة دون تحقيق الهدف الرئيسي الخاص بتنشئة الشباب نشأة يهودية خالصة ، حيث

ينتهي تعليم اللغة العبرية وآداب الشريعة بعد مرحلة التعليم الابتدائي لانتقال الطلبة الى مدارس ثانوية اجنبية مما يضعف روحهم الديني .

واوضحت « الشمس » ايضا ان الطلبة المتدينين يمتنعون عن اتمام دراستهم لانهم يأبون الذهاب الى المدارس الاجنبية التي تعمل في الاعياد والسبوت مما ينجم عنه ان يظل تعليمهم محدودا .

اما مجلة « الكليم » فقد عددت المزايا التي ستعود على الطائفة وافرادها من وجود مدرسة ثانوية خاصة بها منها « انها ستكون احد العوامل الفعالة في تحقيق وحدة الطائفة كما انها ستمكن ابناء الطائفة الفقراء من التمتع بمستوى تعليمي اكبر وارقى ومن ثم يرتفع مستوى الطائفة التعليمي ككل .

وبالاضافة الى ذلك وجدت المجلة ان الاهم من كل ذلك هو « ان اقامة مثل هذه المدرسة سيمكن الطائفة من الاستمرار في الاشراف على شبابها ومواصلة اعدادهم وفق السياسة التي تناسب مصالحها كما سيمكنها من اعداد شباب اسرائيلي متعصب لطائفته ودينه تشغله القضايا اليهودية على غيرها».

وقد لقيت دعوة الصحف اليهودية استجابة من المسئولين في الطائفة ففي عام ١٩٤٤ تم انشاء مدرسة يهودية ثانوية بمدينة الاسكندرية وبدأت الدراسة بها في اكتوبر من العام نفسه وفي العام التالي افتتحت مدرسة ثانوية اخرى بمدينة القاهرة وقد اصبحت هذه المدارس المصدر الذي تحصل منه الطائفة على بعض الخريجين الذين كانت ترسلهم الى فلسطين لاعدادهم للتدريس الديني هناك ثم يعودون للمساهمة في حل مشكلة الطائفة في هذا المجال .

وفي الوقت الذي ارتفعت فيه الدعوة لانشاء مدرسة ثانوية اهتمت صحافة اليهود ايضا بالدعوة الى العناية بالتعليم الصناعي حتى يتمكن فقراء الطائفة من تعلم بعض الصناعات او الحرف التي تساعدهم على كسب عيشهم، وحتى تحل الطائفة مشكلة التسول ، وتوفر اموال المعونات التي كانت تقدمها للفقراء لتستعين بها في مشروعات اهم ، وبالفعل وافق مجلس الطائفة على انشاء مدرسة صناعية افتتحت ابوابها في اكتوبر عام ١٩٤٧ .

الدعوة الى التمصير :

كان تمصير الطائفة اليهودية في مصر واحدا من اهم الاهداف التي سعت الى تحقيقها صحيفة « الشمس » منذ صدورها عام ١٩٣٤ .

ولكن ما المقصود بالتمصير؟

قد يتبادر الى الذهن ان الصحيفة كانت تهدف الى جعل الطائفة اليهودية مصرية في انتمائها ، ومصرية في جوهرها بعيدا عن التيارات الصهيونية التي انتشرت في ذلك الوقت ، ولكن الصحيفة اوضحت انها لم تقصد بالتمصير اندماج

اليهود في المجتمع المصري بالتزاوج والتصاهر والضياع ، وانما رمت الى جعل اللغة العربية التي يتحدث بها المصريون هي اللغة السائدة بين مؤسسات الطائفة وافرادها .

والمطلع على اعداد صحيفة « الشمس » يجد ان هناك عدة اسباب حملتها على رفع لواء هذه الدعوة اهمها :

(أ) أن اليهود في مصر كانوا يتحدثون بلغات شتى نتيجة لوفود عدد كبير من اللاجئين اليهود على البلاد من دول مختلفة ، ونتيجة لتلقي ابناء الطائفة تعليمهم في مدارس اجنبية ، وقد أدى ذلك الى ان اصبحت الطائفة اليهودية في مصر جماعات متفرقة لا تعرف الوحدة التي تنشأ عن وحدة اللغة مما جعل مجلس الطائفة في واد والجمهور في واد اخر ؛ كما انه جعل الطائفة اليهودية تبدو وكأنها غريبة عن المجتمع الذي تعيش فيه ، لهذا وجدت الصحيفة ان توحيد اللغة بجعل اللغة العربية هي السائدة سيؤدي في النهاية الى توحيد الطائفة مما يترتب عليه نهوض المؤسسات الطائفية واقبال كثيرين على مساعدتها ، كما انه سيؤدي الى تحقيق تجانس الطائفة مع المجتمع المصري الذي تعيش فيه مما يكسبها احترام هذا المجتمع وتعاونه معها .

ب ـــ كان لصدور قانون في عام ١٩٤٠ يحتم على الشركات التي تتعامل مع الحكومة مخاطبتها باللغة العربية وان تكون حساباتها ايضا مدونة باللغة العربية اثر في خلق العقبات امام اشتغال اليهود في المصالح الحكومية نظرا لان معظمهم كان يجهل اللغة العربية التي اصبحت لغة تلك المصالح في اطار الاجراءات التي اتخذت لتمصير البلاد ، كما أن بنك مصر وشركاته كفا عن استخدام الشبان اليهود لهذا السبب ، وقد وجدت « الشمس » في ذلك خطرا لا يستهان به لانه يتهدد اليهود بالبطالة خصوصا وان حركة التمصير كانت تمضي في البلاد بخطى حثيثة ، ولذلك دعت الى تدارك الخطر قبل وقوعه بالاسراع الى تمصير الطائفة حتى لا يصبح الشبان الذين يتلقون تعليمهم بلغات أجنبية بلا عمل .

جـ ـــ ربما كان سعي صحيفة « الشمس » الى التمصير يدخل في اطار تطبيق السياسة الصهيونية العليا التي رسمتها الوكالة اليهودية .

ففي بداية مشروعات الاستيطان التي قام بها اليهود في فلسطين تمهيدا لاقامة الوطن القومي عنيت الوكالة اليهودية بتحقيق التفاهم والتعاون بين العرب واليهود حتى تتمكن من انجاز خطتها في هدوء ودون مقاومة ، وكانت احدى الوسائل التي لجأت اليها الوكالة لتحقيق هذا الهدف هي تعليم اليهود اللغة العربية حتى يكونوا على علم بأحوال العرب وطبائعهم من شتى النواحي ، وحتى يمكنهم التفاهم معهم .

ولعل ما يؤكد هذا الزعم ـــ الزعم بتطبيق السياسة الصهيونية العليا ـــ اعتراف صحيفة « الشمس » بأنها بدعوتها الى التمصير انما تنظر الى ما

وراء الافق ، فقد رات انه « قضي على اليهود في اوروبا ، وانهم لا بد عائدون الى الشرق ، وان مستقبلهم هو عندما يأتي وعد الله » ، لذلك كان يجب عليهم ان يتعلموا لغة الشعوب التي سيعيشون بينها .

وحتى توضح الصحيفة لقرائها انها لم تأتهم ببدعة تحدثت عن يهـــود فلسطين وكيف انهم يقبلون بدرجة كبيرة على تعلم اللغة العربية واتقانها ، وكيف ان الوكالة اليهودية تعنى من جانبها بنشر هذه اللغة وتحلها مكانـــة محترمة بين اللغات التي تدرس في مدارسها .

وطالبت « الشمس » دار الشرع باعتبارها هيئة رسمية على اتصـــال دائم بمصالح الحكومة أن تكون جميع اعمالها باللغة العربية ، واهابت بكل عضو يجهل لغة البلاد أن يتنحى عن عضوية المجلس الطائفي ليفسح المجال لغيره من المثقفين ، كما شنت الصحيفة حملة ضد مجلس الطائفة التي ظـــل يصدر تقريره السنوي باللغة الفرنسية رغم ارتفاع الدعوة الى التمصير مما اضطره في عام ١٩٤٣ الى أن يصدر هذا التقرير باللغة العربية الى جانب الفرنسية ..

وكان من نتيجة هذه الحملة أن اقبل معظم اليهود الاجانب على تعلم اللغة العربية والتخاطب بها كما استجاب كبار رجالات الطائفة لهذه الدعوة فاصبـــح الحاخام توليداتو حاخام الاسكندرية لا يلقي مواعظه الا باللغة العربية كمـــا استجابت مدارس الطائفة لدعوة التمصير بأن جعلت اللغة العربية هي اللغة الرسمية كما اهتمت باللغة العربية الى جانب اهتمامها باللغات الاجنبيـــة الاخرى .

وهكذا يمكننا ان نقول أن الدعوة الى التمصير لم تكن نابعة من الايمان بأن اليهود جزء من المجتمع المصري ، ومن الايمان بضرورة الولاء والانتماء لهذا المجتمع ، وانما حكمتها مصالح طائفية بحتة تمثلت في الرغبة في توحيد الطائفة وظهورها بمظهر مصري حتى تتمكن من اكتساب ثقة واحترام الشعب والسلطات المصرية فتحظى بمساعدتهم وتعاونهم ، وقد بلغ من حرص اسرائيل ولفنسون على المظهر المصري للطائفة ان كتب في « الشمس » عام ١٩٤٢ ـــ والطائفة على وشك انتخاب رئيس لها ـــ يدعو الى انتخاب رينيه قطاوي رئيسا للطائفة لان مظهره مصري « فهو يرتدي الطربوش ويتكلم العربية ويستعملها في اعماله الادارية المختلفة » .

وبالاضافة الى ادراك الشمس لاهمية اللغة العربية في فتح ابواب الرزق أمام اليهود وجدت انها من اهم الوسائل للتفاهم مع العرب وربما انها كانت تدرك ايضا أن فلسطين لن تتسع لجميع اليهود فأرادت ان تهيء المناخ لمعيشة اليهود في مصر ولو الى حين .

الفصل الخامس

● بين التاريخ والأدب

اولا : احياء التاريخ اليهودي

اهتمت الصحافة اليهودية في مصر باعادة كتابة التاريخ اليهودي سواء هنا في مصر او في بقية بلدان العالم وخاصة البلدان الشرقية وقد سلكت في سبيل تحقيق هذه الغاية مسلكين :

المسلك الاول وتمثل في قيام الصحف اليهودية بنشر موضوعات متخصصة في التاريخ اليهودي سواء على شكل سلسلة مقالات مثل السلاسل التي كانت تنشر في صحيفة « اسرائيل » تحت عنوان « تاريخ الاسرائيليين في مصر » او تنشر في « الشمس » تحت عنوان « تاريخ اليهود في مصر » أو « تاريخ اليهود في الحبشة او « اليهود في شمال أفريقيا » او « اليهود السفارديم » .. الخ او على شكل عرض لبعض الكتب الخاصة بتاريخ اليهود مثل تلك السلسلة التي تناولت كتاب المؤرخ اليهودي سيمون دوبنوف بعنوان « تاريخ بني اسرائيل » الذي ترجمه للشمس عبده شمله والسلسلة التي تناولت كتاب لناحوم سلوشتس تحت عنوان « تاريخ اليهود الماران في البرتغال ماضيهم وحاضرهم » التي قام بتعريبها سعد يعقوب مالكي .

اما المسلك الثاني فقد تمثل في تشجيع المؤسسات اليهودية التي انشئت بهدف احياء التاريخ اليهودي مثل « جمعية مصر للدراسات التاريخية اليهودية» التي تأسست عام ١٩٢٥ لتقوم بجمع المبعثر من الوثائق والمخطوطات اليهودية والمهمل في زوايا النسيان واخراجه الى حيز الوجود فقد اخرجت الكثير من النشرات والمجلات التي تبحث في تاريخ اليهود ونظمت المحاضرات التاريخية كما شكلت لجنة من المستعربين لدراسة اربعمائة وخمسين مخطوطا جمعها يوسف قطاوي من المعابد اليهودية .

وقد عنيت صحيفة الشمس بأمر هذه الجمعية فسلطت الاضواء على نشاطها وتتبعت اخبارها وشاركت في توجيهها وجعلت من نفسها ناطقا بلسانها لذلك نجد أنه عندما نظمت هذه الجمعية مهرجانا تاريخيا بمناسبة ذكرى مرور ثمانمائة عام على مولد موسى بن ميمون خصصت الشمس معظم عددها رقم ٣٠ لنشر كلمات المتحدثين في المهرجان وابرزت مشاركة الحكومة المصريـــة ومعظم الوزراء والعلماء والفلاسفة والاطباء المصريين فيه .

ومن الملاحظ ان الصحافة اليهودية كانت ترمي الى تحقيق عدة اهداف من وراء محاولاتها لاعادة كتابة التاريخ اليهودي واحيائه .

والمطلع على هذه الكتابات يرى ان ابرز سماتها هو تركيزها علـــى الاضطهاد الذي تعرض له اليهود ليس في العصر الحديث فحسب ولكن منذ فجر التاريخ فهي تتحدث عن خروجهم من مصر بسبب اضطهاد الفراعنـــة لهم وعن تدمير نبوخذ نصر لدولتهم ومعبدهم وسبي اسرهم ثم تشتيتهم مـــرة اخرى على أيدي الرومان واخيرا اضطهادهم في اوروبا الشرقية والغربية وفي كل مكان حلوا فيه وخاصة في المانيا وقد ارادت الصحافة اليهودية من حديثها عن اضطهاد اليهود الذي تفننت في وصفه وفي تقديم روايات تتحدث عن عمليـــات التعذيب والابادة الجماعية التي لحقت باليهود تحقيق عدة اهداف منها :

أ ــ مقاومة فكرة الاندماج التي رفع لواءها بعض اليهود فقد وجدت الصحافة اليهودية ان انتشار هذه الفكرة من شأنه عرقلة مشروعات الصهيونية ولذلك اوضحت لقرائها أن الاندماج لن يحل مشكلتهم فالمانيا تضطهد حتى اولئك اليهود الذين تنصروا من اربعة اجيال كما ان النازييـــن لم يميـــزوا في اعتداءاتهم بين اليهودي المحافظ واليهودي الحر .

ب ــ كسب العطف والتأييد من اليهود وغير اليهود للمشروعـــــات الصهيونية في فلسطين فقد ارادت الصحافة اليهودية من حديثها عن الاضطهاد الذي يتعرض له اليهود على مر العصور وفي مختلف البلدان ان تصور فلسطين على انها الحل الوحيد لمشكلة اليهود المضطهدين فبينما هي تتحدث عن صور من اضطهاد اليهود في مختلف الدول نجدها ترسم صورة طيبة للحياة التـــي يعيشها اليهود في فلسطين بعيدا عن الاضطهاد والتمييز .

ومن ناحية اخرى ارادت الصحافة اليهودية بحديثها عن الاضطهاد تنظيف

الطابع القومي اليهودي فهي تحاول ان ترد اسباب اضطهاد اليهود الـــى نزعات تعصبية عند مضطهديهم لا دخل لليهود فيها منها العداء للسامية والعامل الديني الذي يتمثل في كون الدين اليهودي دينا قوميا لا دينا عالميا مثل النصرانية او الاسلام وان هذه الحقيقة هي السبب في بقاء اليهودي مضطهدا وغريبـــا في الوطن الذي يقيم فيه حتى ولو مضى عليه الف سنة مثلما تذكر مجلة « الاتحاد الاسرائيلي » .

وتشير صحيفتا « الشمس واسرائيل » الى ان العامل الاقتصادي والتفوق والنبوغ اليهودي ايضا هما احد العوامل التي تثير الاضطهادات ضد اليهـــود فالازمات الاقتصادية الطاحنة من وجهة نظرهما كانت تقوي شعور العداء ضد اليهود اذ ترى بعض الامم ان اليهود لا يتأثرون بالازمات وانهـــم يكـــــادون يستأثرون بالكل على قلة عددهم ولهذا رأت ان تباينهم او تجعلهم في عزلـــة عمليا واقتصاديا لترد نشاطهم عن غيرهم .

ونسبت صحيفة « اسرائيل » اضطهاد اليهود في معظم الاحيان الـــى نبوغهم وتفوقهم الذي كان يثير حقد مواطنيهم من الديانات الاخرى ويعرضهم لانتقامهم هذا بالاضافة الى انها ردت اضطهاد الالمان لليهود الى نزعة مـــن التعصب العنصري قوامها التعصب ضد كل ما هو غير الماني .

ويرجع اهتمام الصحافة اليهودية بتنظيف الطابع القومي اليهودي الى ان معظم الشعوب كانت تحتقر اليهود وتعدهم مخلوقات عديمة القيمة حتى تأصل هذا الشعور داخل اليهودي ذاته (١) ولذلك ارادت الصحف اليهوديـــة في مصر تنظيف اليهود مما الصق بهم من اتهامات ورد اسباب الاضطهـــــاد الى عوامل اخرى ليس لها علاقة بصفات اليهود واخلاقهم حتى تخلق احساسا جديدا لدى اليهودي يدفعه الى الاعتزاز بذاته واسترداد الثقة بنفسه وحتى تكسب ايضا احترام الاخرين له . ولذلك نجد الصحافة اليهودية تقوم خلال محاولتها لاعادة كتابة التاريخ اليهودي بالتركيز على تفوق اليهود ونبوغهم وعلى الخدمات التي قدموها للحضارات الانسانية فهي تهتم باثبات حقيقـــة وجود بني اسرائيل في مصر خاصة في عهد الفراعنة ذلك العصر الذي شهـــد واحدة من اعرق الحضارات في التاريخ ، وهي تتحدث عن بعض اليهـــود الذين شغلوا مراكز مرموقة خلال التاريخ المصري مثل يعقوب بن كلس الذي كان وزيرا للعزيز بالله ومنشي بن القزاز الذي كان وزيرا للعزيز ايضا ومتصرفا باسم الخليفة الفاطمي ويوسف قطاوي باشا وغيرهم .

وقد حاولت الصحافة اليهودية ايضا من خلال عرضها للتاريخ اليهودي ان تجعل من جميع اليهود المشتتين امة واحدة وتخلق شبه رابطة معنوية توحد بينهم حتى لا يكون اليهودي في مصر منعزلا عن اليهودي في فلسطين او في المانيـــا

---

(١) حامد عبد الله ربيع : دراسات اساسية حول الصهيونية واسرائيل ص ١٤٠

وانما ارادت ان تجعل اليهودي المصري يشعر بالانتماء الى بقية يهود العالم وهو المقصود من وراء الدعوة الى ايقاظ الوعي القومي اليهودي.

ثانيا : الدعوة الى خلق ادب يهودي عربي

اهتمت الصحف اليهودية وخاصة صحيفة « الشمس » بخلق ادب يهودي عربي باللغة العربية وايجاد ادباء من اليهود يشاركون في الحياة الادبية الشرقية وقد علقت هذه الصحف اهمية كبيرة على الادب في تحقيق كثير من المكاسب لليهود كطائفة منها :

١ — ان الادب سيكون خير علاج للازمة الروحية التي يمر بها اليهود كما سيكون عاملا فعالا في تدعيم كيان الطائفة وازدهارها .

٢ — ان الكتاب المفيد عن اليهودية وجمالها خير رسول لليهود عند ابناء الديانات الاخرى .

ونحن اذا اطلعنا على شخصية اليهودي في اداب الشعوب الاخرى وخاصة الادب الاوروبي في القرنين الخامس عشر والسادس عشر فسنجد صورة واضحة لليهودي على انه يتسم بصفات معينة ليست مما يشرف اي مجتمع : فاليهودي في مسرحية شكسبير « تاجر البندقية » متهم بانه مراب جشع يتاجر باللحم والدم مجمد العاطفة لا يبالي الا بمصلحته فقط يسعى لاذلال الاخرين كلما سنحت له الفرصة .

وفي روايات اخرى تظهر شخصية « اليهودي التائه » وهو مواطن مسكين متنوع متدين احيانا ولكنه متشرد يجلب النحس والدمار حينا اخر فقيرا مرة ويتزنر بالجواهر مرة اخرى (١) .

وقد كان من اثر هذه الكتابات ان اصبح اليهود منبوذين في المجتمعات الاوروبية نتيجة للحساسية التي وجدت لدى شعوب اوروبا ثم انتقلت عدواها الى الشعوب الاخرى ، ولذلك وجدنا صحيفة « الشمس » هنا في مصر تطالب اليهود بالمشاركة في الحياة الادبية الشرقية ، لان خلو الميدان من زمالة اليهود اتاح الفرصة لمن باعوا ضمائرهم في سوق السياسة للطعن في اليهود والتشهير بهم كما تدعي الصحيفة .

وكان اول شيء سعت اليه « الشمس » هو انشاء مكتبة يهودية ، فقد وجدت انه من الصعب نشوء ادب يهودي مع خلو مصر من مكتبة يهودية ، ثم وضعت الصحيفة نفسها في خدمة الادب بان شجعت ابناء الطائفة وذلك بنشر نتاجهم من شعر ونثر على صفحاتها ، وكان من اهم الاشخاص الذين نشرت

---

(١) غسان كنفاني : في الادب الصهيوني ص ٦٣ و ٦٥

لهم « الشمس » انتاجهم : مراد فرج ونسيم يسوف حداد الذي لقبته بزجال الشبيبة الاسرائيلية ومنصور وهبة المدرس بجامعة فؤاد الاول وموريس مريد موسى الطالب بمدرسة مصر الثانوية وسعد مالكي الطالب بكلية الحقوق وغيرهم .

ولعل ما يسترعي الانتباه في الادب الذي عنيت به الصحافة اليهودية انه كان يتحدث عما يلاقيه اليهود من اضطهاد في كل مكان ، ويصور فكرة أيجاد وطن مستقل لليهود على انه ضرورة ملحة .

ومن الامثلة التي يمكن تقديمها كدليل على ذلك قصة نشرتها صحيفة « الشمس » عن ثري يهودي يعيش في باريس استشهد ابنه الضابط المتطوع في صفوف الحلفاء في الحرب العالمية الثانية دفاعا عن فرنسا التي كان يعتبرها وطنه ، ولكن الالمان بعد سقوط فرنسا يداهمون قصر هذا اليهودي ويقتلون بقية أبنائه ويستولون على ثروته ثم يتركونه وحيدا يعيش على ارصفة الشوارع ولم يعد له من امل سوى أن يموت على ارض فلسطين . . . .

استغلت الصحيفة هذه القصة في التنديد بالقيود التي فرضتها على هجرة اليهود الى فلسطين بكتبها البيض ، تلك القيود التي « لم ترحم هذا الرجل الضعيف المنكوب » وامثاله من ايجاد ملجأ لهم على ارض فلسطين مثلما تقول لنا هذه القصة .

وقصة اخرى مسلسلة نشرتها « الشمس » ايضا تصف لنا احداثا تدور في قرية يهودية صغيرة في فلسطين يهاجمها العرب بأعداد كبيرة على حين كان المدافعين عنها من اليهود عددهم قليل ، وبرغم ذلك استبسل المدافعون في القتال وأظهروا مهارة وحيلة ، فانتصروا على العرب الذين كانوا يجهلون فنون القتال .

لكن القصة لا تنتهي عند ذلك ، وانما تمتد لترسم لنا صورة بشعة للعربي بعيدة كل البعد عن القيم والمبادىء الانسانية ، اذ يخطف اعرابي ابنة وزوجة اليهودي رئيس المجموعة المدافعة بعد اصابته في أثناء القتال ، ولكن هذا اليهودي عندما يفيق في المستشفى ويعلم بالامر يقسم بأن ينتقم « انتقاما افظع من انتقام حارق روما القيصري الدموي لتتحدث عنه الاحقاب القادمة » .

وواضح لنا كيف أن هذه القصة تهدف الى اثارة مشاعر القراء ضد عرب فلسطين بما تنسبه اليهم من مفتريات هذا بالاضافة الى أنها تتغنى بالنبوغ والتفوق اليهودي وتقيم مقارنة بين اليهود الذين صورتهم على أنهم اذكياء وعليمين بفنون القتال ويستميتون في الدفاع عن وطنهم رغم قلة عددهم وبين العرب الذين تصفهم بالجهل والجهالة وتصورهم على انهم وحوش كاسرة تخطف النساء والاطفال ويفرون عند اللقاء رغم كثرة عددهم وهي مقارنة في صالح اليهود بلا شك .

وكما هو واضح فان الصحيفة كانت ترمي من وراء نشرها لهذه القصة

الى تشويه صورة عرب فلسطين واثارة مشاعر السخط ضدهم هذا بالاضافة الى أنها كانت تستهدف الحصول على تعاطف قرائها مع يهود فلسطين وتأييد مطالبهم بدولة مستقلة .

وهناك العديد من القصص الادبي الذي استخدم كوسيلة لايقاظ الوعي القومي لدى اليهود منها ما يتحدث عن أن حال اليهود كانت مخجلة عندما اهملوا لغتهم ودينهم ، فزال مجدهم ، وحلت بهم المصائب ، ولكن الالام ايقظتهم فأخذوا يعملون على احياء لغتهم وعادوا الى دينهم ، وهرعوا الى تنظيم صفوفهم ولم شملهم ، مما يثير الفخر والامل في النفوس ، ويبشر بقرب حلول يوم عظيم لبني اسرائيل .

كان هذا في مجال القصة ، اما في ميدان الشعر فنجد بعض الشعراء والزجالين اليهود الذين تحدثوا في اشعارهم عن اضطهاد اليهود وعن أرض الميعاد كحل لمشكلة اليهود وحاولوا أستخدام الشعر كسلاح لاثارة مشاعر اليهود وحماسهم ادراكا منهم لما يمكن ان يؤديه الشعر في هذا المجال بما فيه من موسيقى وصور بلاغية ، فهذا مراد فرج يقول :

انعيش مضطهدين لم نعرف لنا   وطن ويهمل أمرنا ويلاه ؟
اهم اليهود على الخلائق عالة   يقضى عليهم بالاذى اكراه .
الا يا نسل ابراهيم هبوا   وجدوا فقد مضى زمن المجون
مضى زمن التوسل والتمني   مضى زمن التلاوة والانين
فهبوا للديار فكاليتامى   غدوتم في البلاد بلا معين

وهكذا نجد ان الصحافة اليهودية شجعت على خلق ادب يهودي عربي يكون احد أسلحة اليهود في كفاحهم من اجل اصلاح شئونهم والنهوض بطائفتهم ويكون خير وسيلة الى ايقاظ اليهود وبث شحنة عاطفية فيهم تدفعهم الى حل مشاكلهم وتحقيق ما فيه مصلحتهم .

وقد قام الادب اليهودي هنا في مصر كما قام في بقية انحاء العالم مثلما يذكر الدكتور حامد ربيع بمهمة مزدوجة : فمن ناحية شارك في تعبئة اليهود والحيلولة دون اندماجهم في المجتمعات التي يعيشون فيها بالحفاظ على استمرارية وجودهم كطائفة مستقلة لها وضعها المتميز ، وقد كان الادب اليهودي بالنسبة لهذه المهمة في حقيقته اعادة للذات القومية وتمسك بالهوية اليهودية من خلال اظهار العذاب الذي تحمله اليهود من أجل حقهم في الحياة مثل سائر البشر .

ومن ناحية اخرى سعى الادب اليهودي الى خلق اتجاه عام لدى العرب والشرقيين بوجه عام يعطف على قضية اليهود ويؤيد نضالهم وذلك من خلال المبررات التي قدمها لغزوهم لفلسطين بالتركيز على الاضطهاد الذي يتعرض له اليهود بوجه عام وعلى المذابح الهتلرية بوجه خاص ، وابراز حاجة اليهود

الى ملجأ يأويهم بين ابناء عمومتهم العرب وتصوير فلسطين على انها أمل اليهود وطوق النجاة من العذاب الذي تسومه لهم الشعوب كافة .

وبالاضافة الى ذلك استخدم الادب كأداة لتبرئة الطابع القومي اليهودي من التهم الشائنة التي التصقت به والدفاع عنه ضد المفتريات التي نسبت الى اليهود والذهاب الى ابعد من ذلك بتصوير اليهود على أنهم افضل الشعوب قاطبة .

ويمكننا في ختام هذا الفصل ان نقول انه اذا كان بعض مفكري الصهيونية قد راوا ان احياء الوعي القومي بين اليهود كان يجب أن يسير في مسلكين : رفض الاندماج من جانب والتمسك باللغة العبرية من جانب اخر ؛ لذا فقد كان من الطبيعي أن تسعى الصحف اليهودية الى العناية بشئون الطائفة في مصر والى زيادة اهتمامها بدينها ولغتها العبرية في محاولة للحيلولة دون اندماجها في المجتمع المصري من ناحية وايقاظ الوعي القومي اليهودي بين افرادها من ناحية اخرى .

●

الفصل السادس

● محاولات التوفيق بين العرب واليهود

اهتمت صحافة اليهود العربية بالدعوة الى تحقيق التفاهم والتعاون بين العرب واليهود سواء في فلسطين او في باقي البلدان العربية الاخرى ، وجعلت من هذا الموضوع هدفا من الاهداف التي سعت الى تحقيقها .

ومن خلال معالجة صحافة اليهود لهذه الفكرة سلكت عدة سبل رمت من خلالها الى اقناع العرب واليهود بضرورة الاقبال على التفاهم والتعاون فيما بينها ومن اهمها :

١ ــ رد اسباب الخلاف بين العرب واليهود الى عوامل خارجية .

٢ ــ مقاومة الدعاية المضادة لليهود التي تسيء الى اليهود وتشوه صورتهم .

٣ ــ الحديث عن الصلات التاريخية التي تربط بين العرب واليهود وتاكيدها .

٤ ــ بيان فضل اليهود على الحضارة والفوائد التي ستعود على العرب اذا ما نبذوا الخلاف وتفاهموا واليهود .

وفيما يلي نلقي نظرة سريعة على كل واحد من هذه النقاط لنرى ما كتبته الصحف اليهودية وصولا الى هذه الغاية .

اولا : اسباب الخلاف بين العرب واليهود

حاولت الصحافة اليهودية خلال تناولها للصراع الذي نشب بين العرب واليهود في فلسطين ان تنسبه الى عوامل خارجية ليس للعرب او اليهود دخل فيها فهناك اطراف اجنبية وجدت ان مصلحتها هي في اثارة الاضطرابات واذكاء نيران الفتنة في فلسطين حتى تظفر ببغيتها ومن بين هذه العوامل التي حددتها الصحافة اليهودية ما يلي :

١ ـ السياسة البريطانية :

كان من المتوقع أن تقف الصحف اليهودية موقفا مؤيدا لبريطانيا باعتبارها الدولة التي منحت اليهود تصريح بلفور ، ولكننا نجدها على العكس من ذلك تقف موقفا معاديا لها وتشن هجوما مريرا على السياسة البريطانية في الشرق في كثير مما كانت تنشره ، وتحملها مسئولية اثارة الخلافات بين العرب واليهود في فلسطين وفي الشرق بوجه عام .

فقد اتهمت صحيفة « اسرائيل » بريطانيا بأنها « أس البلاء فيما يحدث في البلاد التي تحكمها من شقاق طائفي ، فهي تشجع الاقليات على التمسك بحقوقها حبا في ضمها اليها ، حتى تطلب هذه الإقليات الحماية البريطانية ، وبذلك تجد بريطانيا ذريعة لاستمرار وجودها في البلد المحتل ، وانها فعلت الشيء نفسه في الهند وفلسطين . . ففي الهند توددت الى مندوبي الاقليات حتى صاروا عند رايها في وجوب محاربة الاغلبية الهندوكية . . .

« وفي فلسطين تعبث بريطانيا بصك الانتداب ، وتحاول عرقلة أعظم مشروع انساني ، وبدلا من أن تؤدي الامانة التي اخذتها على عاتقها عمدت الى سياسة الدس والمراوغة حتى أوقعت الشقاق بين اليهود والعرب ، ثم اخذت تقف منها موقف المتفرج والحكم ، وبهذه الحيلة تمكنت من اهتضام حقوقهما معا لقمة سائغة والقوم لاهون في النزاع على القشور » .

واكدت الصحيفة ان الموظفين البريطانيين في فلسطين وقفوا جهودهم على ايقاع الشقاق بين العرب واليهود وايجاد نزاع مستمر في البلاد ، ولذلك ايدوا دعاة الثورة ــ من العرب ــ حتى يبذروا العداوة بين الطرفين تحقيقا لمبدئهم « فرق تسد » ، وارجعت الصحيفة السبب ايضا في تأييد بريطانيا لعرب فلسطين ضد اليهود الى رغبة الحكومة البريطانية في تهدئة العالم الاسلامي في الهند وليس لعدالة قضيتهم ، وما ذلك إلا لرغبة الصحيفة في ان تقنع العرب

بأن بريطانيا انما تعمل لمصلحتها فقط مستغلة ذلك الشقاق الذي تثيره بين العرب واليهود .

وحاولت صحيفة « الشمس » التأكيد على ان بريطانيا تسعى جاهده للحيلولة دون استقلال فلسطين واستمرار انتدابها عليها حتى تتمكن من خدمه مصالحها في المنطقة ، واستشهدت في هذا الصدد بتصريح للجنرال اللنبي قائد الجيش البريطاني الذي احتل فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى قال فيه « ان الارض الموعودة ليست للعرب او الفرنسيين او اليهود وانما للانجليز » .

وقدمت « الشمس » عددا من الاسباب التي تدفع بريطانيا الى التمسك باستمرار احتلالها لفلسطين ومنها :

أ ـ رغبة بريطانيا في تأمين مواصلاتها الامبراطورية .

ب ـ اقامة قاعدة عسكرية بريطانية في فلسطين تتيح لانجلترا الاشراف على الشرق الادنى وحماية قناة السويس بعد جلاء القوات البريطانية عن مصر .

جـ ـ اهمية فلسطين بالنسبة لبريطانيا كمنفذ لتصدير البترول العربي الذي تحصل عليه من العراق .

وادعت الصحيفة أن بريطانيا تقف ـ من أجل تحقيق مصالحها واهدافها في المنطقة ـ وراء الدعاية الموجهة ضد اليهود في الشرق بقصد اثارة البلدان الشرقية ضدهم كما فعلت في فلسطين .. فوكالة رويتر انقلبت الى بوق من ابواق الدعاية البريطانية ضد اليهود وكذلك وكالة اسوشيتدبرس ثم وكالة الانباء العربية التي وصفتها « الشمس » بأنها « وكالة دعاية سافرة للاستعمار البريطاني ، ينفق عليها الانجليز ، ولا تجد ما تقوله سوى التغني بجمال الحكم البريطاني ، والوقيعة بين مصر والسودان ، والتشهير باليهود » .

وانتقدت « الشمس » الحكومة المصرية لانها بعد أن طردت الانجليز الى منطقة القناة بمقتضى معاهدة ١٩٣٦ لم تفكر في تطهير البلاد من الدعاية الانجليزية المسمومة التي تستبيح كل محرم في سبيل الوصول الى غايتها .

ومن ناحية اخرى حاولت صحيفة « التسعيرة » أن تلتمس العذر ليهود فلسطين بتصويرهم على انهم ضحية للسياسة البريطانية الخبيثة ، ولذلك ذكرت ان « بريطانيا عندما أرادت أن تنتصر على الترك في أواخر الحرب العالمية الاولى اختلى ساستها بكل أصحاب دين على حدة ، فقالوا لصاحب الحجاز نعطيك ملكا عريضا من الجزيرة العربية وسوريا ولبنان وفلسطين والعراق ، وقالوا للمسيحيين نعطيكم لبنان دولة خالصة ، وخصوا المارونيين بوعد على حدة .. وقالوا لليهود نجعل فلسطين وطنا قوميا لكم تقيمون فيه دولة ان شئتم .. وقد وجدوا في كل طائفة من يصدقهم وينخدع بهم ، فلما انتهت الحرب قام كل حزب من الاحزاب الثلاثة المخدوعة يطالب بانجاز الوعد » .

وهكذا صورت لنا « التسعيرة » بريطانيا على انها رأس الفساد ، واليهود

الذين يعملون من اجل الوطن القومي على انهم ضحية من ضحايا المؤامرات البريطانية مثلهم مثل الشريف حسين ابن علي أمير مكة واولاده . والمسيحيون والمارونيين في لبنان .

ولجأت الصحافة اليهودية ايضا الى تشويه صورة بريطانيا أمام العرب علها تقنعهم بأن الانجليز هم اس البلاء فيما يحدث في فلسطين ، فتفوز بتأييدهم لليهود . او على الاقل تتمكن من تحييدهم في صراع فلسطين ، لذلك تحدثت هذه الصحف عن الاساليب الوحشية التي يمارسها الاحتلال البريطاني في البلاد الخاضعة له ، فتحدثت مثلا عن بشاعة حادث دنشواي وحاولت ان تربط بينه وبين ما يحدث لليهود في فلسطين على ايدي الانجليز حتى نخلق شعورا عاما يكره بريطانيا ويتضامن مع اليهود . كما اهتمت في هذا المجال بابراز المخالفات والفضائح التي كان يرتكبها جنود الاحتلال في مصر لاثارة خواطر المصريين ضد السياسة البريطانية . فعلى سبيل المثال اوردت صحيفة « التسميره » نبأ عن جندي بريطاني اطلق النار على خفير مصري لانه رفض ان يحضر له امراه .

وشاركت صحيفة « الصراحة » في اتباع هذا الاسلوب ايضا ، فعندما قررت الحكومة البريطانية وقف تصدير الاسلحة الى مصر عام ١٩٥٠ ، اعادت الصحيفة على مسامع المصريين مجموعة من الاجراءات التي اتخذها الانجليز في مصر وتنطوي على المساس بكرامة الشعب واهانة مشاعره وانتهاك سيادته على ارضه ، وهو اسلوب من شأنه ان يثير مشاعر الغضب والثورة في نفوس المصريين ضد بريطانيا ويحركهم الى السعي لاسترداد كرامتهم المهدوره .

وهكذا نجد ان الصحافة اليهودية في مصر سارت على خطة معاداة السياسة البريطانية في فلسطين والشرق ككل برغم انه كان لبريطانيا الفضل في اقامة دولة لليهود في فلسطين ولكن يمكننا ان نرد هذا الاتجاه الى عدة اعتبارات منها :

ا ـ تباطؤ بريطانيا في انجاز وعدها لليهود بانشاء وطن قومي لهم في فلسطين . وتقييدها للهجرة اليهودية في بعض الاحيان بما كانت تسنه من قوانين لتهدئة ثائرة العرب ، ولهذا أرادت الصحافة اليهودية في مصر ان تبين لبريطانيا انه بمقدور اليهود ان يشنوا عليها حربا شعواء ، وان يثيروا ضدها الشعوب التي تحتلها ان هي تراجعت عن موقفها نحوهم ؛ ولهذا مارست الصحافة اليهودية في مصر ضغوطها المستمرة ضد بريطانيا حتى تمضي قدما في السبيل الذي يؤدي الى تحقيق أماني اليهود .

ب ـ كسب ثقة الحركة الوطنية في مصر وتأييدها لليهود ، فقد كانت مصر خاضعة للاحتلال البريطاني وكان قيام هذه الصحف بمهاجمة بريطانيا يكسبها مظهرا وطنيا وينيلها عطف الوطنيين المصريين وثقتهم ، فيربط بينهما طريق واحد هو النضال ضد بريطانيا العدو المشترك للجانبين ، في حين ان اي

تأييد لبريطانيا من جانب الصحف اليهودية كان سيعد تحديا للشعور الوطني المصري ، ولذلك كانت الصحافة اليهودية من الذكاء بحيث أنها ركبت الموجة حتى تصل في النهاية الى الشاطىء الذي تنشده .ولعل في موقف ليون كاسترو نحو سعد زغلول خير برهان على ذلك .

ج ــ تصوير الصراع الدائر في فلسطين بين العرب واليهود على انـــه من نتاج السياسة البريطانية التي لا تتورع عن اتخاذ احط السبل للوصـــول الى غايتها وتصوير الموقف هناك على انه مجرد دسيسة بريطانية يمكن أن تنتهي لو ان بريطانيا رفعت يدها عن فلسطين .

وعلى الرغم من هذه الحملة الشعواء التي كانت تشنها الصحافـــة اليهودية ضد بريطانيا الا انها سرعان ما وقفت الى جانب بريطانيا خـــلال الحرب العالمية الثانية حينما احست بالخطر النازي الذي بدأ يهدد وجود اليهود في مصر ، ويهدد الوطن القومي في فلسطين . فعندما بدأت جحافل النـــازي تدق ابواب مصر الغربية . . وحينما حطم روميل الجيش الثامن البريطاني ووصل الى العلمين ، كشف المصريون عن شماتتهم في الانجليز ، وخرجت المظاهرات تنادي الى « الامام يا روميل » ، فقد كانت الجماهير ترى في هزيمة الانجليز الطريق الوحيد لخلاص البلاد منهم ، كما أن بعض الوطنيين المصريين حاولوا الاتصال بروميل ليعرضوا عليه التعاون مع المانيا ضـــد انجلترا في مقابـــل حصول البلاد على استقلالها التام .

اثار هذا الاتجاه قلق الطائفة اليهودية في مصر ، فقد رأت أنه اذا دخل الالمان فان وجودها سيصبح محكوما عليه بالانتهاء في هذه البلاد لما هو معروف عن كراهية الالمان وعداوتهم لليهود ، بل ان الاهم من ذلك هو ان الطريق كان سيصبح مفتوحا امام المانيا نحو فلسطين وفي تلك اللحظة لن يتوانى الالمان عن هدم الوطن القومي على رؤوس اصحابه ، ولذلك نجد صحيفة «الشمس» تهرع الى تبصير العرب بمخاطر الاتجاه الى المانيا وتصوير بريطانيا على انها « حصن الحرية » وتزعم ان حياة الامم الصغيرة وحريتها اصبحت معلقة على انتصار بريطانيا التي تنفرد بمقاومة موجة الطغيان الدكتاتوري .

وبعد ان كانت الصحف اليهودية تتهم بريطانيا بأنها تعبث بآمال أمـــم الشرق بدأت تحث الشعوب العربية على الوقوف الى جانب بريطانيا ، ولذلك استقبلت مجلة « الكليم » وطائفة القرائين اليهود نبأ اعلان مصر الحرب على دولة المحور بابتهاج عظيم وحماس شديد ، بدعوى أن اليهود يميلون الـــى الديمقراطيات ، ويعطفون على الحريات .

وهكذا نجد أن موقف الصحافة اليهودية في مصر نحو بريطانيا ونحـــو الحركة الوطنية المصرية كانت تحكمه المصالح اليهودية في المقام الاول .

٢ — الدعاية النازية

كان السبب الثاني الذي ادعت الصحافة اليهودية أنه كان من بين الاسباب التي أدت الى نشوب الخلاف بين العرب واليهود هو الدعاية النازية ، فقد تحدثت صحيفة « الشمس » عن وجود اطماع لالمانيا في بلاد الشرق العربي ، وعن رغبتها في تحويل هذه البلاد الى منطقة نفوذ المانية ، وكيف أنها تقف لذلك السبب وراء حركات التحريض ونشر الدعوة ضد بريطانيا واليهود في الشرق كجزء من خطتها الرامية الى الاستيلاء على هذه المنطقة والوصول الى مبتغاهم في سيادة العالم وحكمه وفق خططهم .

وأكدت الصحيفة ان للالمان مطامع في الشرق وفي فلسطين بالذات لانه ليس من قبيل الصدف — كما تقول الصحيفة — ان يعني هتلر بالمسألة الفلسطينية ويشير في احدى خطبه الى فلسطين ثلاث مرات ثم زعمت ان الالمان على اتصال وثيق بمفتي فلسطين وانهم يبعثون اليه والى انصاره بكميات كبيرة من السلاح عن طريق حيفا كما يقومون بارسال قصاصات من الورق الى عرب فلسطين تشتمل على عبارات تمس اليهود وتحث على عدم التعاون معهم بعدما عجزوا عن بث دعايتهم في أوروبا ضد اليهود حيث منوا بالفشل والازدراء فولوا وجوههم شطر الشرق علهم يصيبون هدفهم .

وبالاضافة الى الادعاء بأن الاطماع الالمانية هي السبب في بث الدعوه ضد اليهود قدمت « الشمس » سببا اخر حينما زعمت أن النازية توجه دعايتها ضد اليهود في الشرق للايقاع بين العرب واليهود انتقاما من اليهود بسبب المقاطعه التي اشهروها على المصنوعات الالمانية كرد فعل انتقامي على اضطهاد اليهود الالمان .

وحتى تثبت الصحيفة ان الخلاف القائم بين العرب واليهود في فلسطين وان التبدل الذي طرأ على معاملة المصريين لليهود انما هو نتيجة الدعاية التي يبثها الالمان في الشرق الاوسط وفي مصر بالذات ، حاولت ان توحي للجميع أن هناك نشاطا دعائيا واسعا يمارسه الالمان في البلاد ، واستشهدت على ذلك بما ذكره كاتب فرنسي من إن الراي قد استقر في المانيا على جعل مصر مقرا لدعايتهم الى الاقطار الشرقية .

وحتى تبرهن الصحيفة على صدق قولها ذكرت أن احد الشبان المصريين قام بترجمة كتاب هتلر « كفاحي » وقام بطبعه على ورق مصقول ، وعرضه للبيع بثلاثة قروش ، في حين أنه يتكلف اكثر من ذلك ، مما يدل على ان هناك هيئة دفعت هذا الفارق ، لانه يهمها أن يكون الكتاب رخيصا حتى يقراه اكبر عدد من المصريين .

وأكدت « الشمس » أنه كان نتيجة لنشاط النازي في بث دعايتهم في الشرق ان استمالوا الكثيرين في العراق الى مبادئهم ، وأن ما ينزل باليهود هناك

من حيف وغبن ليس سوى اثر من آثار هذه الدعاية التي تسعى الى تلويث سمعة اليهود .

وفي اطار سعي الصحافة اليهودية الى مقاومة الدعاية النازية ضد اليهود والتصدي لميل المصريين نحو المانيا أوضحت « الشمس » ان هتلر اعلن الحرب على اليهود لا باسم اليهود وانما باسم السامية والعرب من صميم تلك السلالة المضطهدة ، وفي هذا ابلغ دليل على حقيقة نوايا هتلر نحو ابناء الجنس السامي.

وحاولت « الشمس » ايضا أن تثني المصريين عن ميلهم نحو هتلر فذكرت انه يحتقر الشعب العربي وخاصة الشعب المصري ، وان كتابه الذي يوزع في القاهرة جذفت منه فقرة عن عمد تبين راي هتلر الحقيقي في المصريين الذين يعتبرهم « من العجزة وذوي العاهات ، ويرى انهم شعب منحط تبعا لانحطاط عنصره » .

ومن ناحية اخرى حاولت « الشمس » ان تستدر عطف العرب على اليهود فذكرت أن الدعاية النازية تخالف تعاليم الاسلام من حيث دعوته الى العطف على البائس ومحبة الجار والمساواة بين الناس واحترام الاديان والرسل ، في حين ان النازية تسعى الى تمييز الناس طبقات وتشهر بالاديان وتهزأ بالرسل ، ثم انتقلت الى دعوة العرب للاتحاد مع اليهود باعتبارهما ممثلين العنصر السامي لمقاومة الدعاية النازية وتطهير البلاد منها حرصا على الكرامة العربية ، ثم اوضحت انه من مصلحة مصر ان تراجع نفسها ازاء هذه الدعاية لتجنب البلاد خطرها ، وانه يكفي ان يسن وزير الداخلية قانونا يمنع هذه الدعاية حتى تستريح البلاد من شرها .

٣ ــ الدعاية الشيوعية :

ادعت الصحافة اليهودية ان للدعاية الشيوعية في فلسطين يدا في اثارة الفتن والاضطرابات هناك وان الدعاية كانت السبب الاول في وقوع احداث المبكى عام ١٩٢٩ .

وحتى تؤكد الصحف اليهودية صدق قولها ذكرت صحيفة « اسرائيل » انه خلال الاحتفال بالاعياد عام ١٩٣٢ تم القاء القبض على عدد من الشيوعيين وجدت لديهم كميات من المنشورات تدل على وجود علائق بينهم وبين حكومة موسكو تحث على الثورة والقتل وغير ذلك من الدعوات التي يبثها الشيوعيون بقصد اثارة القلاقل بين الطبقات كما عثر البوليس على خطابات من موسكو تبين اعجابها بمقتل يهودي وعربي وتعد ذلك ناتحة لثورة عامة ولم تستبعد الصحيفة أن يكون الشيوعيون هم الذين دبروا لحادثي القتل هذين بقصد اثارة الخواطر بين العرب واليهود واضرام نيران الثورة بينهما .

ونظرا لان الشيوعية كانت مذهبا ممقوتا في ذلك الوقت ويلاقي انصاره

كل الوان المحاربة والمطاردة حاولت صحيفة « اسرائيل » تشويه زعماء الحركة الوطنية في فلسطين ، فذكرت انه كان هناك اتفاق بين موسكو واعضاء اللجنة التنفيذية العربية على اثارة احداث المبكى ، كما تحدث عن وجود علاقات بين الزعماء العرب في فلسطين مع موسكو ، فذكرت أن جمال الحسيني عضو في الهيئة الشيوعية بموسكو وله كرسي فيها ممثلا عن فلسطين .

وهكذا نجد ان الصحافة اليهودية الى جانب محاولتها رد اسباب الخلاف بين العرب واليهود الى الدعايات الاجنبية تحاول ان تقطع السبيل على الزعماء العرب للاستعانة بالقوى الاجنبية الكبرى في صراعهم ضد الصهيونيين فهي تتحدث عن وجود علاقات بين زعماء المقاومة الوطنية في فلسطين وبين النازية اذا هم حاولوا الاستعانة بالمانيا وتتهمهم بأنهم عملاء للشيوعية ان هم حاولوا الاستعانة بموسكو في مواجهة القوى الاجنبية التي تساند الصهيونية .

٤ ــ الدعاية الفاشية :

حاولت صحيفة « الشمس » ان توقر في الاذهان ان الفاشية والفاشيين في مصر يستغلون الدعاية ضد اليهود الاقليات الطائفية وسيلة للوصول الى الحكم وا ن اليهود ضحية بريئة لاطماعهم ولا شيء اكثر من ذلك .

واكدت الصحيفة انه قامت في مصر نزعة فاشية تسترت باسم الدين هدفها هو التشهير بالاقباط واليهود وسائر الاقليات التي يتالف منها الشعب المصري لان العنصرية هي وسيلتهم للوصول الى الحكم كداب الفاشيين في كــل بلـــد .

٥ ــ الدعاية العربية :.

اتهمت الصحافة اليهودية صحف العرب بانها تشجع على القلاقـــل والاضطرابات في فلسطين بما تنشره من ترهات واباطيل وتحريض ، مما يشجع على استمرار الشقاق والخصام بين الاهالي .

وذكرت صحيفة « الشمس » ان الصحف المصرية على سبيل المثال تكتب عن اليهود بلهجة غريبة لا تتفق مع التسامح الديني المفروض وجوده في بلـــد ديمقراطي مثل مصر ، مما يمكن اعتباره تحريضا دينيا ضد الاقليات ، وقدمت الصحيفة نموذجا لمثل هذه الكتابات فذكرت ان صحيفة « المصري » نشرت في احد اعدادها نبا عن ضبط عصابة يهودية تهرب النقد الاجنبي ، ووجدت « الشمس » ان مجرد ذكر ديانة هذه العصابة يعتبر تحريضا دينيا ، وتمييزا عنصريا ، لأنه لو كان المهرب شخصا اخر غير يهودى ما ذكرت الصحيفة ديانته ولقيل ان شخصا مصريا او اجنبيا ... الخ .

وقد هاجمت الصحف اليهودية بعض الصحف العربية والمصرية واتهمتها بأنها تشجع على الثورة في فلسطين لمجرد وقوفها الى جانب الحق العربي لدرجة أن صحيفتي « المقطم » « والاهرام » اللتين كانتا من أوائل الصحف المصرية التي فتحت صدرها لليهود المصريين الذين دافعوا عن الصهيونية لم تسلما من هذا الهجوم

عندما وقعت حوادث المبكى عام ١٩٢٩ طالبت صحيفة « الاهرام » باعطاء حائط المبكى للعرب كحل للخلاف بين الطرفين ، ولكن صحيفة « اسرائيل » ثارت ثائرتها ووصفت « الاهرام » بأنها « كالحرباء » ، واتهمتها بأنها تعمل لتوسيع شقة الخلاف وتشجيع العرب على الثورة لتعلو كلمة النصرانية ويقوى التبشير بها بعد اضعاف العرب واليهود .

ولجأت الصحيفة الى اتهام « الاهرام » وباقي صحف الشاميين في مصر بأنها تتقاضى اموالا من المخصصة لترميم المسجد الاقصى ولذلك تلتهب غيرة على المسجد وعلى عرب فلسطين . وما ذلك الا لارهاب هذه الصحف وابطال ما يمكن أن تحدثه دعايتها من مفعول ، بتصويرها على انها صحافة انتهازية مأجورة لاتقف الى جوار الحق وانما تقف الى جوار من يدفع لها .

ومن ناحية أخرى القت « اسرائيل » بمسئولية الاحداث في فلسطين على الدعايات السياسية التي تنشرها هيئات سياسية عربية معلومة تسعى الى تحقيق مصالح خاصة من خلال سيطرتها على الدهماء وتوجيهها الى اثارة الاضطرابات في البلاد حتى تبرهن انها هي التي تحكم البلاد دون سواها .

كما القت الصحافة اليهودية بالمسئولية ايضا على بعض المسيحيين السوريين الذين زعمت انهم يقفون وراء الثورات التي تنشب في فلسطين ، وأنهم كانوا من اكبر العوامل التي اذكت نيران الثورة ، وذلك لانهم تربوا في مدارس المبشرين ونشأوا على كراهية اليهود ، ثم لاهتمامهم وشغفهم باستيلاء دولة مسيحية على فلسطين حتى تطبع البلاد بالطابع المسيحي .

واوضحت صحيفة « اسرائيل » ان السر في كراهية بعض النصارى لليهود في فلسطين وقيامهم بالتحريض ضدهم هو فشل التبشير الديني الذي يقوم به المسيحيون بين العرب . والسبب في ذلك يرجع الى ان اليهود اسسوا في البلاد مستشفيات وملاجيء ومدارس فتحول العرب عن مدارس المبشرين ومستشفياتهم الى تلك التي انشأها اليهود فرارا من اغراء المبشرين لحملهم على تحول النصرانية اولا ، ولان اليهود هم أبعد عن التبشير بدينهم ثانيا ، فكان ذلك سببا في الحملات الدعائية التي يبثها المسيحيون ضد اليهود حتى يتمكنوا من اعلاء كلمة المسيحية في فلسطين .

واتهمت صحيفة « الشمس » الصحفيين المسيحيين بأنهم أكثر الناس محاربة لاماني اليهود لانهم امتلكوا الصحافة والراي العام في العالم العربي ، ولذلك يتخذون من فلسطين سلاحا غير شريف للنيل من اليهود والتزلف الى

القراء . وهكذا نجد انه في الوقت الذي سعت فيه الصحف اليهودية الى منع قيام فتنة طائفية بين اليهود والمسلمين وشهرت سلاح التعصب في وجه كل من حاول التصدي للصهيونية نرى انها حاولت اثارة الفتنة الطائفية بين المسلمين والمسيحيين .

والى جانب كل العوامل السابقة ردت الصحف اليهودية في مصر اسباب الخلاف بين العرب واليهود في جزء منه الى العرب واليهود انفسهم نتيجة لسوء الفهم وسوء النية ، فقد اشارت صحيفة « الشمس » الى أن العرب كانوا يتطلعون الى الصهيونية في البداية على انها ناشئة عن وعد بلفور ولا يتأتى منها شيء ، ولكن نجاح الصهيونية في تحويل فلسطين الى قطر ناهض هو الذي حمل العرب على معارضتها لانهم ارادوا الاستيلاء عليه بعد تقدمه .

وارجعت الصحيفة الخلاف ايضا الى جهل العرب واليهود بلغة كل منهما ، كما ألقت « اسرائيل » باللائمة على بعض اليهود الذين يضعون أمام عرب فلسطين فكرة مشوشة عن الصهيونية قولا وعملا ، وعلى العرب الذين يصورون الصهيونية بغير صورتها ويسممون الافكار والعلاقات بين الامتين ، مما يحول دون تفاهمهما وتعاونهما .

ثانيا : مقاومة الدعاية المضادة لليهود

اذا كانت الصحف اليهودية في مصر قد ارجعت السبب الرئيسي في اثارة الخلافات بين العرب واليهود الى الدعايات المضادة لليهود التي توجهها هيئات معينة فقد وجدت تلك الصحف انه من الضروري وهي تسعى الى تحقيق التفاهم بين العرب واليهود أن تقوم بدورها في مقاومة هذه الدعايات والرد عليها وتنفير الجماهير منها عسى أن تفلح في التقريب بينهما وفيما يلي اهم الوسائل التي سلكتها الصحف اليهودية وصولا الى هذه الغاية :

١ ـ التخويف من الغزو الاجنبي :

لجأت الصحافة اليهودية في مقاومتها للدعاية المضادة لليهود الى التخويف من اطماع الدول التي كانت تبث دعاية مضادة لليهود ؛ فالمانيا النازية تريد بسط نفوذها على الشرق العربي ، وهي برغم ما هو معروف عن محاربتها للجنس السامي تستغفل العرب وتستعين بهم كأداة لتحقيق اطماعها في المنطقة، ثم ستنقض عليهم بعد ذلك كما فعلت مع اليهود .

وعندما كتب احمد حسين رئيس حزب مصر الفتاة يحذر من خطر انشاء دولة يهودية على حدود مصر الشرقية ردت عليه صحيفة « الشمس » وبثت

المخاوف من الغزو الايطالي الذى يتهدد البلاد من ناحية الغرب خصوصا بعد قرار ايطاليا باعتبار طرابلس بصحراواتها جزءا لا يتجزأ من الامبراطورية الايطالية وقالت الصحيفة ان خطر الغزو الايطالي للبلاد لا يحسن السكوت عليه بعد أن أصبحت حدود مصر الغربية العارية على بعد دقائق بالطائرة وساعات قليلة بالسيارة من ليبيا .

وقد استهدفت الصحافة اليهودية من حديثها المتكرر عن الاطماع الاجنبية في مصر واخطار الغزو الاجنبي الذي تتعرض له البلاد بث المخاوف في نفوس المصريين والهائهم عن قضية فلسطين وذلك بتوجيه اهتماماتهم وجهودهم وجهة اخرى كما ارادت التشكيك في صدق الاتهامات التي يطلقها الالمان والايطاليون ضد اليهود وحرف الجماهير عنها وحفزهم في نفس الوقت الى التعاون مع اليهود والتخلي عن اعجابهم بهتلر وتطلعهم الى مساعدته بعد أن اتضح انهم مستهدفين لاطماعه .

٢ ـ تشويه صورة الصحف والصحفيين المصريين الوطنيين :

اعتمدت الصحافة اليهودية في مقاومتها للصحف المصرية التي اتخذت موقفا مؤيدا لعرب فلسطين ومعاديا للاطماع الصهيونية الى تشويه صورة تلك الصحف وتشويه صورة الصحفيين الذين يكتبون فيها فقد وصفتهم بأنهم متطفلون وبأنهم اتخذوا من الصحافة تجارة وسلعة فباعوا ضمائرهم وصاروا اداة في أيدي غيرهم يوجهونهم كيفما ارادوا .

فحينما نشرت مجلة « المصور » صورا للمهاجرين اليهود الى فلسطين لتلفت الانظار الى ان هؤلاء المهاجرين من الشباب والرجال الاقوياء وليسوا من النساء والاطفال والكهول كما تدعي الصهيونية ، تعرضت المجلة لهجوم عنيف من صحيفة « الشمس » التي اتهمتها بالعمالة وزعمت انها تتعامل مع مكاتب الدعاية التي تخص دولا اجنبية تسعى الى نشر دعاية ضد اللاجئين اليهود .

وفي نفس الوقت استخدمت تهمة التعصب كسلاح ضد الصحف التي كانت تهاجم اليهود والصهيونية وحذرت من أن هذه الصحف ترمي الى شل صفوف المجتمع وتمزيقها بتعرضها للطائفة الاسرائيلية وأوضحت ان التحامل على اليهود ادى الى نتائج وخيمة لم يتدبرها المحرضون واسفر عن تدمير كنائس الاقباط وحرقها بعد معابد اليهود بسبب ذلك التحريض الديني الذي تمارسه بعض الصحف .

٣ ـ حث الحكومة المصرية على التدخل لايقاف الحملة ضد اليهود :

اهتمت الصحافة اليهودية في مقاومتها للدعاية المضادة باشتراك الحكومة

المصرية في الجهود المبذولة لتحقيق هذا الهدف نظرا لقوة الاجراءات الحكومية وفعاليتها وقد لجأت الصحف اليهودية الى عدة اساليب استهدفت اشتراك الحكومة في مقاومة الدعاية المضادة لليهود والصهيونية منها المبالغة في تصوير الاضرار التي تعود على البلاد من تلك الدعاية كانتشار الفوضى والاضطراب وتمزيق الوحدة الوطنية والاضرار بالقضية المصرية .

ولذلك بدات صحيفة « الشمس » عام ١٩٣٨ في توجيه رسائل للمسئولين المصريين بتوقيع اليهودي التائه منها رسالة الى محافظ مصر اوضحت له فيها ان الحرب الداخلية اشد خطرا على البلاد من الحرب الخارجية واسترعت انتباهه الى الترجمة التي تباع في الطرقات بتراب الفلوس لكتاب هتلر « كفاحي » ودعته الى تطهير المدينة من مثل هذه الافة قبل أن تقضي على الحرث والنسل فيها .

وطالبت « الشمس » باستحداث مادة جديدة في التشريع المصري تمنع التحريض حتى تصان الوحدة الوطنية .

وكان من نتيجة هذه الحملة ان قامت بعض الهيئات المصرية باتخاذ الاجراءات التي تكفل منع التحريض او الاساءة لليهود فاصدر مجلس ادارة الاذاعة المصرية عدة قرارات هامة منها الحفاظ على استقلال المحطة وعدم السماح باذاعة اخبار او احاديث تتصل بالتحريض الديني او تاليب طائفة على اخرى او مهاجمة طائفة من الطوائف التي يتكون منها الشعب .

واشادت « الشمس » بهذه القرارات واوعزت الى الاذاعة المصرية بأنه يمكنها القضاء على النعرة الدينية باذاعة الاحاديث والروايات التي تقرب بين أبناء الوطن الواحد كما طالبت بالفصل بين السياسة والدين في مصر وذلك بأن يكون للدين رجاله وللسياسة رجالها .

٤ ــ دعوة عظماء اليهود الى الرد على الدعاية المضادة :

وقفت « الشمس » موقفا معارضا من اليهود الذين كانوا يعارضون فكرة الرد على الدعاية المضادة لهم بدعوى أن الصمت خير واجدى وتزعمت الدعوة الى ان يتولى مجلس الطائفة بنفسه مسئولية الرد على الدعاية المضادة لليهود عن طريق انشاء مكتب يتولى تصحيح ما ينشر في الصحف المصرية .

واقترحت الصحيفة على رجال الطائفة القيام ببعض الاعمال التي تكون احسن رد عملي على الذين يطعنون اليهود ويرمونهم بعدم حفظ الجميل للبلاد التي يعيشون فيها فدعت في خطاب مفتوح الى عظماء اليهود عام ١٩٣٩ ان يهدوا الجيش المصري طائرة وإسلحة باسم الطائفة اليهودية بعد ان باتت مصر مهددة بالخطر من جراء الاحداث الدولية واشارت الى ان هذا العمل ستكون له آثاره العميقة عند جمهور المصريين .

وطالبت الصحيفة جمعية الدراسات التاريخية اليهودية بنشر البحوث التاريخية والقاء المحاضرات العامة عن اليهود حتى يمكن القضاء على اراجيف المغرضين التي هي سلاح ذو حدين فهي من ناحية تثير المشاعر ضد اليهود كما أنها تؤذي اليهود نفسيا لانها بمثابة حرب اعصاب موجهة ضدهم كما أن هذه المحاضرات والابحاث يمكن ان تعيد لليهود الثقة في انفسهم .

وقامت الصحف اليهودية بدورها في الدفاع عن اليهود ضد بعض الصفات التي الصقت بهم فقد اتهم اليهود بأنهم مرابون ويصلحون للاعمال المالية والتجارية فقط لكنهم لا يصلحون للزراعة ونظرا لان الحياة في الوطن القومي تعتمد على الزراعة وفي هذه الاتهامات والصفات ما يدفع الى عدم تأييد اليهود في مطالبتهم بفلسطين انبرت الصحف اليهودية الى تفنيد هذه الادعاءات فنشرت مجلة « الاتحاد الاسرائيلي » مقالات عن ان تاريخ اليهود يدل على انهم امة زراعة ورعي اغنام واصحاب حرف وصناعات اما «الشمس» فقد اوضحت ان التوراة تحث اليهود على عدم الاشتغال بالربا وان الاعياد الاسرائيلية هي اعياد زراعية .

ودافعت مجلة « التهذيب » عن اليهود ضد تهمة الدم التي التصقت بهم ومؤدى هذه التهمة أن اليهود احسوا بخطئهم من ناحية قولهم بعدم مجيء المسيح فعمدوا الى اخذ دم المسيحيين يصنعون به فطير الفصح ليتناولوا منه لان هؤلاء المسيحيين متناولون من قبل من جسد المسيح كما جاء بالاصحاح ٢٦ .

ونظرا لان اليهود عانوا من هذه التهمة كثيرا أهتمت الصحف اليهودية بتفنيدها فذكرت « التهذيب » ان هذا الادعاء كاذب لان اليهود لا يزالون يهودا كما أن دينهم يحرم عليهم الدم بصفة خاصة كما جاء في التوراة واستشهدت المجلة في هذا الشأن بنصوص من كتاب اليهود المقدس لتثبت كذب هذه الاتهامات .

ثالثا : التاكيد على الصلات التاريخية بين العرب واليهود

بعد ان ردت الصحف اليهودية اسباب الخلاف بين العرب واليهود الى عوامل خارجة عن ارادتهم سعت في الوقت الذي قامت فيه تفنيد الدعاية المضادة لليهود الى دعوة العرب واليهود الى التعاون والتفاهم بقصد تفويت الفرصة على المستفيدين من هذا الخلاف .

وكان اول ما استندت عليه الصحافة اليهودية في دعوتها الى تحقيق التعاون والتفاهم هو التاكيد على الصلات التاريخية التي تربط بين العرب واليهود فاوضحت « ان العرب هم ابناء عمومة اليهود فاولئك ابناء اسماعيل وهؤلاء ابناء اخويه اسحق ويعقوب وجميعهم أولاد ابراهيم عليه السلام » .

وافاضت صحيفة « الشمس » في الحديث عن الصلات الطبيعية التي تربط بين العرب واليهود فذكرت « ان هناك صلات لغوية وادبية وعلمية واجتماعية وفلسفية ، ومن الامثلة الناطقة على هذا التشابه : التشابه في اسماء الايام ودلالة الحروف في اللغتين على الاعداد ، بالاضافة الى ان التشابه في اللغة كبير الى حد يمكن معه القول بأن اللغة العربية اقرب الى العبرية منها الى اللغة العامية التي يتحدث بها الناس هنا في مصر » .

ومن ناحية اخرى ذكرت الصحيفة « ان صلات القرابة والنسب بين العرب واليهود جعلت اليهود يطبعون العرب في الجاهلية بثقافتهم ودينهم الى حد كبير مما ظهر اثره في التعاليم الاسلامية » .

واوضحت « الشمس » للعرب « ان اليهود أقرب لهم من المسيحيين الذين يتزعمون الحركة العربية ، واستشهدت في هذا الصدد بقول كاتب امريكي يرى ان اليهود فرع اصيل في الدوحة السامية ، وانهم عرب اقحاح في الجنس ، وانه اذا انقطعت عنهم الرعاية الاجنبية حل الصفاء وتعاونوا والعرب على النهوض بالشرق الذي فيه مجال واسع لليهودي الذي يريد ان يحيا حياة شرقية عربية ، ويابى الاندماج في الامم الاوروبية ، وانه اذا ما تعاون اليهود والعرب في فلسطين وسائر انحاء الشرق ، فلا يبعد ان تتجدد عصور الاندلس ، التي تجلت فيها بصورة رائعة فائدة التعاون بين افراد الجنس السامي .

واكدت الصحيفة ان الامر الطبيعي هو ان يتفاهم العرب ويتعاونوا مع اليهود لان التعاون والتفاهم امر تقتضيه مصلحة الطرفين وتتطلبه مصلحة الشرق عامة ، فهذه النهضة التي سرت في انحاء فلسطين لم ترض بعض الجهات الاجنبية ، لانها قد تنافس تجارتها وفي الامكان ان تعم الشرق كله ، ولهذا سارعت هذه الجهات الى بذر بذور الشقاق والخلاف بين العرب وابناء عمومتهم .

وحاولت الصحف اليهودية اثناء دعوتها لتحقيق التفاهم والتعاون بين العرب واليهود ان توضح للعرب ان التفاهم والتعاون اصبحا رغبة عالمية تنشدها كافة الامم ، بل وينشدها قادتهم وزعماؤهم ، فالامير عمر طوسون يرى انه « يجب على الامم الشرقية ان تعيد النظر في تكوينها وتاليفها كاملة ، وان تشيد بناءها من جديد ، وتدخل في كيانها العناصر التي تفيض عليها بالحياة ، وتنفخ في جسمها الروح ، والا تجعل المذاهب والديانات سبيلا لتصديع هذا البناء » .

وسعد زغلول دعا من قبل قائلا : « لنترك تلك النعرات العنصرية المتأججة في الصدور ، حتى لا تكون حائلة بين ابناء الوطن الواحد من المحبة والتعاون والتناصر » .

وهكذا حاولت الصحف اليهودية استغلال تصريحات الزعماء المصريين

وسخرتها لخدمة اغراضها ، فقد وجدت انه قد يمكنها التأثير في قرائها من العرب اذا ما اوحت لهم أنها بدعوتها الى التفاهم والتعاون انما تخدم قضية يدافع عنها زعماؤهم ؛ واذا ما اوحت لهم بأن وجود اليهود سينفخ الروح في جسد أمتهم باعتراف حكامهم .

ومن الملاحظ ان الصحافة اليهودية حرصت خلال دعوتها الى التفاهم والتعاون على التاكيد على ما وصفته بأنه حقوق اليهود التاريخية في فلسطين، حتى يكف العرب عن مناوأتهم ، والمطالبة باخراجهم من البلاد ، وحتى تبين لهم انهم غير محقين في مقاومتهم للوجود الصهيوني هناك ، وفي هذا الصدد اشارت صحيفة «الشمس» الى ان « حق اليهود في فلسطين لا يبدأ من وعد بلفور وانما يعود الى عهود موغلة في القدم ، فاذا لاحظنا ان اليهود صبوا شعورهم وتفكيرهم في كتابهم المقدس ، امكننا ان نفسر حق اليهود في فلسطين تفسيرا واقعيا ، لان اعتقاد اليهود ان فلسطين ارض الميعاد شيء يتغلغل في نفوسهم ، والتاريخ يحمل لنا زياراتهم بالالوف للاراضي المقدسة يبكون يومهم ويأملون الخير في مستقبلهم حيث يجمعهم الله في أرض الميعاد .

«اذن فتاريخ اليهود يحمل على الاعتقاد بأن فلسطين ارض الميعاد وانها وطنهم القومي ومن هذا الشعور يتكون الحق الاول لليهود في فلسطين » (١)

وهكذا نرى ان صحيفة « الشمس » اعترفت في تأكيدها على حق اليهود في فلسطين على مجرد وعد ديني ورد في التوراة ، وشعور نفسي زعمت أنه لازم اليهود خلال عصور التاريخ .

وعلقت صحيفة « اسرائيل » امالا كبارا على اليهود السفارديم في تحقيق التفاهم مع العرب ، واعتبرتهم همزة الوصل والجسر الذي سيلتقي عليه العرب واليهود ، ليفتحوا امام الجهود اليهودية المناطق الواسعة التي يحتاج رقيها الى الذكاء والنشاط والمال اليهودي ، حتى يمكن قيام منطقة من البلاد الزاهرة تمتد من البحر المتوسط الى الاقيانوس الهندي .

وكما هو واضح لنا حاولت الصحف اليهودية أن تقنع العرب بأن انشاء الوطن القومي اليهودي في فلسطين ووجود المهاجرين اليهود بينهم سوف يسهم في تقدمهم واعتمدت في ذلك على ترديد النغمة التي رددتها الدعاية الصهيونية في العالم الخارجي وهي أن المال والعقل اليهودي سيكون لهما دور كبير في انهاض العرب وتقدمهم ، فصحيفة « اسرائيل » تقول « ان الوطن القومي هو خير ما حبت به العناية السرمدية العرب ليكون وسيلة فعالة في انهاضهم ، لان اليهود يعودون وقلوبهم مفعمة بالرغبة والتعاون مع العرب ». اما صحيفة « الشمس » فقد اوضحت للعرب ان « الساعة التي يظفرون فيها

(١) صحيفة الشمس في ٣١-٣-١٩٣٩

بصداقة اليهود ستكون حدا فاصلاً في تاريخهم حيث يعاونهم الذكاء اليهودي والمال اليهودي لاقامة دولة في شرق البحر المتوسط من اعظم دول المنطقة ».

وحتى تبين « الشمس » للعرب ان ساستهم العقلاء ادركوا أن مصلحتهم انما هي في التعاون مع اليهود ، وانهم ادركوا منذ وقت مبكر الفائدة التي ستعقد عليهم من وجود اليهود في فلسطين نشرت نص وثيقة الاتفاق العربي اليهودي الذي ابرم بين الملك فيصل وحاييم وايزمان عام ١٩١٩ .

وحاولت الصحيفة عمل كل ما من شانه ازالة التفرقة بين العرب واليهود فبدات في استخدام كلمتي اليهود والمسلمين كلما تحدثت عن التعاون بين العرب واليهود ، فقد ارادت ان توحي للجميع ان العروبة ليست قاصرة على الفلسطينيين وان اليهود ايضا أصلهم عربي مثل الفلسطينيين ، وربما كانت الصحيفة ترمي من وراء ذلك الى الايحاء بأن الصراع الدائر في فلسطين هو صراع ديني فقط حتى تصم العرب بالتعصب وتدينهم في نظر الجميع .

وكانت صحيفة « الشمس » في دعوتها الى التعاون والتفاهم انما تترسم خطى الوكالة اليهودية ولجنة التقريب بين العرب واليهود في فلسطين ، يدلنا على ذلك دعوتها اليهود المصريين الى ان يسعوا الى تحقيق التفاهم مع العرب اسوة بجهود هاتين الهيئتين الصهيونيتين .

وقد كان من نتيجة هذه الدعوات أن بدأ اليهود في الاقبال على القيام ببعض الاعمال التي راوا انها يمكن ان تقربهم من العرب ومن العالم الاسلامي، والتي تكون اقوى من دعايتها من الوف الكلمات ، من ذلك مثلاً تكوين لجان في القاهرة والاسكندرية تحت اشراف مجلس الطائفة لجمع الاعانات للمنكوبين في تركيا اثناء الحرب العالمية الثانية ، وفي بيروت عندما لم تتمكن لجنة المستشفى الاسلامي من اتمام تأسيس مستشفاها بسبب نفاد المال عرض احد اليهود في فلسطين ان يتبرع بالاموال اللازمة لانجاز المشروع بشرط أن تقام لوحة تذكارية على مبنى المستشفى يكتب عليها « أمكن الانتهاء من بناء هذا المستشفى بفضل أموال اليهود الذين هم أخوة المسلمين » ..

رابعا : اظهار فضل اليهود على الحضارة

دابت الصحافة اليهودية في مصر على نسبة كل فضل وكل تقدم في العالم الى اليهود ، ومن يطلع على هذه الصحف يخرج بانطباع مؤداه ان اليهود لهم الفضل في كل اختراع وكل اكتشاف تم التوصل اليه في اي مجال من المجالات وفي اي مكان من العالم .

فاليهود كما تجمع الصحف اليهودية في مصر هم الذين كان لهم الفضل في اكتشاف امريكا ، وهم الذين يرجع اليهم الفضل في تلك الحضارة الاوروبية الزاهرة ، فهم الذين نقلوا الارقام العددية من الهند الى اوروبا وهم الذين حملوا التراث الذي خلفه العرب من العلم والسياسة والمدنية في اسبانيا

بعد زوال دولتهم ونقلوه معهم حيثما حلوا في فرنسا والبرتغال وايطاليا ؛ وهم الذين كان لهم فضل اختراع بنوك التسليف والحوالات المالية ، هذا بالاضافة الى اشتغالهم بالعلوم والمعارف المفيدة للانسانية ولادارة شئون الدول التي كانوا يقيمون فيها . . . الخ .

واذا اردنا ان نعدد افضال اليهود على الحضارة العالمية كما ذكرتها الصحف اليهودية فلن يتسع المجال عنا لذكرها ، ولكن الذي يهمنا هنا ان الصحافة اليهودية حاولت ايضا ان رجع الفضل لليهود في كل تقدم وكل حضارة تخص العرب ؛ فهي تزعم انه كان لليهود اليد الطولى في انتشار التوحيد بين العرب قبل ظهور الاسلام ، وان اتصال اليهود بالعرب ادى الى حدوث تغيير كبير في حياة العرب الاجتماعية ، وان اليهود قاموا بنصيب وافر في رفع شأن الادب العربي نظما ونثرا .

ومضت الصحف اليهودية الى ابعد من ذلك اذ نسبت صحيفة «الشمس» الى اليهود فضل الارتفاع بمستوى الادب الاشوري والبابلي والفينيقي ، وفضل الحفاظ على التراث العربي في عصر الفتوحات الاسلامية مما تطرق اليه من لحن نتيجة دخول امم اخرى تحت لواء الدولة العباسية وذلك بما نقله اليهود الى العربية من العلوم الفارسية واليونانية والسريانية ، مما كان له اثر كبير في اثراء كنز المفردات اللغوية والتراكيب الفنية .

وحاولت الصحافة اليهودية ان تجرد العرب من كل ما يفخرون به في مجال مساهمتهم الحضارية ، فذكرت ان الارقام التي يقال انها عربية ليست عربية وانما تعود في اصلها الى الهند ، وان التجار اليهود هم الذين نقلوها الى العربية في عصور الظلام . حتى الحضارة المصرية القديمة التي تعد من اقدم الحضارات في العالم لم تسلم من نسبة الفضل فيها الى اليهود ، فقد ذكرت « الشمس » ان مصر التي تعتبر مهد الحضارة والمدنية تأثرت بالمدنية السامية برغم ان الدم السامي لم يجر في عروق المصريين ، وان اثر الجنس السامي ظل في مصر على التعاقب ابتداء من عهد الفراعنة الى الحكم العربي .

وبالاضافة الى ذلك تزخر الصحف اليهودية بالعديد من الموضوعات التي تتحدث عن فضل اليهود على الحضارة العربية في جميع المجالات في الموسيقى والفن والدين والعلوم والاقتصاد والتجارة والفتوح الاسلامية .. الخ لدرجة ان مجلة « الاتحاد الاسرائيلي » خلصت في احد مقالاتها الى القول بانه « لولا اليهودية ما كان هناك فلسفة ولا تقدم ولا حكمة الهية » .

وحرصت معظم الصحف اليهودية خلال حديثها عن فضل اليهود على الحضارة الى اظهار تهافت الدول الاخرى على استقبال الاساتذة اليهود الذين كانوا ينزحون من اوروبا هربا من الاضطهاد النازي للاستعانة بهم في التدريس في جامعاتهم واظهار خوف تركيا من نزوح اليهود عنها لانهم اذا نزحوا فسيكون انحطاطها اعظم مما لحق باسبانيا والبرتغال مثلما عبرت عنه صحيفة « الليري»

التركية .

مما سبق يتضح لنا ان الصحافة اليهودية ارادت ان تبين للعرب ان تلك القلة المضطهدة من اليهود التي لا تجد لها مكانا بين البشر كان لها فضل كبير على حضارتهم وعلى الحضارة العالمية وانه اذا اتيحت لها الفرصة لتعمل في هدوء واستقرار لافادت الانسانية جمعاء والعرب على وجه الخصوص .

وقد وجدت الصحافة اليهودية ان الشعوب العربية كانت تتطلع في ذلك الوقت الى الاستقلال وتجتاحها رغبة محمومة في تحسين احوالها واللحاق بركب الحضارة الذي تخلفت عنه فترات طويلة فاخذت تلوح لهم بأن اليهود هم اقدر العناصر على مساعدتهم في تحقيق امانيهم وكان هدفها من وراء هذه الاحاديث المسهبة هو ان تدفع العرب الى قبول الهجرة اليهودية الى فلسطين، بل ان وعودهم للعرب بتعاون المال والعقل اليهودي معهم لانهاضهم لم تكن الا وعودا كاذبة ، فما ان تحقق لليهود هدفهم حتى اداروا ظهورهم للعرب وتنكروا لهم وسعوا بكافة السبل الى اضعافهم واذلالهم .

الفصل السابع

● موقف الصحافة اليهودية من القضية الفلسطينية

حظيت مشكلة فلسطين وتطورات الاحداث فيها باهتمام كبير من جانب صحف اليهود العربية في مصر ، وسنحاول في هذا الفصل أن نتعرف علي موقف هذه الصحف من الثورات والاحداث التي وقعت في فلسطين ، ولكن يجدر بنا أن نشير الى انه صادفتنا عقبة رئيسية في هذا المجال وهي عدم وجود الاعداد التي صدرت من صحيفة « اسرائيل » خلال الفترة من ١٩٢٠ — ١٩٣٠ حتى كان يمكننا معرفة موقف هذه الصحيفة من احداث فلسطين خلال الفترة السابقة ، خصوصا وانها كانت الصحيفة الوحيدة التي صدرت بالعربية بعد تصريح بلفور بثلاث سنوات وعاصرت الفترة التي تلت صدوره ، كما انها كانت الصحيفة الوحيدة التي كانت تتحدث في المسائل السياسية دون زميلاتها الصادرة خلال هذه الفترة ، ولذلك اضطررنا الى استعراض موقف الصحافة اليهودية من مشكلة فلسطين ابتداء من ثورة البراق عام ١٩٢٩ وحتى عام ١٩٤٨ .

اولا : ثورة البراق سنة ١٩٢٩ :

في اسبوع عيد الغفران في اواسط شهر اغسطس عام ١٩٢٩ بدات احداث هذه الثورة بمظاهرة صاخبة نظمها اليهود الى حائط (المبكى) ترددت

خلالها هتافات تقول « الحائط حائطنا » قابلها المسلمون في اليوم التالـــي بمظاهرة اشد صخبا وحماسا ، واخذ الفريقان يتربصان بعضهما ببعض . وما لبثا ان اشتبكا في أحياء القدس وضواحيهما ، ثم سرت النار الى بـاقي المدن الفلسطينية ، واستمر التوتر والغليان نحو اسبوعين سقط خلالهما كثير من القتلى والجرحى من الجانبين ، وتعقدت المشكلة الى درجة كبيرة مما دفع بريطانيا باعتبارها الدولة المنتدبة الى ارسال لجنة الى فلسطين في مارس عام ١٩٣٠ عرفت باسم « لجنة شو » للتحقيق في حوادث المبكى .

وتابعت صحيفة « اسرائيل » هنا في مصر أعمال هذه اللجنة فنشرت الكلمات التي القاها اعضاء الوفد اليهودي الذي ادلى بشهادته أمامها حتـــى يطلع القراء على وجهة النظر الصهيونية فقط التي كانت تحاول ادانة العرب بشتى الطرق ، وبلغ من أهتمام صاحب الصحيفة بهذه القضية ان سافر بنفسه الى القدس للادلاء بشهادته امام اللجنة وشرح كيف ان العرب دابوا على الاساءة الى المصلين اليهود وإهانتهم ، وروى انه جاء الى فلسطين في عام ١٨٩٧ مع فريق كبير من اليهود المصريين للقيام بفريضة الحج وانهم جلسوا للصلاة امام المبكى ذات مساء ، ولكن الصبية العرب شرعوا في ضربهم وحملوهم على الفرار .

وحينما اصدرت اللجنة توصياتها باعادة النظر في امر تنظيم الهجـــرة اليهودية الى فلسطين بحيث لا يتكرر تدفق المهاجرين باعداد تزيد على قدرات البلاد ، وان تقوم بريطانيا بمشاورة ممثلي غير اليهود في هذا الشأن ، لم ترض هذه التوصية صحيفة « اسرائيل »، وعلى الفور شرعت في مهاجمة اللجنـــة وتقريرها ، واتهمتها بأنها تخالف الحق وصك الانتداب ، لان الوطن القـــومي روحه الهجرة وفي القضاء عليها قضاء عليه .

وقامت الصحيفة بنشر ردود الفعل والاحتجاجات في الاوساط الصهيونية في جميع أنحاء العالم حتى تعطي انطباعا بأن السخط على تقرير « لجنة شو » يمثل اتجاها عالميا ، وفي نفس الوقت حاولت ان ترد اسباب الثورة في فلسطين الى عوامل لا دخل لليهود فيها ، منها : جهل أهالي فلسطين بوعد بلفور ، وانسياقهم وراء تحريض ذوي المطامع امثال مفتي فلسطين وغيرهم ، كمـــا حاولت الصحيفة ايضا تصوير اليهود على انهم كانوا ضحايا هذه الثـــورة ولذلك اسرفت في الحديث عن الخراب والدمار الذي لحق بمحال اليهـــود واملاكهم حتى تظفر بعطف قرائها على اليهود وتثير سخطهم ضد عـــرب فلسطين .

ثانيا : موقف الصحف اليهودية من سفر الوفد العربي الى لندن :

قابل العرب بشيء من الارتياح مع التحفظ تقرير لجنة شو وارادوا ان

يستفيدوا من الجو الذي احدثه التقرير فقرروا ارسال وفد الى لندن لمفاوضة الحكومة البريطانية في المطالب التي راوا انها تحقق اماني العرب، ووصل الوفد في ٣٠ مارس ١٩٣٠ وتركزت مطالبه في : منع بيع الاراضي لليهود ، ووقف الهجرة ، ومنح الدستور .

وبالطبع كانت هذه المطالب تتعارض ومطالب اليهود في فلسطين ، ولذلك نشطت صحيفة « اسرائيل » الى تتبع تحركات هذا الوفد في محاولة منها لتسفيه مهمته والتشكيك فيها واحاطتها بعوامل الفشل والياس ، ولذلك ذكرت « ان الوفد العربي وفد حكومي لا يمثل الاهالي في شيء وأن الاحزاب والهيئات العربية ادركت هذه الحقيقة ، فهبوا لمقاومة الوفد ، وحرضوا على عدم دفع نفقات السفر والاقامة له » .

وركزت « اسرائيل » حملتها على الوفد الفلسطيني لدرجة أن العدد الواحد منها كان يحتوي على اكثر من خبر او تعليق على مهمة الوفد متبعة في ذلك أسلوب الاغراق المعروف في الدعاية لتقضي نهائيا على كل امل فيما يمكن ان يحققه الوفد بالنسبة للعرب ، ولتصرف الانظار عنه ، ولتثبت الطمانينة في نفوس اليهود بتأكيدها على حتمية الفشل .

وعمدت الصحيفة ايضا الى التشكيك في وطنية اعضاء الوفد فاتهمتهم بانهم استاثروا بالاموال التي جمعت لترميم المسجد الاقصى واعانة منكوبي ثورة ١٩٢٩ ، وبانهم يتجرون بالثورات ويشعلون نارها ليخلقوا منكوبين جددا يستجدون العالم الاسلامي باسمهم ، وانهم يحاولون ستر مخازيهم وراء شيء سموه مفاوضة .

وحينما رفضت الحكومة البريطانية مطالب الوفد ، ابدت « اسرائيل » شماتتها وحاولت التاكيد على انه لم يدخل في مفاوضات مع الانجليز ، لانه ذهب الى لندن من تلقاء نفسه وبدون دعوة من الحكومة البريطانية .

موقفها من الكتاب الابيض سنة ١٩٣٠

في مايو سنة ١٩٣٠ اصدرت وزارة المستعمرات البريطانية كتابا ابيضا نص على وقف الهجرة اليهودية الى المناطق العربية مع السماح بهجرة يهودية محدودة الى اراضي اليهود التي لم تعمر ووقف انتقال الاراضي الى اليهود الا بتصريح من الادارة البريطانية .

وقد اثار هذا الكتاب سخطا وهياجا في الاوساط اليهودية في جميع انحاء العالم وعبرت صحيفة « اسرائيل » عن سخط الصهيونيين هنا في مصر ضده ، وكما هي سياستها دائما في نسبة الاحداث الى الاطماع الاجنبية لتبرئة اليهود وتصويرهم على انهم الطرف المجني عليه دائما ، ادعت ان ايقاف الهجرة جاء على اثر قطع المحادثات مع الوفد العربي الفلسطيني في لندن ، وان وزارة

المستعمرات البريطانية إرادت بوقف الهجرة أن تسترضي الثورة عن طريق العبث بحقوق اليهود وهضمها .

واوردت الصحيفة سببا اخر لوقف الهجرة وصدور الكتاب الابيض ارادت من ورائه أن توحي بانه لا خطر من الهجرة على فلسطين وان الهجرة ليست هي السبب فيما يحدث في فلسطين وانما هي بريطانيا التي ترسم سياستهـا هناك وفق ما تقتضيه مصالحها ، فهي تحاول مضايقة اليهود في سبيل الحصول على تسهيلات سياسية في الهند حيث تعتمد بريطانيا على كسب عطف المسلمين الهنود في مقاومتها لاماني الهنود ومطالبتهم بالاستقلال ، ولذلك ارادت بالكتاب الابيض تسكين هياج عرب فلسطين للحصول على عطف المسلمين في الهند على حساب اليهود .

وابدت « اسرائيل » تاييدها لليهود الذين اعلنوا الاضراب في فلسطين احتجاجا على الكتاب الابيض فقالت « يحق لهم أن يضربوا ، فالهجرة هي روح الوطن القومي وعماده ، ووقفها معناه تعطيل الوطن القومي وعرقلة اعمال الانشاء والتجديد » .

وحذرت الصحيفة من أن ضياع ثقة اليهود بوعود بريطانيا يعود بالخسارة على فلسطين ، اذ سيمتنع اليهود عن تقديم مساعدتهم المالية لهذه البلاد وهذا من شأنه أن يوقف حركة التعمير في قطر هو في امس الحاجة الى الايدي العاملة لتعميره .

وكان من نتيجة الدعاية الواسعة التي قام بها اليهود في جميع انحاء العالم ضد الكتاب الابيض ، واشتداد ضغطهم على الحكومة البريطانية أن عادت بعد شهور فنقضت سياستها في كتاب جديد اصدرته عام ١٩٣١ أسماه العرب الكتاب الاسود ، وبذلك عادت الهجرة اليهودية شرعية وغير شرعية تتدفق على فلسطين .

وبعد أن تولى هتلر الحكم في المانيا عام ١٩٣٣ وبدأ في اضطهاد اليهود ازداد تدفق المهاجرين الى فلسطين ، وتطور الوضع هناك من سيء الى اسوأ ، كما ادى عدوان ايطاليا على الحبشة الى تحويل التجارة العالمية عن المنطقة الى حد ما الامر الذي ادى الى تفاقم ازمة العمل في فلسطين ، وادى الـى انتشار البطالة في القطاع العربي على نطاق واسع ، وقد ادت هذه العوامل الى نشوب ثورة في البلاد ابتدات في عام ١٩٣٦ واستمرت حتى عام ١٩٣٩ .

ثورة ١٩٣٦ وظهور فكرة التقسيم :

ومثلما كان موقف صحيفة « اسرائيل » من اضطرابات فلسطين كان ايضا موقف « الشمس » ، فقد ادعت هذه الصحيفة أن هناك يدا هي التي تحرك في الخفاء عوامل الثورة في فلسطين ، وحاولت الصحيفة أن توضح للعرب أن

اليهود لم يعتدوا قط على الفلسطينيين وان الثائرين من الجهتين ليسوا الا اداة لتحقيق مآرب جهات معينة ، وحملت بريطانيا مسئولية تلك الاحداث لانها هي التي جعلت من ابناء الوطن الواحد خصوما .

وخلال هذه الثورة ظهرت لاول مرة فكرة التقسيم فقد ارسلت الحكومة البريطانية عام ١٩٣٦ لجنة تحقيق ملكية عرفت باسم « لجنة بيل » فترحت تقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق كحل اساسي للمشكلة هي :

١ ــ دولة يهودية في الاراضي التي يكون فيها اليهود اكثرية السكان وتمتد على الساحل من حدود لبنان الى جنوب يافا .

٢ ــ دولة عربية في الاجزاء الباقية وتضم شرق الاردن .

٣ ــ منطقة انتداب بريطاني دائم تشمل الاماكن المقدسة والقدس .

واوصت اللجنة بان يشترط على كل عربي يبيع ارضه لليهود أن يحتفظ منها بالقدر الذي يقيم اوده واود اسرته ، اما بشأن الهجرة فقد اشارت بوضع حد معين لعدد اليهود الذين يسمح لهم بدخول فلسطين كل سنة .

وعلى الرغم من أن هذه هي المرة الاولى التي اعترفت فيها بريطانيا بحق اليهود في اقامة دولة مستقلة بهم في فلسطين على عكس التعريفات التي كانت تقدمها للوطن القومي والتي كانت تحاول أن تنفي فيها باستمرار أن يكون له اي صفة من صفات الدولة ، الا ان ذلك لم يرض الصحافة اليهودية في مصر التي كشفت عن أطماع اليهود في فلسطين كلها ، فقد استهجنت صحيفة « الشمس » التقسيم ورفضته لانه سلخ شرق الارض عن فلسطين .. لانه من وجهة نظرها جزء من فلسطين يشمله الانتداب البريطاني وما تضمنه من شروط الوطن القومي .

وعبرت الصحيفة عن عدم رضائها بالمنطقة الممنوحة لليهود بقولها انه « ليس من المعقول انشاء دولة في مساحة لا تزيد على مساحة حي كبير من احياء المدن الكبرى » .

ونظرا لان الصحيفة كانت ترفض مشروع التقسيم فقد دابت على محاربته بشتى الوسائل ووصل بها الامر أن حرضت العرب على رفضه بدعوى أن تطبيقه سيعود عليهم بالضرر الكبير لانه سيحرمهم من نشاط المنطقة اليهودية وثروتها وحركتها الدائبة .

وكما فعلت صحيفة « اسرائيل » عام ١٩٣٠ بالنسبة لسفر الوفد العربي الى لندن قامت « الشمس » باغراق مشروع التقسيم في بحر من الاخبار والدراسات التي تتحدث جميعها عن فشل الفكرة وصعوبة تنفيذها ، وكما حرضت الصحيفة العرب على رفض التقسيم حرضت اليهود ايضا على رفضه واوعزت اليهم انه احبولة استعمارية تستهدف النيل من حقوقهم وامانيهم واعتبرته مكافأة من بريطانيا للعرب على اعمال العنف وإرضاء للمعتدين .

وفي اثناء مضي اللجنة الفنية التي شكلت لبحث مشروع التقسيم في عملها

تجددت الثورة في فلسطين عام ١٩٣٨ ، وكان الانجليز قد هالهم امتداد الثورة الى جميع انحاء البلاد بعد أن تجهم الموقف الدولي وتجمعت نذر الحرب العالمية فلجأت بريطانيا الى سياسة التهدئة فاصدرت كتابا ابيض عام ١٩٣٨ اعلنت فيه تخليها عن مبدأ التقسيم ، ودعت فيه الى عقد مؤتمر مائدة مستديرة في لندن يمثل فيه زعماء العرب واليهود وتمثل فيه الدول العربية الاخرى ولكن بريطانيا لم تتمكن من ارضاء الطرفين ولذلك انتهى مؤتمر لندن الى الفشل واخذت الحكومة البريطانية على عاتقها مسئولية التقدم بحل لمشكلة فلسطين فاصدرت الكتاب الابيض سنة ١٩٣٩ .

الكتاب الابيض سنة ١٩٣٩

قررت الحكومة البريطانية في هذا الكتاب تحديد عدد اليهود الذين يسمح لهم بدخول فلسطين خلال السنوات الخمس التالية لصدور الكتاب بخمسة وسبعين الف يهودي يغلق بعدها باب الهجرة ولا يفتح الا بموافقة العرب كما اعلنت عزمها على التمهيد لانشاء دولة مستقلة لا عربية ولا يهودية على أن ترتبط برباط التحالف مع بريطانيا ؛

أما بشأن المشكلة الرئيسية الثانية وهي انتقال الاراضي من ايدي اصحابها العرب الى اليهود فقد صدر تشريع سنة ١٩٤٠ بناء على توصيات الكتاب الابيض قسم الاراضي الى ثلاث مناطق :

١ — منطقة يتوقف البيع فيها على تصريح خاص من الحكومة .

٢ — منطقة يسمح فيها ببيع الاراضي لليهود بدون قيد أو شرط .

٣ — منطقة يحظر فيها البيع بتاتا محافظة على ما بقي في يد العرب من أرض .

وكان من الطبيعي أن يرفض اليهود مقترحات الكتاب الابيض لانها لا تحقق امانيهم في اقامة دولة مستقلة ، ولا تفتح ابواب فلسطين على مصراعيها دون قيد أو شرط إمام الهجرة اليهودية ، ولذلك ساد الدوائر اليهودية في مختلف البلدان غضب عارم نتيجة لصدور الكتاب الابيض ، وتولت صحيفة «الشمس» نشر ردود الفعل لدى مختلف الطوائف اليهودية في جميع انحاء العالم التي اعترضت عليه ورات فيه مخالفة لصك الانتداب الذي كانوا يأملون من ورائه في اقامة الدولة ؛

وهاجمت الصحيفة بريطانيا وبدات تتحدث عن حق اليهود في فلسطين وبانه ليس لبريطانيا حق التدخل او التصرف فيها ، ومرة اخرى حاولت أن تثير العرب ضد قانون الاراضي مدعية أنه ليس في صالحهم لانه لن يمكنهم بعد ذلك الحصول على القروض من البنوك طالما أن البيع محظور في ٩٥٪ من اراضي فلسطين ، لان البنوك لا يمكنها اقراض المال على اشياء لا يمكن

بيعها .. واذا ما عجز الزارع عن الحصول على قروض بفوائد معتدلـــــة فسيعمدون الى الاقتراض من المرابين ، وستكون عاقبة هذه الحالة تحـول الاراضي الى المرابين على حين أن الحل العملي لهذه المسالة انما هو بيع جانب من الارض بثمن مرتفع لتحسين حالة الباقي .

المطالبة بدولة يهودية في فلسطين كلها :

وخلال الحرب العالمية الثانية كانت الصهيونية قد عزمت على انشـــاء كيان مستقل لليهود في فلسطين ، فاخذت تعد فرقا عسكرية مسلحة تحت ستار التطوع في صفوف الحلفاء استعدادا لذلك اليوم الذي يقررون فيه انتــزاع فلسطين من أيدي أصحابها وتكوين دولة لهم فيها او على الجزء الاكبر منها .

وبدات « الشمس » تبث الطمانينة في نفوس العرب ازاء تكوين الجيش اليهودي وحاولت ان تقنعهم بان ليس فيه ادنى خطر على الشرق او البلاد العربية ، بل انه سيكون على العكس من ذلك من عوامل زيادة الطمانينة في الشرق خصوصا بعد ان اتضح ان العرب ليسوا اقل استهدافا للخطر النازي من اليهود ، هذا بالاضافة الى ان الجيش اليهودي سيكون خاضعا لاشراف الحلفاء .

وفي نفس الوقت بدات المساومات والمحاولات من وراء الكواليس للضغط على الحكومة البريطانية واجبارها على انشاء الدولة اليهودية بعد انتهـــاء الحرب ، وقد كشفت صحيفة « الشمس » النقاب عن هذه المحاولات وتلـك النوايا المبيتة بالمذكرة التي بعثتها الوكالة اليهودية الى الحكومة البريطانية عام ١٩٤٤ وحددت فيها المطالب التالية :

١ — اعلان فلسطين كدولة يهودية بعد الحرب .

٢ — السماح للوكالة اليهودية بادخال المهاجرين وفق مقدرة البــلاد وطبقا لما تراه الوكالة لترقية مصادر البلاد الطبيعية .

٣ — مساعدة الوكالة على نقل يهود اوروبا بقرض يخصص لهذا الغرض

٤ — مطالبة المانيا بدفع تعويضات للشعب الاسرائيلي .

وبهذه المذكرة كشفت صحيفة « الشمس » بصراحة تامة حقيقة النوايا والاهداف الصهيونية التي كانت تسعى الى انشاء دولة يهودية على ارض فلسطين جميعها وليس مجرد انشاء انشاء وطن قومي كما كانت تزعم .

وحينما تاربت الجهود المبذولة لاقامة الجامعة العربية على الانتهاء طالبت الصحيفة بتنفيذ الاتفاق المبرم بين حاييم وايزمان والملك فيصل عام ١٩١٩ الذي ينص على اعطاء فلسطين لليهود في حالة قيام دولة عربية مستقلة ووحدة عربية وفلسطين من وجهة نظر الصحيفة لا تزيد على جزء صغير من المحيط العربي .

واذا كان اليهود قد سعوا خلال الحرب العالمية الاولى (١٩١٤ — ١٩١٨)

لانشاء كيان خاص بهم في فلسطين وركزوا اكثر نشاطهم في الدوائر السياسية البريطانية حتى تم لهم ما ارادوا باعلان تصريح بلفور ، فقد سعوا خلال الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ — ١٩٤٥) الى دعم هذا الكيان بانشاء دولة مستقلة لهم في فلسطين وركزوا اكثر نشاطهم في الدوائر السياسية الامريكية بعد العراقيل التي وضعتها بريطانيا في طريقهم ، وبعد ظهور امريكا كقوة كبرى في العالم . وقد بدات الحكومة البريطانية في استغلال الاهتمام الذي ابدته الحكومة الامريكية وسعت لاشراكها في حل قضية فلسطين ، فكان ان تقرر تشكيل لجنة تحقيق انجليزية امريكية لبحث المسألة الفلسطينية .

بدات « لجنة التحقيق الانجليزية الامريكية » اعمالها في مارس ١٩٤٦ وتابعت « الشمس » اعمال هذه اللجنة فنشرت نص الكلمات التي أدلى بهـا الزعماء الصهيونيون امامها والتي ركزت على ضرورة انشاء الدولة اليهودية ، والغاء كافة القيود امام هجرة اليهود واستيطانهم في فلسطين .

ونظرا لان اللجنة رات إنه لا ينبغي ان تتحول فلسطين الى دولة عربية او الى دولة يهودية لان هذا من شأنه قيام الاضطرابات والحروب الاهلية ، واوصت باستمرار الانتداب البريطاني عليها حتى يتم وضعها تحت وصايـة الامم المتحدة فان هذه التوصية لم ترض صحيفة «الشمس» التي اوضحـت ان المشكلة اليهودية ليست مشكلة المائة الف مهاجر التي اوصت اللجنة باصدار تصاريح هجرة لهم ، وانما هي مشكلة حكومة تنقص الشعب الاسرائيلي لحماية ورعاية شئونه .

ونظرا لرفض العرب واليهود لقرارات لجنة التحقيق الانجليزية الامريكية انتهت اعمالها الى الفشل ، لذلك دعت بريطانيا العرب واليهود الى مؤتمر لندن (١٩٤٦ — ١٩٤٧) الذي انفض ايضا دون الوصول الى اتفاق فاعلنت الحكومة البريطانية ياسها من المشكلة الفلسطينية وقدمتها الى الامم المتحدة لتفصل فيها .

وحاولت « الشمس » التشكيك في مسعى بريطانيا فذكرت ان مؤتمـر لندن كان خدعة تقصد بها اضاعة الوقت على مصر وفلسطين ريثما تفـرغ بريطانيا من بناء الاستحكامات التي تريدها في فلسطين ومنطقة السويس ، كما زعمت أن بريطانيا لن تعرض قضية فلسطين على الامم المتحدة الا بعد ان تفرغ من تحديد الاماكن التي ستقيم فيها الاستحكامات وبعد ذلك تقرر الامـر الواقع في الامم المتحدة .

ولكن حينما عرضت بريطانيا القضية على الامم المتحدة وبدات الاخيرة في بحثها وتقررت تشكيل لجنة التحقيق في مايو عام ١٩٤٧ بدات « الشمس » كعادتها تشيع جوا من الياس حول امكان حل المشكلة على ايدي الامم المتحدة والسبب ايضا هو أن بريطانيا لا تريد حلها ، لانها تخشى ان يؤدي تقدم فلسطين على ايدي اليهود الى اضعاف نفوذها وقلب خطتها التي ترمي الى تحويلها الى

قاعدة حربية .

وقد أصدرت لجنة الامم المتحدة توصياتها في ختام أعمالها التي نصت على تقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق :

١ — دولة عربية .

٢ — دولة يهودية .

٣ — منطقة دولية تشمل القدس والاماكن المقدسة .

على ان توضع الدولتان العربية واليهودية تحت وصاية الامم المتحدة خلال فترة انتقالية مدتها سنتان تستمر بريطانيا خلالها بالاضطلاع بادارة شئون البلاد على أن تسمح بدخول ١٥٠ الف مهاجر الى الدولة اليهودية ، وتلغى القيود المفروضة على نقل الملكية خلال فترة الانتقال .

قابل اليهود توصيات اللجنة بارتياح شديد ، ولكنهم أرادوا التخلص نهائيا من السيطرة البريطانية ، ولذلك بدأت « الشمس » في مطالبة بريطانيا بالجلاء عن فلسطين لانها لا تملك أداة تنفيذ هذه التوصيات ، وأن تترك البلاد وديعة في ايدي الامم المتحدة .

وحينما أعلن وزير المستعمرات البريطاني عزم بريطانيا على الجلاء عن فلسطين رحبت الصحيفة بهذا التصريح ، ولكنها حاولت ايضا التشكيك في صدقه بزعم إن بريطانيا ترمي من ورائه الى مجرد تهدئة العرب لانها تستعد لاحتمال نشوب حرب عالمية ثالثة وان الدليل على ذلك هو أن أمريكا تعهدت بدفع نفقات الجيش البريطاني في اليونان حتى لا يبرح الانجليز فلسطين .

كان الهدف من هذه المزاعم هو تخدير العرب من ناحية وحفز اليهود على استمرار مقاومتهم ضد الوجود البريطاني في فلسطين من ناحية اخرى هذا في حين كانت الهيئات اليهودية والصهيونية تستعد لذلك اليوم الذي تجلو فيه بريطانيا عن فلسطين ومع ذلك استمرت « الشمس » حتى اخر لحظة في التشكيك في عزم بريطانيا على الجلاء عن فلسطين الى أن نفذت بريطانيا انسحابها يوم ١٤ مايو سنة ١٩٤٨ فأعلن اليهود اقامة الدولة العبرية .

وبعد نشوب حرب فلسطين تجاهلت صحيفة « الشمس » هذه الحرب تماما واقتصرت المواد التي كانت تنشرها بعد إعلان انشاء دولة اسرائيل على امور تتعلق بالدين اليهودي فقط ومسائل اخرى لا علاقة لها بفلسطين خوفا من السخط العربي الذي بلغ ذروته في ذلك الوقت وكان هذا أمرا طبيعيا بعد أن تحقق ما كانت تصبو اليه .

اما مجلة « الكليم » فقد استنكرت بشدة قيام ما اسمته بالدولة المزعومة برغم ما كان معروفا عن تأييد القرائين الذين كانت تنطق باسمهم لاقامة وطن قومي في فلسطين وبدأت المجلة في التأكيد على أن القرائين مندمجين في أفراد الشعب المصري وللتدليل على صدق مشاعر اليهود نحو المصريين ابرزت المجلة مساهمة اليهود في الترفيه عن الجنود المصريين الذين شاركوا في حرب

فلسطين بنشر قوائم باسماء المتبرعين اليهود لهذا الغرض كما اعلنت جمعية الشبان القرائين على صفحات المجلة عن الغاء رحلة كان مقررا أن تقوم بها الى اهرام الجيزة بسبب الظروف التي كانت تمر بوا البلاد وربما يرجع سبب الالغاء الى خوف الجمعية من قوع اعتداء على أعضاء الرحلة في وقت كان يسود فيه الشعب المصري شعور بالسخط ازاء قيام اسرائيل .

ومن الجدير بالملاحظة أن الصحف اليهودية كانت تنظر الى نشاط اليهود في فلسطين على انه حركة وطنية فعندما اعتدى الارهابيون اليهود على عرب فلسطين في يونيه عام ١٩٤٦ وهدد المندوب السامي حاييم وايزمان من قيام الجنود البريطانيين بالرد بعنف اذا ما واصل الارهابيون اليهود اعمالهم لم يعجب « الشمس » دفع اليهود بصفة الارهاب ولذلك طلعت علينا بقولها ان الانجليز يسمون كل حركة وطنية شريفة بانها ارهابية وحاولت ان تشبه النشاط الارهابي الذي كانت تقوم به العصابات اليهودية في فلسطين بنشاط الحركة الوطنية المصرية ، فذكرت أن ما يقوله الانجليز عن اليهود قالوه عن مصر يوم هبت للدفاع عن حريتها ، فاعتقلوا سعد زغلول وسائر رجالات مصر المجاهدين وحاكموهم كمجرمين .

وحاولت الصحيفة أن تقنع قراءها بانه ليس ثمة ما يمكن أن يقال عنه ارهاب من جانب اليهود في فلسطين ، وانما تلك هي مجرد دعاية بريطانية تهدف الى تشويه صورة اليهود الذين يناضلون للتحرر من الاحتلال البريطاني البغيض ، مثلما يفعل سعد زغلول ورفاقه في مصر .

وقد وقفت الصحافة اليهودية في مصر خلال فترة هذه الدراسة موقفا مؤيدا ومدافعا عن جهود الصهيونية في فلسطين لانشاء دولة يهودية ، في حين وقفت موقفا معاديا من عرب فلسطين ، ولم تكف عن تنفيذ مطالبهم وتشويه موقفهم والقاء مسئولية الاحداث عليهم ، وتصويرهم بانهم هم الجانب القوي والمعتدي دائما ، في حين صورت اليهود على انهم الجانب الضعيف والمضطهد والمعتدى عليه دائما .

ونود هنا أن نشير ايضا الى ان الصحافة اليهودية حرصت خلال تناولها للمسالة الفلسطينية على تقديم الصهيونية واهدافها في صورة براقة رغبة في بث الطمانينة في النفوس والقضاء على كل معارضة لها سواء من جانب العرب او من جانب اليهود ، ولذلك نجد صحيفة « اسرائيل » تقدم الصهيونية على انها « ضرورة اجتماعية قضت بها سنن الاجتماع ، وانها ترمي الى ايجاد موئل لجماعة من المضطهدين من البشر ، اضطهدوا لاسباب عدة اهمها : افتراس القوي للضعيف والمنافسة على المنصب واخرها الرغبة في التخلص من الجنس السامي » .

اما صحيفة « الشمس » فقد اوضحت ان الصهيونية في مجيئها الى فلسطين انما ترمي الى غايتين نبيلتين هما :

١ ـــ خلاص اليهود من موقفهم الصعب في المجتمع الاوروبي ، والمجيء بهم الى هذا البلد ليحيوا تحت سمائه حياة حرة كريمة .

٢ ـــ العمل يدا واحدة مع عرب فلسطين بما يعود على الوطن القومي واهله بالخير لا فرق بين المسلم او المسيحي او اليهودي .

وحاولت « اسرائيل » اقناع اليهود الذين كانوا يعارضون الوطن القومي والصهيونية فذكرت لهم ان « الصهيونية حركة تبعث حياة الشعب الاسرائيلي من جديد في فلسطين حيث يصاحب هذا البعث بعثا روحيا فيضيف اسرائيل الى تراث الانسانية صفحات روحية سامية وبعثا عبقريا ومثلا عليا مضافة الى دينهم العظيم » .

ومن ناحية اخرى سعت الصحيفة الى تهدئة العرب وطمأنتهم فأكدت لهم ان عود اسرائيل وانشاء قومية يهودية ليس معناه ان يشتبك كل بالاخر ويسترد منه ارضا كانت له ذات عصر لانه لو كان الامر كذلك لما خصص اليهود ملايين الجنيهات لشراء الاراضي وزرعها وتعميرها وانه يكفي دلالة على حبهم للسلم انهم يشترون أملاكهم مرتين .

أما مجلة « الاتحاد الاسرائيلي » فقد نشرت في عام ١٩٢٧ تصريحا للمسيو ارياف سكرتير عام اللجنة التنفيذية الصهيونية اوضح فيه خلال تلك الفترة المتقدمة جزءا من نوايا الصهيونية الحقيقية في ان يكون لليهود في فلسطين كيان سياسي يتضح ذلك من قوله اننا نريد ان نعود الى فلسطين ارض ابائنا واجدادنا لنعيش فيها كأمة وكوحدة سياسية ولسنا ندري الان ماذا تكون الصيغة السياسية لهذه الامة في المستقبل ونحن لا نود ان نستأثر بفلسطين ولكنا نريد ان نخلق فيها وطنا وفي فلسطين متسع لنا وللعرب والذي يهمنا قبل كل شيء هو انشاء الوطن القومي .

ومع ذلك حاولت الصحيفة أيضا أن تبث الطمأنينة في نفوس العرب فنشرت تصريحا لسكرتير الشعبة السياسية بالوكالة اليهودية قال فيه انه ليس صحيحا اننا نريد أن ننشيء مملكة يهودية في فلسطين . . أو أن نخرج العرب من ديارهم ولكنا نريد ان يكون لنا بلد يستطيع ان يقصده كل يهودي يريد أن يعمل فيه حرا آمنا نريد أن نكون جميعا فلسطينيين يجمعنا والعرب وطن واحد وجنسية واحدة .

كانت هذه النغمة جزء من استراتيجية ترمي الى خداع وتضليل الرأي العام وصرفه عن الاهتمام بالقضية الفلسطينية حتى تنصرف الصهيونية الى المضي في خطتها وتتمكن من تثبيت أقدامها في فلسطين وما ان تم لها ذلك حتى وجدنا الصحافة اليهودية هنا في مصر تكشف النقاب عن حقيقة الاطماع الصهيونية في فلسطين وبعد أن كانت تتحدث عن ان اليهود لا يريدون الاستعمار بفلسطين او اقامة مملكة فيها وجدناها تتحدث صراحة عن ضرورة اقامة دولة يهودية مستقلة ليس في جزء من فلسطين فقط وانما عليها كلها .

ومرة اخرى عادت الصحافة اليهودية الى سياسة الخداع والتضليل فأخذت تتحدث عن الدولة اليهودية وكيف انها لن تشكل خطرا على العرب بل على العكس ستكون عونا لهم وسيكون بينهما صداقة وتحالف مثلما كانت تتحدث من قبل عن الهجرة اليهودية الى فلسطين وانها لا تشكل خطرا على سكان البلاد لان اليهود سيتعاونون مع العرب لانهاض وطنهم المشترك ويبدو أن الصحافة اليهودية وجدت من يصدقها وينخدع بأقوالها ولذلك استمرت طيلة هذه الفترة تمارس هذا الخداع وذلك التضليل دون خجل ودون ان تجد من يوقفها عند حدهـا .

الفصل الثامن

● تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين وبلاد الشام

كان موضوع الهجرة اليهودية الى فلسطين واحدا من اهم الموضوعات التي تناولتها الصحف والمجلات اليهودية في مصر .

ويرجع اهتمام هذه الصحف بذلك الموضوع الى ان الهجرة اليهودية الى فلسطين كانت تعتبر العامل الاساسي الذي يتوقف عليه تنفيذ وعد بلفور الصادر عام ١٩١٧ والذي ينص على اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين ، لهذا فقد اصبح لزاما على هذه الصحف أن تشجع اليهود على الهجرة الى فلسطين حتى يصبحوا اغلبية في تلك الارض العربية ويتسنى لهم تحقيق هذا المشروع .

لكن هجرة اليهود قوبلت بمعارضة قوية من جانب عرب فلسطين ومن الدول العربية الاخرى مما هدد بعرقلة هذا المشروع ، ومن هنا جاء دور الصحافة اليهودية في العمل من اجل القضاء على هذه المعارضة ببث الطمأنينة في قلوب العرب ، وتبصيرهم بالفوائد التي ستعود عليهم اذا شجعوا هذه الهجرة ولم يموقوا نشاط اليهود فذكرت صحيفة « الشمس » انه اذا كان المهاجرون يفكرون في تعمير فلسطين وتحويلها الى قطر ناهض ، فلا يعقل

انهم يقومون بهذا وهم يضمرون شيئا للمسلمين ، لان فلسطين ليست الا نقطة في بحر المسلمين والمهاجرون يعلمون هذه الحقيقة ، وهم لم يهاجروا الا لهذا السبب حيث ان وجودهم في محيط سامي عربي هو اضمن شيء لثبات اعمالهم وحسن مستقبلهم .

وازاء مخاوف العرب من شراء اليهود لاراضي فلسطين وما يترتب عليه من ضياع ممتلكاتهم ومن ثم ضياع وطنهم وعدم وجود مورد للرزق يعيشون منه بعد فقدانهم لاراضيهم بينت هذه الصحف ان الارض التي اشتراها اليهود انما هي لمجموعة من الاثرياء ومنهم الافندية او السوريون الذين يعيش معظمهم خارج فلسطين ولا يستفيدون من هذه الارض فسعوا لبيع اراضيهم لليهود ؛ وفيما عدا ذلك فان اليهود لن يمسوا اراضي عامة الفلسطينيين ، لان هناك ملايين الافدنة التي تصلح للزراعة يمكن لليهود ان يشتروها دون ان يمسوا اراضي الفلاح العربي .

وابرزت صحيفة « اسرائيل » ان الذين يعارضون الهجرة اليهودية الى فلسطين جماعة من الانتهازيين الذين يجدون في اثارة القلاقل مصلحة لهم فراغب النشاشيبي رئيس بلدية القدس مثلا خطب في حضرة المندوب السامي البريطاني مبينا الاضرار التي ستعود على فلسطين من اطـ ـق الهجرة اليهودية في حين انه باع ارضه للمهاجرين اليهود .

واستمرت الصحيفة في حملة التشكيك ضد المعارضين من العـــرب فتساءلت عن الاعمال المجدية التي قام بها اولئك المعارضون في سبيل تقدم فلسطين وترقيتها منذ انتهاء الحرب العالمية الاولى ، وتوصلت الى نتيجة مفادها انهم لم يؤسسوا شيئا بجانب المزارع والمبارك التي شيدها اليهود في اكثر انحاء فلسطين .

وعكفت الصحف اليهودية في مجال تفنيدها للمعارضة العربية على القول بأن قبول اللاجئين اليهود لن يضر احدا من سكان البلاد ، وانما على العكس من ذلك سيعود بأفضل الفوائد عليهم جميعا .

واشهدت «الشمس» على ذلك بما يحدث في امريكا فذكرت انه في كـل مدينة هناك ناد يطلق عليه اسم « نادي الاعانة » وان مهمة هذه النوادي العمل على مضاعفة عدد السكا ناعتقادا منهم ان زيادة السكان تؤدي بطبيعة الحال الى زيادة الرخاء حيث تبنى منازل جديدة ، وتقام مدارس اخرى وتمـد خطوط حديدية لم تكن موجودة ، وتمهد طرق جديدة للسيارات ، وهذا كلـه معناه زيادة النشاط الاقتصادي ، كذلك في بريطانيا اعلن وزير المستعمرات في مجلس العموم ان هجرة احد عشر الفا من اطفال اللاجئين الالمان الى بريطانيا قد اوجد عملا لخمسة عشر الف عامل بريطاني .

وهكذا ارادت الصحف اليهودية ان تقنع الجميع بان ادخال اللاجئين الـى فلسطين سيؤدي الى ازدهار العمران في البلاد ، لان تناقص السكان من اهم

اسباب قلة الايدي العاملة وما يترتب عليه من تعطل مرافق البلاد ، ثم انتقلت الى الحديث عن حاجة فلسطين الى مزيد من الايدي العاملة لان المصانع والمعامل لم تتمكن من الوفاء بتعهداتها لزبائنها لما تعانيه من عجز في الايدي العاملة .

وحاولت « الشمس» التقليل من شأن المعارضة العربية في فلسطين لهجرة اليهود بتقديم اسباب مختلفة عن دوافع العرب لمقاومة الهجرة هي في جملها دوافع ثانوية لا توجد الا عند اقلية من السكان — كما تزعم الصحيفة — منها ان ارتفاع اثمان الاراضي هو الذي ادى بمجموعة من العرب الى معارضة الهجرة حتى يستردوا ما باعوه ، ليحصلوا بعد ذلك على الاثمان المرتفعة .

اما صحيفة « اسرائيل » فاوضحت ان معارضة العرب لليهود لا يقوم بها سوى نفر ضئيل ، وهم كلما تقادم الزمن فقدوا نفوذهم ، لان الغالبية العظمى من السكان لا تمانع في العيش مع اخوانهم اليهود ونشرت الصحيفة ما وصفته بانه تصريح لاحد اعضاء الوفد الفلسطيني الذي سافر الى لندن عام ١٩٣٠ عقب حوادث المبكى للمطالبة بايقاف الهجرة اليهودية والغاء تصريح بلفور لتأكيد مزاعمها قال فيه : « اذا ترك اليهود البلاد فاننا سنصبح بؤساء اشقياء ، انني مسافر الى لندن وقلبي يضطرب خوفا من نجاحنا في مهمتنا » .

والصحيفة بنشرها لهذا التصريح ارادت ان تثبت للعرب جميعا ان الفلسطينيين في قرارة انفسهم يؤيدون الهجرة اليهودية ويدركون اثرها في ترقية البلاد ، ولكنهم حتى المسئولين منهم يعارضونها ظاهريا مجبرين ومدفوعين الى ذلك من ساسة فلسطين العرب اعضاء اللجنة التنفيذية العربية .

مما سبق يتضح لنا ان الصحافة اليهودية استهدفت من وراء التقليل من شأن المعارضة العربية لهجرة اليهود تحقيق هدفين :

١ — اسكات المعارضين العرب في كل مكان .

٢ — تشجيع اليهود على الهجرة الى فلسطين .

ولتحقيق هذين الهدفين لجأت الصحف اليهودية الى عدة اساليب اخرى لتشجيع الهجرة اليهودية ، فأخذت تتغنى بالتقدم الذي حققه اليهود في فلسطين في مجالات الزراعة والصناعة والتجارة والتقدم العلمي بعد ان كانت البلاد ارضا مواتا طوال قرون عديدة .

وفي مجال بيان فضل الهجرة اليهودية على تحقيق التقدم الزراعي في فلسطين ذكرت الصحف اليهودية ان المهاجرين قاموا بتجفيف المستنقعات وتمهيد الطرق وشق الترع وادخال احدث الطرق الزراعية فكانت النتيجة ان اصبحت مساحات واسعة تصلح لزراعة البرتقال واصبحت الصحراء تثمر الازهار والفاكهة .

وزعمت صحيفة « الشمس » ان العرب اثروا من اليهود ثراء ظاهرا لا

يحتاج الى برهان ، وانه يكفي تدليلا على ذلك انهم بنوا في عام ١٩٢٤ ما قيمته ٦٨ الف جنيه ، وفي عام ١٩٢٨ كان في استطاعتهم ان يبنوا ما قيمته نصف مليون جنيه .

ونشرت صحيفة « اسرائيل » مقالا لناحوم سوكولوف رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ذكر فيه ان فلسطين اصبحت تعيش على زراعتها وصناعتها وتجارتها حيث يؤلف البرتقال وحده ٤٥٪ من صادرات فلسطين اذ بلغ مجموع ما شحن للخارج من صناديق البرتقال في عام ١٩٣٢ مليونين و٨٥٧ الفا ، واستنتج من ذلك ان سيل مهاجرة اليهود على فلسطين هو الذي احدث هذه النهضة الزراعية عند العرب واليهود معا ، فقد بدأ العرب يشعرون باهمية الاساليب الزراعية التي احدثها اليهود ، وبعد ان كان هؤلاء العرب يملكون حتى عام ١٩٢٤ اثنين وعشرين الف دونم مزروعة برتقالا بلغت في عام ١٩٣٠ ثمانية وخمسين الف دونم .

ونشرت الصحيفة ايضا سلسلة طويلة من المقالات بعنوان « التوطن الزراعي في فلسطين واثره في البلاد » تطرقت فيها الى الحديث عن فضل اليهود في تحقيق تقدم الزراعة في فلسطين حتى من قبل انشاء الوطن القومي ، فذكرت أنه منذ احدى وخمسين سنة اشترى مؤسسو مزرعة « بتاح تكفا » من اثنين من الافندية خمسا وعشرين الف دونم من اراضي القرية المسماة « ملبس » ، وكان معظم هذه المساحة مستنقعات واعشابا برية واشواكا وغير ذلك مما امتص قوى الارض ، وكان الفلاحون يقولون عن « ملبس » في ذلك الحين « ان العصفور ينتف ريشه لدى مروره على حقولها » تعبيرا عن مدى سوء هذه المنطقة ، لكن مؤسسو « بتاح تكفا » عندما اشتروا هذه الارض لم يابهوا بهذه الاهوال ، واقبلوا عليها فأصلحوها وحولوها الى تربة منتجة تفيض باللبن والعسل والخير .

وقد ارادت الصحيفة بايرادها لهذه الرواية ان تبين مدى الخراب الذي اصاب ارض فلسطين على ايدي العرب من ناحية ، وان تؤكد مزاعمها القائلة بأن اليهود انما يشترون الاراضي غير الصالحة للزراعة من ناحية اخرى ، حتى تفند ادعاءات العرب ، وحتى تحصل على تأييد قرائها للهجرة اليهودية الى فلسطين والمشروعات الصهيونية فيها .

وبالاضافة الى ذلك حرصت صحيفة «اسرائيل» على التأكيد بأن العرب في فلسطين استفادوا من الهجرة اليهودية وان ابواب الرزق تفتحت أمامهم من الاعمال التي بدأوا يمارسونها لخدمة المستعمرات اليهودية ، فاضحوا يزرعون وينتجون لبيع انتاجهم الى تلك المستعمرات وانهم استطاعوا في نشاطهم الجديد هذا أن يكتسبوا خبرات جديدة وحديثة من اليهود افادتهم في مجالات الزراعة، وان ذلك ما كان يحدث لولا هجرة اليهود الى فلسطين .

ومن ناحية اخرى ركزت الصحف اليهودية على بيان فضل الهجرة اليهودية على تقدم فلسطين في مجال الصناعة وان التقدم الذي لحق بها لم يقتصر على المجال الزراعي دون غيره ، ولذلك نشرت « الشمس » بيانا ادلى به شموراك عضو الوكالة اليهودية زعم فيه ان اليهود انشاوا خلال الفترة من ١٩٢٠ — ١٩٤٠ نحو ١٦٠٠ مصنع ، فأوجدوا بذلك عملا لكثير من العمال، كما ان الاموال اليهودية التي انفقت على الصناعة تقدر بنحو ١٢ مليون جنيه ، وان انتاج هذه المصانع بلغ ما يقرب من عشرة ملايين جنيه في العام ، هذا في حين ما يزال في البلاد مجالا واسعا لمشروعات صناعية جديدة .

وذكرت صحيفة « الشمس » ايضا ان اليهود ادخلوا الى فلسطين بعض الصناعات التي تعد الاولى من نوعها في الشرق الاوسط مما سيسهم في سد احتياجات المنطقة من هذه الصناعات التي كانت تستوردها من الخارج .

وتحدثت الصحافة اليهودية ايضا عن فضل اليهود في تنشيط حركة السياحة في البلاد وتطوير وسائل النقل نتيجة لذلك ثم زيادة حصيلة الجمارك لدرجة ان بلغ ايراد مدينة حيفا الفقيرة من الجمارك في السنوات الاخيرة مليوني جنيه زعمت صحيفة «الشمس» ان اليهود دفعوا وحدهم منها ٤٥٪ وأن هذه الاموال استخدمت في اقامة المشروعات .

واوضحت صحيفة « اسرائيل » ان فلسطين اصبحت تحتل شهرةعالمية بفضل اليهود ، فقد اصبحت تجتذب اعدادا كبيرة من السياح غالبيتهم من اليهود الاوروبيين وبينهم كثير من الصهيونيين الذين يعنون كثيرا بزيارة الاماكن الاثرية والمدن والقرى ويهتمون بالوقوف على التقدم الباهر الذي قطعته البلاد على ايدي اليهود .

ومن بين الموضوعات التي طرقتها الصحف اليهودية في مصر لبيان فوائد هجرة اليهود الى فلسطين موضوع الاموال اليهودية التي ادخلها المهاجرون الى فلسطين لاستغلالها في اقامة المشروعات العمرانية والصناعات المختلفة وانه لولا وجود اليهود في فلسطين ما اهتم اصحاب رءوس الاموال اليهود في مختلف انحاء العالم بتزويدهم بالاموال التي تشكل العنصر الاساسي في تحقيق التقدم في فلسطين .

وقدمت الصحف اليهودية احصاءات مختلفة بالمبالغ التي ادخلها اليهود الى فلسطين باعتبار ان الارقام هي اصدق دليل على حقيقة ما تذكره فقد نشرت مجلة « الاتحاد الاسرائيلي » التقرير الذي قدمته الجمعية الصهيونية الى لجنة الوصايات في الامم المتحدة وجاء به ان اليهود صرفوا على فلسطين منذ عام ١٩١٧ حتى عام ١٩٢٤ سبعة وعشرون مليون ريال . وذكرت صحيفة « اسرائيل » ان اليهود ادخلوا الى فلسطين عام ١٩٤٢ اربعة ملايين جنيه ، وفي عام ١٩٣٣ ادخلوا اربعة ملايين ونصف مليون جنيه الى جانب الاموال المودعة في البنوك الفلسطينية والتي بلغت حتى سبتمبر نحو اربعة عشر مليون

جنيـــه .

ونشرت صحيفة « الشمس » عرضا لكتاب صدر في فلسطين يحوي تفصيلات عن الاموال التي تدفقت على فلسطين منذ الاحتلال البريطاني حتى نهاية عام ١٩٣٩ ، واستنتجت من تفصيلات هذا الكتاب ان سر التقدم السريع في فلسطين يرجع الى سيل الاموال الجارف الذي جره اليهود الى البلاد حيث بلغ مجموع الاموال التي وظفها اليهود خلال ٣٢ سنة في شراء الاراضـــي والزراعة والبناء وانشاء المعامل بلغ مائة وخمسة ملايين من الجنيهات .

ودابت الصحف اليهودية في مصر اثناء حديثها عن فضل هجرة اليهود على تقدم فلسطين على ترديد نغمة مفادها ان الهجرة حسنت احوال عرب فلسطين بأن رفعت اثمان الاراضي ومن ثم استخدموا ثمن الاراضي التي باعوها في رفع مستوى معيشتهم وترقيتها ففي عام ١٩٢٣ دخل خزائن العـــرب ١٤٨٨٨١ جنيها عن ٨٨٩٢ دونما ثم زاد هذا المبلغ عام ١٩٣٢ الى ٨٥٤٧٩٩ عن ٣٦٩٩١.دونما .

وزعمت صحيفة « الشمس » ان الهجرة اليهودية تؤدي الى زيادة عدد السكان العرب على عكس ما يدعيه معارضوها وذلك لان المهاجرين علمـوا العربي العيشة الصحية والنظام في حياته مما ادى الى انخفاض نسبة الوفيات فقد كان عدد العرب في فلسطين عام ١٩١٩ حوالي ٤٥٧ الف عربي ارتفع عام ١٩٢٢ الى ٥٩٠ الفا ثم وصل الى ٧٩٤ الفا عام ١٩٣١ .

ومن ناحية اخرى ذكرت صحيفة « اسرائيل » ان الاحصاء الذي قامـــت به السلطات البريطانية في فلسطين عام ١٩٣١ بعد تسع سنوات من الاحصاء الذي اجري عام ١٩٢٢ اثبت ان نسبة المواليد تزيد على نسبة الوفيات بـــ ٣٠٫٧ وان هذه الزيادة في المواليد لم يسبق ان سمع بها احد في بلد اخر من بلدان العالم .

وتناولت الصحافة اليهودية باسهاب اثر الهجرة في تحسين مستـــوى العمال العرب ورفعه فصورت حالة العمال العرب قبل مجيء اليهود على انها حياة بؤس وشقاء واذلال واستعباد حيث كان العامل العربي يعمل طيلة اليوم باجر لا يقيم اوده واود اسرته اما بعد هجرة اليهود الى فلسطين فقد نبـــه الهستدروت العامل العربي الى ان له حقوقا يجب ان يحصل عليها فكان من نتيجة ذلك ان تم تحديد ساعات عمله ورفع اجره ومنحه اجازات مرضيـــة واسبوعية باجر كما كفل له ولاسرته العلاج المجاني .

واهتمت الصحافة اليهودية ايضا بان تثبت للعرب ان الهجرة اليهودية الى فلسطين يمكن ان تعود عليهم في كل مكان بالخير وان تقدم فلســـطين

الحضاري سوف يشع بنوره على البلدان العربية الاخرى لان فلسطين ستكون همزة الوصل بين الحضارات الاوروبية الحديثة والشرق المتخلف فهـي ستنقل الحضارة الغربية الى فلسطين ومنها يمكن ان تنتقل هذه الحضارة الى اي مكان في العالم العربي ففلسطين كما تقول صحيفة « اسرائيل » مفتاح الشرق ومركزها بالنسبة للعالم العربي يشبه مركز بلجيكا في اوروبا ولهذا فانهـا ستؤدي دورا هاما في حركة التجديد والعمران في الشرق بفضل وجود اليهود فيهـا .

الفصل التاسـع

موقف الصحف اليهودية من القضايـا الوطنية المصرية

يرى المطلع على صحف اليهود العربية ان الشؤون المصرية لم تحظ الا باهتمام ضئيل من هذه الصحف ، اذ اقتصر تناولها على القضايا القوميـة المهمة : قضية الاستقلال او قضية الجلاء ، او سقوط حكومة حزب مـن الاحزاب ومجيء غيره الى السلطة او وفاة حاكم او زعيم وتولي غيره وفيما عدا ذلك لم تلق الشئون المصرية اي اهتمام ، وربما يرجع ذلك الى ان اهتمام الصحف اليهودية انصب أساسا على معالجة الشئون الطائفية والمسـائل اليهودية والصهيونية .

وقد وجد اليهود ان حزب الوفد كان حزب الاغلبية في مصر في ذلـك الوقت ، ولهذا اعلنوا انتماءهم لذلك الحزب حتى يخلقوا انطباعا لدى الحركة الوطنية المصرية التي كان يتزعمها الوفد بولائهم للوطن الذي يعيشون فيه ، ولهذا كان من المتوقع ان تدين صحافة اليهود بالولاء لهذا الحزب وهو ما اعربت عنه صحفهم في واقع الامر ، ولكن الدارس لموقف الصحف اليهودية من الاحزاب الاخرى يجد انها تجنبت الدخول في خصومة وانها سارت على سياسة تأييد من في الحكم حتى تكسب رضا وتأييد الجميع .

وفيما يتعلق بتناول الصحف اليهودية لقضايا الاستقلال والجلاء نجـد انها دأبت على تأييد الحركة الوطنية المصرية في نضالها ضد الاستعمار البريطاني

حتى تبدو امام المصريين بمظهر وطني يتفق مع ما كانت تردده عن انتمائهـا للمجتمع المصري من ناحية ، وحتى تثير جماهير الشعب المصري ضد بريطانيا جزاء مماطلتها في تنفيذ وعودها لليهود في فلسطين .

ففي عام ١٩٣٠ عندما عاد الوفد المصري برئاسة النحاس باشا من لندن بعد فشله في التوصل الى اتفاق مع بريطانيا بشأن السودان ، كان ابرز مـا اهتمت به صحيفة « اسرائيل » في هذا الصدد الاستقبال الحافل الذي قوبل به الوفد بعد عودته اذ وجدت فيه « ما ينطق بابلغ عبارة عن حرص مصر على حقوقها وسهرها عليها وتقديرها لمجاهديها » .

وعلى الرغم من الفشل الذي مني به الوفد المصري في مفاوضاته مـع الانجليز فان الصحيفة حاولت تصويره على انه نصر عظيم بدعوى ان المفاوض المصري فاز فوزا باهرا في اقناع بريطانيا بحقوق مصر حتى حمل المفاوض الانجليزي على الاقرار بها .

ودافعت « اسرائيل » عن حكومة الوفد ضد هجمات الاحزاب الاخرى التي انتهزت فرصة فشل الوفد في توقيع المعاهدة مع بريطانيا ووجهـت انتقاداتها الى الحكومة لكن الصحيفة وصفت حكومة الوفد بانها حكومة الشعب ولهذا فهي تحرص على مصالحه ولم تأل جهدا في سبيل خدمة الامة مـن الوجهتين السياسية والاقتصادية وان هذه حقيقة لا ريب فيها ولا ينكرها الا كل متعنت قلبه ساخط اعمى.

وانتهزت الصحيفة فرصة الازمة الدستورية التي وقعت في البلاد في يونيو عام ١٩٣٠ فالقت بالمسئولية على بريطانيا واوحت للمصريين بان لانجلترا اصبعا في هذه الازمة لان سياستها تقوم على العبث بدساتير الامم ومحاربة الشعوب والدليل على ذلك تعطيلها للدستور في مالطة ومن ثم حرضـت « اسرائيل » المصريين على الثورة ضد بريطانيا وطالبتهم بالبحث عن طريقة اخرى خلاف سياسة حسن التفاهم التي جربتها مصر مع انجلترا فلم تظفر منها بطائل ونصحت المصريين بان يقتدوا بالهند لان في ذلك ما يفيد في الحصول على حقوقهم كاملة ويجبر بريطانيا على احترام هذه الحقوق .

وبعد الازمة الدستورية استقالت وزارة مصطفى النحاس وخلفتهـا وزارة اسماعيل صدقي الذي اصدر فور توليه السلطة قرارا بتعطيل البرلمان لمدة شهر .

وعلى الرغم من تبني اسرائيل لسياسة الوفد ودفاعها فانها لم تدخـل في خصومة مع الحكومة الجديدة وبررت سخط الوفد عليها بانه نابع مـن حرصه على أن تبقى الحياة البرلمانية سليمة من العبث ونابع من اعتقاده بان تشكيل الحكومة الجديدة سلبه حقا مشروعا في تولي الحكم ما دامت لـه الاغلبية الساحقة في البرلمان .

ولكن بوادر انحياز الصحيفة الى الحكومة الجديدة وتخليها عن الوفـد

ظهر من معارضتها للفكرة التي بدأ الوفد ينشرها بين طبقات الشعب وتدعو الى عدم التعاون مع الحكومة الجديدة حتى تعود الحياة النيابية الى مجراها الطبيعي وذلك بحجة ان الوزارة الصدقية اعلنت حرصها على الدستور وأن صدقي باشا لا يضمر للدستور شرا وان فكرة عدم التعاون لا تصلح ألا في الجهاد ضد بريطانيا فقط لانها لن تفيد البلاد في شيء اذا استعملت ضد المصريين وانها لن تسفر الا عن الاضطراب وعرقلة الامور .

وفي عام ١٩٣٤ تشكلت حكومة جديدة برئاسة نسيم باشا فاستقبلتها صحيفة « الشمس » بالترحيب والابتهاج واعربت عن ارتياحها وسرورها بها بعد أن طالت فترة انتظار الامة ألى حكومة ترضى عنها وتمثل الاغلبية الساحقة للشعب بعد ان قامت وزارات عدة كان معظمها يرمي الى تسليط الاقلية على الاغلبية .

وبالمثل عندما اسند الى احمد ماهر رئيس الحزب السعدي تأليف الوزارة عام ١٩٣٩ اشادت الصحيفة بشخصية رئيس الحكومة الجديد وابدت ارتياحها ازاء خطته الاصلاحية ورغبته في تنمية الروح العسكرية وتقوية الجيش .

وهكذا نجد ان صحيفة « الشمس » اتبعت أيضا الاسلوب الذي مارسته « اسرائيل » في الترحيب بكل حكومة تأتي ، وتأييد كل خطة تتقدم بها .

وعندما تم التوقيع على معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا هللت « الشمس » لها ووصفتها بأنها معاهدة الاستقلال لان مصر فازت بمقتضاها بحريتها واستقلالها كما امتدحت مصطفى النحاس رئيس الحكومة الوفدية ولقبته برجل المعاهدة ورجل التوقيع .

وعلى الرغم من أن بعض الاصوات ارتفعت في مصر تنتقد المعاهدة وتبين أوجه الضعف فيها فان الصحيفة هبت تدافع عن المعاهدة متعللة بأن الوفد الذي قام بالمفاوضة كان يمثل البلاد أحسن تمثيل ولو أنه كان باستطاعته ان يحصل من بريطانيا على شيء اكثر مما حصل عليه لما توانى .

وطالبت « الشمس » الحكومة بعدم اقامة وزن لترهات المتشائمين وتوجيه اهتمامها الى شؤون البلاد الداخلية بعد ان وضعت المعاهدة حدا لحياة الجهاد والنزاع .

وعلى عكس ما كانت تكتبه صحيفة « اسرائيل » من تحريض للمصريين على الثورة ضد بريطانيا نجد أن صحيفة « الشمس » تتحدث بعد موافقة مجلس النواب المصري والحكومة على المعاهدة عن حاجة البلاد الى الاستقرار السياسي حتى تنصرف الجهود الى ترقية النواحي الثقافية والاجتماعية والصناعية .

وربما يرجع موقف الصحيفة هذا الى انها لم ترغب في اغضاب حزب الوفد لانه هو الذي توصل اليها ولذلك أعلنت تأييدها للمعاهدة وسلطت

الاضواء على الاحتفالات التي اقامتها الطائفة اليهودية ابتهاجا بهذه المناسبة .

وهناك مثال اخر على الموقف المتلون للصحافة اليهودية ازاء حزب الوفد وبقية الاحزاب المصرية فقد اعلنت صحيفة « التسعيرة » فور صدورها انتماءها لحزب الوفد باعتباره صاحب الفضل في صدورها ولذلك اهتمت بأخباره واخبار زعيمه مصطفى النحاس ولكن بمجرد خروج الوفد من الحكم عام ١٩٤٤ انقلبت الصحيفة عليه وشاركت في الحملة الدعائية التي كانت تشنها عليه الاحزاب الاخرى فذكرت ان النحاس استخدم الحكم لنفع الاقرباء والاصهار والمحاسيب وقهر الخصوم السياسيين لمجرد التشفي والانتقام .

وبررت الصحيفة خروجها على الوفد بقولها انها لم تكن تعلم بهذه الفضائح ثم ذكرت أن ما أثار غضبها على الوفد بدرجة كبيرة هو ما أشيع عن تحدي النحاس لجلالة الجالس على العرش مما جعلها تؤمن بفساد حكم الوفد ولم يسعها الا ان تتبرأ منه مع الامة كلها لتكون مع الامة كلها مع جلالة الملك الصالح وحكومته النزيهة .

وبدات « التسعيرة » بعد ذلك في تملق الحكومة الجديدة واسبغت عليها من صفات الديمقراطية ما ليس له حدود فوصفت رئيسها احمد ماهر بأنه رجل عظيم وحاذق وصادق ومخلص وصريح وظل هذا هو اسلوب الصحيفة مع كل الحكومات الى أن عاد الوفد من جديد الى السلطة عام ١٩٤٩ فعادت الصحيفة وفدية ودافعت عن الوفد بل ان صاحبها اصدر صحيفة وفدية عام ١٩٥٠ هي الصراحة لتكون لسانا ناطقا للوفد ومدافعا عنه .

وكان الموقف الوحيد الذي واظبت الصحف اليهودية على اتخاذه دون تغيير هو موقفها من ملوك مصر فقد داومت هذه الصحف على اعلان ولائها للملك فؤاد والملك فاروق من بعده واسبغت عليهما عظيم الصفات ولم تتطرق الى توجيه اي انتقاد لهما بل كانت ترى في كل عمل وكل تصرف يأتيانه حكمة ووطنية صادقة .

وهكذا يتضح أن تناول الصحف اليهودية للشؤون المصرية كان يقتصر على المناسبات الوطنية والقضايا الهامة التي جاولت هذه الصحف الظهور من خلالها بمظهر وطني ولكنها حرصت في الوقت نفسه على ألا تغضب ايسة هيئة أو حزب ولذلك اتبعت سياسة الحياد تارة وسياسة الممالاة تارة اخرى كي ترضي الجميع وبذلك استطاعت أن تكسب صداقة الحكام وأن تقربا اليهود من السلطة .

بيد انه من الملاحظ ان الصحافة اليهودية تجنبت الخوض في المشاكل التي كانت تعاني منها جماهير الشعب المريضة كانتشار الرشوة والفساد

وتفشي الفقر والجهل والمرض بين المواطنين وغيرها من المشكلات التي كان الخوض فيها يعرضها لنقمة الحاكم ولكنها ابتعدت عن هذا السبيل ابتغـــاء مرضاته .

●

● الخاتمة ●

رأينا خلال هذه الدراسة كيف ان اليهود تمتعوا بوضع اقتصـــــادي واجتماعي وسياسي ممتاز داخل المجتمع المصري ، وبرغم ذلك رأينا كيـف افلحت الحركة الصهيونية في استقطاب نسبة كبيرة منهم للعمل في صفوفها من اجل تحقيق الهدف الصهيوني الاسمى الذي كان يتمثل في اقامة دولـــــة يهودية على ارض فلسطين .

بيد ان الاهم من ذلك انه اتضح خلال هذا البحث ايضا ان الصهيونية اولت اهتماما كبيرا لمصر وسعت الى كسب تأييدها للجهود التي كانـــــت تبذلها في فلسطين و الى تحييدها على الاقـــل بالنسبـــة للصراع العـــربي الصهيوني ويرجع هذا الاهتمام الى ادراك الحركة الصهيونية لوزن مصـــر داخل العالم العربي والاسلامي وقربها من فلسطين ووجود طائفة يهوديـــة ثرية بها يمكن ان تمد يد العون للمهاجرين اليهود الذين يقومون بمهمة انشاء الوطن القومي .

وقد ادركت الصهيونية العالميـــــة منذ بداية نشاطها اهمية الكلمـــة وخطورتها كسلاح لا يقل في اهميته عن اسلحة الحروب الفتاكة في كســـــب المعارك وتحقيق النصر ولذلك نجد انها اعتمدت في مرحلتها المبكرة علـــــى الدعاية باعتبارها السلاح الوحيد الذي كان مسموحا لها باشهاره .

وكان يتعين على الحركة الصهيونية من أجل تحقيق أهدافها ان تخوض معركتين : معركة في العالم الغربي من اجل الحصول على تأييد ومساندة الدول الكبرى لاهدافها ومعركة في الشرق للقضاء على المقاومة العربية للهجرة اليهودية الى فلسطين وللجهود التي كانت تبذلها لانشاء دولة يهودية فيها .

ونظرا لاهمية مصر في المنطقة حاولت الصهيونية ان تجعل منها مركزا للنشاط والدعاية الصهيونية في الشرق وقد ظهرت بوادر هذا الاهتمام كما راينا منذ انعقاد المؤتمر الصهيوني الاول عام ١٨٩٧ حينما بدأ يتدفق على البلاد سيل من الشخصيات اليهودية المعروفة بانتماءاتها الصهيونية والتي نشطت الى انشاء المنظمات الصهيونية والتعريف بالحركة الصهيونية وأهدافها وكانت الصحافة هي من ابرز الوسائل التي أعتمد عليها هؤلاء في دعايتهم ولذلك بدانا نشهد ظهور عدد كبير من الصحف الصهيونية التي صدرت بلغات متنوعة لمواجهة الاختلاف الذي كان يغلب على افراد الجاليات اليهودية سواء في مصر او في البلدان العربية الاخرى اذ ان توزيع هذه الصحف لم يكن يقتصر على مصر وانما امتد ليشمل الدول المجاورة .

والملاحظ ان اهتمام الصحافة اليهودية التي صدرت في مصر تركز على تحقيق هدفين :

الاول : كسب تأييد الراي العام المصري بصفة خاصة والراي العام العربي بصفة عامة لمشروعات الصهيونية في فلسطين .

الثاني : مقاومة اندماج اليهود في المجتمعات العربية وحشدهم وراء الصهيونية وتوظيف امكانياتهم لخدمة أهدافها .

وفيما يتعلق بالهدف الاول سعت الصحافة اليهودية الى كسب القوى السياسية والثقافية والاجتماعية في مصر الى جانب اليهود سواء باقامة علاقات صداقة معها او بمحاولة اقناعها بعدالة موقف اليهود من خلال تقديم صورة مشوهة عن حقيقة الاوضاع في فلسطين . فقد بالغت هذه الصحف في وصف الخراب والدمار الذي أصاب البلاد المقدسة على أيدي عرب فلسطين كما بالغت في وصف التقدم الذي لحق بها على أيدي اليهود .

ومن ناحية أخرى قامت الصحافة اليهودية بتشويه الحركة الوطنية الفلسطينية وصورت زعماءها على انهم قلة من الخونة وذوي الاطماع والمصالح الخاصة تستخدمهم الدول الأجنبية آداة للوصول الى أطماعها في فلسطين وحاولت ايهام قراءها بأن الشعب الفلسطيني يرحب باليهود وأن الخلافات التي تثور بينهم أحيانا هي من تدبير القوى الاجنبية التي تسعى للحيلولة دون تفاهمهما انطلاقا من المبدأ الاستعماري المعروف فرق تسد .

وبالاضافة الى ذلك ركزت الصحافة اليهودية حديثها حول الفوائد التي ستعود على فلسطين وعلى البلاد العربية المجاورة من الهجرة اليهودية

بدعوى ان المال والعقل اليهودي سيتعاون مع العرب للنهوض ببلادهم هذا في حين ستكون فلسطين مركزا حضاريا يشع بنوره على بلدان الشرق المتخلفة .

وقد لجأت الصحافة اليهودية الى الحديث عن الصلات التي تربط بين اليهود والعرب كمدخل تصل به الى قلوب قرائها لاستمالتها للعطف على اليهود كما حاولت التاكيد لهم بأن اليهود في عودتهم لا يضمرون شرا للعرب وانما يتطلعون للعيش مع ابناء جنسهم السامي ويتطلعون الى التعاون معهم لانشاء حضارة سامية مشتركة .

اما بالنسبة للهدف الثاني فسنجد أن الصحافة اليهودية اهتمت بخلق وعي قومي يهودي كوسيلة الى الحيلولة دون اندماجهم في المجتمعات التي يعيشون فيها ولذلك ادخلت في روع قرائها من اليهود انهم رغم تشتتهم في بلدان العالم يشكلون امة واحدة وقومية واحدة .

وحتى يمكن للصحافة اليهودية خلق وعي قومي يهودي كما نص عليه مؤتمر بال دعت اليهود الى الاهتمام بدينهم ودراسة توراتهم التي تشتمل على المفاهيم التي بنت عليها الصهيونية سياستها وخطتها . كما حاولت اقناع اليهود بأن حياة الاقليات التي يعيشون فيها لا جدوى منها وأن الحل الوحيد لمشكلتهم يكمن في الحل الذي تقترحه الصهيونية باقامة دولة خاصة باليهود في فلسطين .

وحتى تثير اهتمام اليهود بما يقال له المسألة اليهودية قامت الصحافة اليهودية بالدعوة الى اعادة كتابة التاريخ اليهودي لابراز الاضطهادات التي ينطوي عليها كما دعت الى خلق ادب يهودي باللغة العربية يكون سبيلا الى اثارة عواطف الجماهير اليهودية ويحفزها الى الانضواء تحت اللواء الصهيوني .

ونظرا لان الصهيونيين كانوا يعتبرون اللغة العبرية واحدا من اهم مقومات القومية اليهودية بذلت الصحف اليهودية في مصر مجهودات كبيرة لنشر وتعليم هذه اللغة بين جمهور الطائفة حتى يقبلوا على قراءة كتابهم المقدس وحتى تسهم في حل مشكلة تعدد اللغات التي كانت تواجه الحركة الصهيونية .

وقد تمكنت الصحافة اليهودية من تحقيق دعوتها الى توحيد الطوائف اليهودية عندما اتحدت طائفتا الاشكنازيم والسفارديم في القاهرة عام ١٩٤٧ وانضمت اليها طائفة الاسكندرية في نفس العام مما يعد دليلا على نجاح الصحافة اليهودية في خطتها الرامية الى ايقاظ الوعي القومي اليهودي .

ومن الملاحظ أن استراتيجية الدعاية الصهيونية في مصر مرت بمراحل

متعددة اتسمت كل منها بسمات معينة وفقا لظروف الفترة التي مرت بها ويمكننا ان نميز في هذا المجال المراحل التالية :

١ ـ مرحلة ما قبل وعد بلفور :

اتسمت الدعاية الصهيونية خلال هذه المرحلة بالحذر والتردد حرصا على الوضع الممتاز الذي كانت تحتله الطائفة اليهودية في مصر وخوفا من اثارة خواطر المصريين ضد اليهود او اثارة اليهود المصريين ضد الصهيونية التي لم تكن تحظى بالقبول منهم خلال هذه الفترة ولعل في مسعى حاخام اكبر الطائفة لمصادرة صحيفة نهضة اسرائيل عام ١٨٩٠ التي كانت تصدر بالعربية وتحمل بذور الفكرة الصهيونية خير دليل على ذلك ولهذا نجد ان القائمين على امر الدعاية الصهيونية يلجأون الى اصدار صحفهم بلغات اجنبية تجهلها غالبية جماهير الشعب المصري حتى يمكنهم ان يبثوا دعوتهم الى الصهيونية واهدافها بصراحة ووضوح .

اما فيما يتعلق بالصحافة اليهودية العربية فقد تجنبت الخوض في المسائل الصهيونية في حين ركزت جهودها على خلق الوعي القومي اليهودي من خلال اهتمامها بالمسائل الدينية والشؤون الطائفية واللغة العبرية ومن خلال اهتمامها ايضا بخلق رابطة قومية تربط يهود مصر باليهود في باقي انحاء العالم .

مرحلة ما بعد تصريح وعد بلفور :

تميزت هذه المرحلة بالجراة والشجاعة من جانب الحركة الصهيونية في مصر بعد وضوح الرؤية ووقوف بريطانيا الى جانب الاهداف الصهيونية ولهذا انتقلت الدعاية الصهيونية من مرحلة الدعوة الى اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين الى المطالبة بدولة يهودية مستقلة ومن مرحلة الدفاع الى مرحلة الهجوم .

وقد اعتمدت الصحافة اليهودية في اسلوبها الدعائي الموجه الى الجمهور العربي على الاسس التالية :

١ ـ اعادة طبع المواد التي كانت تنشر في الصحافة العربية او الاجنبية وتنطوي على تأييد لوجهة النظر الصهيونية .

٢ ـ الاستعانة بكتابة من المسلمين ممن يؤيدون اليهود او يعبرون عن وجهات نظر تخدم المصالح اليهودية .

٣ ـ الاستشهاد بآيات من القرآن الكريم وبالمأثور من اقوال الزعماء العرب لتأكيد ما تدعو اليه .

٤ — تشويه صورة الخصم الذي تتجه اليه الدعاية للقضاء عليه وعلى مواقفه .

٦ — اتباع اسلوب الاغراق ولكن على دفعات متلاحقة للقضاء على فكرة معينة او التقليل من شأن تحرك معين .

٧ — قامت الصحافة اليهودية باطلاق موضوعاتها مباشرة ودون موارية خصوصا عندما كانت تتحدث عن حق اليهود في فلسطين او عن الوطن القومي والدولة اليهودية ولكنها كانت تلجأ الى الخداع والتضليل في تقديم اسانيدها .

٨ — الاسراف في استخدام الالفاظ البراقة والطنانة مثل القومية والوطنية واضفائها على الحركة الصهيونية .

واستخلاصا من كل من سبق نرى ان الدعاية الصهيونية من خلال الصحافة اليهودية في مصر كانت تدور في الاطار الذي رسمته المنظمة الصهيونية العالمية والوكالة اليهودية فقد كان فرع المنظمة الصهيونية في مصر يصدر صحيفة ناطقة بلسانه هي « المجلة الصهيونية » وكان فرع منظمة التصحيحيين التي تشكلت داخل المنظمة الصهيونية بزعامة جابوتنسكي يصدر صحيفة اخرى في مصر هي « الصوت اليهودي » وكانت هاتان الصحيفتان بمثابة لسان الحال الرسمي للمنظمة الصهيونية العالمية في مصر .

وربما تدل طبيعة النشاط الصهيوني في البلاد على مدى جهل المسؤولين المصريين بابعاد الحركة الصهيونية واهدافها نظرا لان الدعاية الصهيونية هنا في مصر كانت تحظى بصفة رسمية وربما قد لا نجافي الحقيقة اذا قلنا انها كانت تحظى باعتراف السلطات المصرية حيث أن صدور صحف يهودية في مصر كان يتطلب موافقة السلطات وفقا لما ينص عليه قانون المطبوعات واذا كانت بعض هذه الصحف قد تحايلت على القانون وصدرت في بادىء الامر كصحف طائفية دينية الا اننا لا نعتقد ان المجلة الصهيونية اتبعت هذا الطريق اذ تقول المجلة في صدرها انها لسان حال المنظمة الصهيونية في مصر، كما ان السلطات منحت موافقتها لصاحب مجلة « المنبر اليهودي » رغم علمها بانه من المؤمنين بالفكرة الصهيونية وبانه يعمل على ترويجها ولم يكن مستبعدا ان يستخدمها كمنبر لترويج افكاره .

ولعل النجاح الذي احرزته الصهيونية في مصر كان ايضا نتيجة لظروف مصر السياسية وحقيقة وقوعها في قبضة الاستعمار البريطاني ووجود سلطة من الاقطاعيين والاجانب تقوم بتصريف امورها ولكن بالرغم من ذلك سرعان ما ادرك الراي العام المصري خطورة الحركة الصهيونية وحقيقة اهدافها ودفع قادته الى اتخاذ موقف مؤيد لقضية فلسطين تجلى في اشتراك الجيش المصري في حرب ١٩٤٨ .

قائمة بأسماء الصحف اليهودية التي صدرت في مصر

اسم الصحيفة	اسم صاحبها	سنة الصدور
ابو نظارة	يعقوب بن صنوع	١٨٧٧
الكوكب المصري	موسى كاستلي	١٨٧٩
الميمون	موسى كاستلي	١٨٨٩
الحقيقة	فرج مزراحي	١٨٨٩
نهضة اسرائيل		١٨٩٠
اليانصيب	دافيد يارحي	١٨٩٤
خط الحياة	سليم رومانو	١٨٩٥
النصيب	روفائيل كوهين	١٨٩٨
العائلة	استير مويال	١٨٩٩
التهذيب	جمعية بركوخبا الصهيونية	١٩٠١
الرسول الصهيوني	جمعية بركوخبا الصهيونية	١٩٠١
مباسرت زيون	جمعية بركوخبا الصهيونية	١٩٠٢
مصر	اسحق كارمونا	١٩٠٤
الارشاد	فرج سليم ليشع	١٩٠٨
اسرائيل		١٩١٠
المجلة الاسرائيلية لمصر	جمعية اصدقاء الثقافة العبرية	١٩١٢
النهضة اليهودية		١٩١٢
المجلة الصهيونية	المنظمة الصهيونية بمصر	١٩١٨
إسرائيل	الطائفة الاسرائيلية بمصر ثم ماتيلدا موصيري	١٩٢٠
الاخبار الماسونية	موسى جرونشتين	١٩٢١
الفجر	لوسيان سكيوتو	١٩٢٤
فلسطين		١٩٢٤

الحريـــة	ليون كاسترو	١٩٢٤
الاتحاد الاسرائيلي	جمعية الاتحاد للاسرائليين القرائين	١٩٢٤
الحياة اليهودية		١٩٢٦
التلفـــون	ايلي عزرا كوهيلا	١٩٢٧
فلسطين		١٩٢٧
الوطن		١٩٢٨
البريد اليهودي		١٩٢٨
المدد اليهودي		١٩٢٨
انفورماسيون	ايلى بوليتي	١٩٢٩
الشمس	سعد يعقوب مالكي	١٩٣٤
الصوت اليهودي	البير سترانسلسكي	١٩٣١
قديمـــا		١٩٣٦
المنبر اليهودي	مندل كلكشتين	١٩٣٦
الشبان القرائين	جمعية الشبان القرائين	١٩٣٧
التسعيرة	البرت مزراحي	١٩٤٤
الكليم	جمعية الشبان القرائين	١٩٤٥
الكاتب المصري	اخوان هراري	١٩٤٥
المصباح	البرت مزراحي	١٩٤٦
الصراحـــة	صول مزراحي	١٩٥٠

مصادر البحث ومراجعه

أولا المصادر العربية

أ ـ الصحف والمجلات محل الدراسة :

١ ـ صحيفة الحقيقة من ١٨٨٩ ـ ١٨٩٢

٢ ـ مجلة العائلة فى ١٦ / ٣ و ٣١ / ٥ و ٤ / ٧ / ١٩٠٤

٣ ـ مجلة التهذيب من ١٩٠١ ـ ١٩٠٣

٤ ـ صحيفة اسرائيل من ١٩٣٠ ـ ١٩٣٤

٥ ـ مجلة الأخبار الماسونية من يناير إلى يونيه ١٩٢١

٦ ـ مجلة الاتحاد الاسرائيلى من ١٩٢٤ الى ١٩٢٩

٧ ـ مجلة التليفون فى ١٣ و ٢٧ / ٤ / ١٩٢٧

٨ ـ صحيفة الشمس من ١٩٣٤ الى ١٩٤٨

٩ ـ صحيفة التسعيرة من ١٩٤٤ الى ١٩٥٠

١٠ ـ مجلة الكليم من ١٩٤٥ الى ١٩٥٤

١١ ـ مجلة الكاتب المصرى من ١٩٤٥ الى ١٩٤٨

١٢ ـ مجلة الصباح ١٩٤٦

١٣ ـ صحيفة الصراحة من ١٩٥٠ ـ ١٩٥٣

١٤ ـ مجلة الشبان القرائين ١٩٣٧

ب ـ وثائق غير منشورة :

١ ـ خطاب من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية إلى مدير المطبوعات بشأن جريدة الشمس بتاريخ ١١ / ٥ / ١٩٤٨

٢ ـ قرار الرقيب العام بتعطيل صحيفة الشمس بتاريخ ١١ / ٦ / ١٩٤٨ .

٣ ـ مذكرة عن مجلة التسعيرة بتاريخ ١٦ / ١١ / ١٩٤٤

٤ ـ تقرير لادارة عموم الأمن العام عن ألبير مزراحى بتاريخ ١٣ / ٧ / ١٩٤٨

٥ ـ تقرير مصلحة الجمارك المصرية بخصوص المخالفات التى ارتكبت بمعرفة جريدتى التسعيرة والمصباح لصاحبها ألبرت مزراحى بتاريخ ٢١ / ٨ / ١٩٤٨

٦ ـ اخطار من وكالة مصر للصحافة إلى ادارة المطبوعات بتاريخ ٢٩ / ١ / ١٩٥١

٧ ـ اخطارات من مجلة الكليم إلى ادارة المطبوعات فى ١٥ / ٤ / ١٩٥٦ و ٢٨ / ٢ / ١٩٥٧

٨ ـ وثائق وزارة الخارجية البريطانية :

وثائق رسمية :

١ ـ قرار وزارى ٦٤ لسنة ١٩٥٤ بتاريخ ٢٦ / ٥ / ١٩٥٤ بشأن تعطيل بعض الصحف المصرية .

ثانيا : المراجع العربية

أ ـ الصحف والمجلات التي تناولت موضوعات تتعلق بموضوع البحث :

١ ـ صحيفة مصر الفتاة فى ٢٩ / ٧ / ١٩٣٩

٢ ـ صحيفة الكتلة فى ٧ / ٢ / ١٩٤٦

٣ ـ صحيفة الأخبار فى ١٦ / ٤ / ١٩٥٤

٤ ـ صحيفة أخبار اليوم فى ١٩ / ٦ / ١٩٤٦ .

ب ـ الكتب :

د . ابراهيم عبده : أبو نظارة ـ مكتبة الآداب ـ الطبعة الأولى ١٩٥٣

أبو الفتوح رضوان : تاريخ مطبعة بولاق ـ المطبعة الأميرية ـ القاهرة ١٩٥٣

أحمد حسين : نصف قرن مع العروبة وقضية فلسطين ـ المكتبة العصرية ـ صيدا بيروت ١٩٧١

أحمد شفيق : مذكراتى فى نصف قرن ـ الجزء الأول ـ مطبعة مصر ١٩٣٤

أحمد غنيم وأحمد أبو كف : اليهود والحركة الصهيونية فى مصر ـ دار الهلال ـ القاهرة ١٩٦٩

اسرائيل والفنون : تاريخ اليهود فى بلاد العرب فى الجاهلية وصدر الاسلام مطبعة الاعتماد القاهرة ـ ١٩٢٧

الياس الأيوبى : تاريخ مصر فى عهد الخديو اسماعيل باشا ـ مطبعة دار الكتب المصرية ـ القاهرة ١٩٢٣

اميل توما : جذور القضية الفلسطينية ـ مركز الأبحاث الفلسطينى ـ بيروت يونية ١٩٧٣

حافظ محمود : الاعلام العربى والاعلام الصهيونى ـ مركز البحوث والدراسات العربية ـ القاهرة ١٩٧٣

د . حامد عبد الله ربيع : دراسات أساسية حول الصهيونية واسرائيل ـ ادارة الشئون العامة والتوجيه المعنوى لجيش التحرير الفلسطينى ـ الطبعة الأولى ـ دمشق ١٩٧٣ .

حامد محمود : الدعاية الصهيونية ـ مكتبة الأنجلو ـ القاهرة .

خالص عزمى : الصحافة الصهيونية ـ مطبعة دار الجمهورية ـ بغداد ـ فبراير ١٩٦٨

د . خيرية قاسمية : النشاط الصهيونى فى الشرق العربى وصداه ـ مركز الأبحاث الفلسطينى ـ بيروت ١٩٧٣

د . رفعت السعيد : اليسار المصرى والقضية الفلسطينية ـ دار الفارابى ـ بيروت ١٩٧٤

د . سامى عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال البريطانى ـ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٨

شاهين مكاريوس : تاريخ الاسرائيليين ـ مطبعة المقتطف بمصر ١٩٠٤

طارق البشرى : الحركة الوطنية فى مصر ـ الهيئة العامة للكتاب ـ القاهرة ١٩٧٢

عبد العظيم رمضان : صراع الطبقات فى مصر ١٨٣٧ ـ ١٩٥٢ ـ المؤسسة العربية للدراسات والنشر ـ بيروت ١٩٧٨ .

عبد المنصف محمود : اليهود والجريمة ـ المجلس الأعلى للشئون الاسلامية ١٩٦٧ .

عبد الوهاب المسيرى : موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ـ مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الأهرام ١٩٧٤ .

على ابراهيم عبده وخيرية قاسمية : يهود البلاد العربية ـ مركز الأبحاث الفلسطينى ـ بيروت ـ يونية ١٩٧١

غسان كنفانى : فى الأدب الصهيونى ـ مركز الأبحاث الفلسطينى ـ بيروت نوفمبر ١٩٦٧

فتحى الرملى : الصهيونية أعلى مراحل الاستعمار ـ القاهرة ١٩٥٦

فيليب دي طرازى : تاريخ الصحافة العربية ـ الجزء الثالث ـ المطبعة الأدبية ـ بيروت ١٩١٣
محمد حسين هيكل : مذكرات فى السياسة المصرية ـ ثلاثة أجزاء ـ دار المعارف ـ القاهرة .
محمد عبد الرءوف سليم : تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ـ معهد البحوث والدراسات العربية القسمين الأول والثانى .
محمد طلعت حرب : علاج مصر الاقتصادى ـ مطبعة الجريدة ـ القاهرة ـ نوفمبر ١٩١١
محمد عزة دروزه : القضية الفلسطينية فى مختلف مراحلها ـ الجزء الأول ـ المكتبة العصرية ـ صيدا ـ بيروت ١٩٥٩
محمود صالح منسى : تصريح بالفور
نخبة من الشباب الفلسطينى : مذكرات وايزمان ـ مطبعة نهضة مصر ـ القاهرة ١٩٥٤
يورى ايفانوف : احذروا الصهيونية ـ شركة الاعلانات الشرقية ـ أغسطس ١٩٦٨ .

جـ ـ دراسات لم تنشر :

١ ـ سعيد محمد السيد أحمد : الصحافة العربية فى عصر اسماعيل ـ رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الصحافة بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٧٣

٢ ـ عادل أمين الصيرفى : صحافة القاهرة وصحافييها فى مصر منذ نشأتها حتى عام ١٩٢٥ ـ رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم الصحافة بكلية الآداب بجامعة القاهرة ١٩٧٢ .

٣ ـ صالح رمضان محمود : الجاليات الأجنبية فى مصر فى القرن ١٩ ـ رسالة ماجستير مقدمة الى قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة القاهرة

مقابلات شخصية :

١ ـ مقابلة مع الدكتور لويس عوض فى مكتبه بمبنى صحيفة الأهرام فى ١٣ / ٢ / ١٩٧٨
٢ ـ مقابلة مع الأستاذ حافظ محمود بجريدة الجمهورية بالقاهرة فى ٢٤ / ٣ / ١٩٧٤
٣ ـ مقابلة مع الأستاذ أحمد حسين بمنزله بالقاهرة فى ١٤ / ٣ / ١٩٧٧
٤ ـ مقابلة مع الأستاذ حسن امام عمر بمكتبه بدار الهلال فى ٢٦ / ٤ / ١٩٧٧
٥ ـ مقابلة مع الأستاذ محمد فهمى عبد اللطيف بمبنى صحيفة الأخبار فى ٥ / ٣ / ١٩٧٥
٦ ـ مقابلة مع الأستاذ مصطفى أمين بمكتبه بمبنى صحيفة الأخبار فى ١٣ / ٥ / ١٩٧٤

ثانيا المراجع الأجنبية

أ ـ الصحف والمجلات :

ب ـ الكتب :

1 - Cohen, J. Hayyim: The jews of the middle East 1886 - 1972.
2 - Crum, c. Bartley: Behind the sillen curtain.
New yark 1947.
3 - Ebon, Aba: Ebon. New yark 1977.
4 - Fargeon, Maurice: fes jwifs en Egypte. paul Barbey le caire. 1938.
5 - Fund and wagnalls cimpany: The jewisf encyclopedia.
6 - Haurani, A. H: Minarities in the arab world - the REyal institute of the international affairs london, New yark, Tornto 1944.
7 - Tsenberg, Dennis - Dan, usi - landau, Elie: The Mossad - Tel Aviv, london 1978.
8 - Landau, Jacob: Jews in Nineteenth century. Egypt - New yark university press, university of london press 1969.
9 - Learsi, Rufus: The Fulfillment - the world publishing company - New york 1951.
10 - Lowenthal, Maruin: The Deiries of theador Herzl The Deily press - new york 1971.
11 - Patai, Raphael: Encyclopedia of Zionisn and jsreal Herzl press - New york 1971.
12 - Towfic Abou Heif: fes Relatiens entre Egyptiens et juifs Alexendrie 1939.

تصويب الخطأ

رقم الصفحه	السطر	الخطأ	الصواب
١٢	٧	هؤلاء اليهود	هؤلاء من اليهود
١٢	١١	المعهد العثماني المحافظه	المعهد العثماني لليهود المحافظه
١٤	١٣	بتراثها	بتراثها
١٥	١١	خاص	حناس
١٦\	١٣	مدرسه يهوديه تأسست	مدرسه يهوديه ثانويه تأسست
٢٠	٢٥	عاد	كان
٢٠	٢٢	سعد زغلول	أحمد زيور الاولى
٢١	١	باشا	الثانيه
٢١	١٣	القطاوى	قطاوى
٢١	١٤	الحاخام	والحاخام
٢٢	٣	الرفاهيه	الدعايه
٢٣	٢٧	اليهوديه	الصهيونيه
٢٦	٢٦	بذكرى اليوم	بذكرى ذلك اليوم
٢٧	٣	تدعم اللجنه	تدعم عمل اللجنه
٢٨	١٥	وتناول	وتبادل
٣١	٤	ظلو	ظلوا
٣٣	١٤	سعد زغلول	أحمد زيور باشا
٣٥	١٧	دانيال السيم كواريل	دانيال سيم كوريل
٣٧	١	الصهيونيه	للصهيونيين
٤٠	١١	محفها	نسخها
٤٢	٢٨ر ٢٩	Le Bourse	La Bourse Egyptienne
٤٥	٢ر ٣	نضاره	نظاره
٤٦	٩ر ١٤ر ٢٢	نضاره	نظاره
٤٧	٩	نضاره نظاره	نظاره
٤٧	١٥	بلدها	بلدها
٤٩	١٩	دانيد بارس	دانيد بارس

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٥٠	٣	نضاره	نظاره
٥٢	٢٢	ص ١٢٥	ص ١٢٥
٥٦	٥	السوزه	المحوزه
٥٧	١٢	سهيد	سعيد
٦٠	١٤	سجون	سحون
٦١	١٣	مجلس	مجوس
٦١	١٨	وبعثوا الى	وبعثوا اليه
٦١	٢٠	مجلس	مجوس
٦٥	٦	مارس	فارس
٦٩	٢٥	تعلم	تعلم
٧١	٢٠	لها	له
٧٢	٣	ما هي من	ما هي عليه من
٧٦	١١	هوارى	هرارى
٨١	١٠	يجر	يجد
٩٠	١	تسم	يتم
٩٢	١٢	اينكا منيح	اينكا حين
٩٢	١٢	يمين	يبيتى
٩٧	٢٥	فارس	فارسى
٩٨	٩	فارس	رحس
١٠٨	١٨	كلش	سس
١١٠	١	يسوف	يوسف
١١٠	١٤	فرضتها على	فرضتها انجلترا على
١١٣	٦	بينهما	بينهم
١١٤	٢٤	بنهما	بينهما

رقم الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١٧	٢٠	دولـه	دول
١١٢	١٠	عـرف	صـرف
١٢٥	٢٧	نعيـد	بنعهـد
١١٥	٢١	اسـاء	اسماعيـل
١٢٦	١٢	الرعايـه	الدعايـه
١٢٧	١٧	اعترفـت	اعتمـدت
١٢٨	٤	ستعقـد	ستعـود
١٢٨	١١	من دعايتها	فى دعايتها
١٢٢	١٤	لتثبت الطمأنينـه	لتبث الطمأنينـه
١٢٥	١١	الارض	الاردن
١٢٦	١٠	يصـح	يصـح
١٤٠	١٠	دفـع	دمـغ
١٤٠	٢٢	تنفيـذ	تنفيـذ
١٤٦	١٠	احدثها	استخدمها
١٥٠	١٢	خصومـه	خصومه معها
١٥١	٢٠	ودفاعها	ودفاعها عنـه
١٥٤	١٢	ما الى	أو الـى
١٥٦	١١	تشتهم	تشتتهـم

مهــرس

الغلاف من تصميم وتنفيذ : المركز الجرافيكى العربى بالقاهرة

